تاریخ امکان الیافبی فی ایران
الجزء دوجانی
ترجمه: هویدا عزت محمد احمد
مراقبة: بديع محمد جمعة
من الأسباب التي حثت السيد أحمد كسرى على القيام بالتأريخ لهذه الفترة ضرورة الوقوف على حقيقة الثورة الدستورية (1906م) وكنها، والثنايا على أولئك الذين حملوا على عاتقهم مسئولية القيام بها وعملوا الكثير من أجلها، غير أن التاريخ بكمسهم حقهم، فقدتهم كسرى إلى قرائته بالضرورة التي تلبق ومكاناتهم والدور الذي قاموا به. وقد أبدنا كسرى من خلال مؤلفه هذا معلومات مهمة في جميع النواحي السياسية والاجتماعية والأقتصادية في الفترة التي أرح لها، كما أنه بسط كلامه في دقة ملحوظة، حيث تعرض لذكرا ما وقع من أحداث كأنه كان شاهد عيان عليها جميعاً، وقد ساعدته على ذلك تقربه من أسهمهما في هذه الأحداث وعلاقاته بهم، وهذا ما يضيف إلى الكتاب قيمة وأهمية. كما أنه لم يقف موقفا سلبياً من الأحداث التي ذكرها، بل كان يحكم فكره فيما بدور من أحداث، وهذا ما يجعله المؤرخ الذي يعول على كلامه لأنه يتحرى الدقة في إبراد الأحداث، وواجه تاريخه في معظمها ما لا يطرق إليه الشك، حيث اعتمد فيه على مصادر تاريخية موثوق فيها. فجعل أصحاب المصادر اللاحقة يأخذون عنه عن ثقة ويجعلون كتبهم في صدر مراجعهم ومصادرهم، وهذا ما يدل على المكانة العلمية والتاريخية التي حظى بها الكتاب الذي بين أيدينا الآن.
تاريخ الحكم النيابي في إيران
(الجزء الثاني)
المؤسسة القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ۱۳۵۲
- تاريخ الحكم النيابي في إيران (الجزء الثاني)
  - أحمد كسرى تبريزي
  - هودى عزت محمد أحمد
  - بديع محمد جمعة
- الطبعة الأولى ۲۰۰۹

هذه ترجمة الجزء الثاني من كتاب:

تاريخ مشروطه إيران

امحمد كسرى تبريزي

حقوق الترجمة والنشر باللغة العربية محفوظة للمركز القومي للترجمة.
شارع الجمالية بالأورا - الجزيرة - القاهرة. ت: ۲۷۳۵۴۵۲۴ - ۲۷۳۵۴۵۲۶ فاكس: ۲۷۳۵۴۵۵۴

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554
تاريخ الحكم النيابي في إيران
(الجزء الثاني)

تأليف: أحمد كسروى تبريزي
ترجمة: هودا عزت محمد أحمد
مراجعة: بديع محمد جمعة

٢٠٠٩
<table>
<thead>
<tr>
<th>عنوان</th>
<th>تعريف التاريخ والدراية في إيران (الجزء الثاني)</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>تأليف</td>
<td>أحمد كسرى تبريزي</td>
</tr>
<tr>
<td>ترجمة</td>
<td>هوية عزت محمد أحمد</td>
</tr>
<tr>
<td>مراجعة</td>
<td>بديع محمد جمعة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

القاهرة: المركز القومي للترجمة، 1430هـ |

العنوان: تعريف التاريخ والدراية في إيران (الجزء الثاني) |

الпечالة العامة لشئون المطبع الأميرية |

رقم الإبداع: ٩٧٦٧ / ٢٠٠٩ |

الرقم الدولي: 6- ٢٠٧- ٤٧٩- ٩٧٧- ٩٧٨ |

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الأفكار والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي أجناد أصحابها في ثقافاتهم ولا عبر بالضرورة عن رأي المركز.
المحتويات

المقال السادس .............................................. 7
المقال السابع .............................................. 97
المقال الثامن ............................................. 197
المقال التاسع ............................................. 247
المقال العاشر ............................................. 321
«المقال السادس»

أية خدع كان يسعى إليها الأتاك؟

يدور الحديث في هذا المقال حول الخداع الذي استخدمه الأتاك للإطاحة بجهاز الحكم النيابي، كذلك حول الأحداث التي وقعت في فترة إدارته حتى انفصال رجال الدين عن المطالبين بالدستور.

أفكار الأتاك:

كما ذكرنا سابقاً، أظهر قدم ميرزا على أصغر، خان الأتاك، إلى إيران عهدًا جديدًا في تاريخ الحكم النيابي، ولم يكن في دخيلة هذا الرجل سوى سوء النية والعداء، رغم ما كان يبديه من بشاشة وجه. وعلى الرغم مما منحه من بشرىما وما أقسم به من أيام لكنه لم يبلغ سوى الإطاحة بالحكم النيابي، وقد لاحظ محمد علي ميرزا ومعلموه المحكون الأذى لهذا، فاستدعوه إلى إيران لاقتلاع شأفة الثورة والحركة.

وكما أسلفنا، قام محمد علي ميرزا بحرب قبل مقدمه، ودارت عليه الدائرة، وكانت خطته في تلك الأونة أن يتصرف مع المجلس بوجهين، فلم يقبل تحاولًا معه، وظل يحتل الحكم وأصحاب الظروف في كافة الأرجاء على القيام بالقلاقل وأعمال الجور وإيذاء الأهالي، وأوقع الفرقة بين العلماء، وحدث بعضهم على إبادة العداء للمجلس.
وقد توسع الأكاذيب في هذه الخطة وكان يعمل في عجلة وإصرار، ومن الخداع التي قام بها أنه جمع بعض رؤساء المجلس على التثبيع عنه، كما حث جماعة من النواب على تأليده على النحو الذي جعل به المجلس يفقد شوكته وقدره، وسوف نرى كيف نفذ هذه الخداع بمهارة فائقة.

وقبل قدمته عمت الفتنة في عدة جهات، وأعلن كل من حاجي آغا محسن في العراق، ومولى بابي في قم، وقام الملك في شيراز العداء للمجلس والحكم النيابي، كل منهم بطريقة ما. وكان حاجي آغا محسن - أحد رجال الدين أصحاب الضبع في العراق - رجلاً جسورًا ظلماً اقترف العديد من المظالم قبل حركة الحكم النيابي وترتب على ذلك أن استدعى إلى طهران، وفي تلك الفترة التي كان فيها في العراق، تولى زمام الأمور ثانية بإياب من محمد على ميرزا أو بحض رغته. وكما قبل إنه كان يرسل الفرسان إلى هذه القرية وتلك للقيام فيها بأعمال السلب والقتل. لقد كان رجلاً من المجتهدين يسرق مسلك الشاهين (أي محبي الشاه)، وطالما ذكر في المجلس ما اقترف من مظالم.

ففي جلسة يوم الثلاثاء التاسع من شهر أديبهشت عام 1286، 16 ربيع الأول عام 1325 قرأ برقياً نساء محلة "إبراهيم آباد" التي أرسلت من قم وكن يقلن فيها:

"لقد قتل حاجي آغا محسن أربعة عشر شخصًا من رجال المدينة بأمر من الشيخ عبد الله الثاني (1)، وجرح سبعة عشر أو ثمانية عشر، وهم على مشارف الموت، كما قبضوا على جماعة واعتقلوا".

واضطرب المجلس من هذه البرقي، وقال أحد النواب:

____________________________________

(1) كان الشيخ عبد الله أحد مشايخ الأكراد العظام وهو الذي أغار في عهد ناصر الدين شاه من الأراضي المحتلة على أتربيل على رأس جيش وحارب الرحمن ومن لم يكن لأتباعه من حد في قتل النساء والرجال والأطفال وفي السلب والتخريب، إذا عرف بأنه ظلوم.
"إذا ما كان الأمر كذلك، فما جدوى اجتماعنا وحديثنا هنالك؟\"

وقال آخر:

"عجبًا من قوله! إذا ما كان الأمر كذلك، فواقع الأمر إن تعنيت حاجي آقا محسن أفاد من ذلك\".

وفي قم أعلن متولي باشي العدواء ضد الحكم النبيي والتلف جماعة حوله، وكان يحول دون حركة الأحرار، ولم يفتح الطريق للجمعية، ولم يكف عن ظلم الأهالي. وقد قدمت جماعة إلى طهران تطلب الإنصاف منه، وطالما دار حديث في المجلس عن مطالبه.

وكان قوام الملك - الذي كان حكم شيراز في أسرته منذ أعوام، وكان له أتباع كثيرون في فارس - معيديًا للحكم النبيي. وقد نشب صراع شديد بينه هو وأنباهه وبين الجمعية الإسلامية والأحرار، واجتمعت الأحرار في مكتب البرق، واتخذ قوام الملك وأتباعه المسجد الجديد مقرًا لهم، وكانت البرقيات تصل يوميًا تستغيث، وطالما دار الحديث في المجلس حول ذلك، إذا قامت جمعية فارس الإتحادية - التي أسسها أهالي شيراز في طهران - بمؤازرة مواطنيهم، وأقاموا خيمة في بيهستان وجعلوا يطلبون الإنصاف من المجلس.

وكلت ما كان المجلس يذكر الدولة بهذا لكون دون جدوى، وظل الحال على هذا الوضع حتى تولى الأتراك الإدارة، وقد تلك COMPUTE غير فيمًا يختص بتعاونه مع المجلس، ولما كان يلج في هذا الشأن استدعى حاجي آقا محسن وماتولى بشقى برقى إلى طهران، وعزل قوام الملك من منصبه، لكن ما كان لهذا كله من نتيجة ولم يهموا بالبرقى.

وفي يوم الثلاثاء السادس عشر من أربဆهشت (23 ربيع الأول) حيث كان يوم انتقاد المجلس، قامت جلبة في فناء بيهستان، واستدعى أهالي شيراز - الذين كانوا يعتزمون هناك مطالبين بالإنصاف - جماعات من جماعات أخرى
لمعاونتهم. كما انضم إليهم كذلك المظلومون من قم والعماد الذين قبموا مطالبين بالإنصاف من مطلق متولى باشي وحاجي آفا محسن.

في ذلك الوقت كانت إحدى المشاكل المحزنة معاناة الشاهسوس في بغداد من حاكمهم متمثلة في باليكونيك الروسي الذي أحضروا إلى إيران لقيادة كتائب القرزاق، وكان له أيضًا الحكم على جماعة الشاهسوس في بغداد، وكانوا يقطنون حول ساوة، ولم يكتف قدّر إمكانه عن خداج الناس وظلمهم، كما كان يرسل سلوكًا شائنًا مع قادة القرزاق الإيرانيين.

ومن هذا المنطلق، فبعد حركة الأحرار تمدد بعض هؤلاء القادة وتحموا عن كتائب القرزاق الخاصة بهم، كما أبدت عشيرة الشاهسوس صمودًا أمامه ونهضوا مطالبين بالإنصاف. في تلك الأثناء، اعتصمت جماعة منهم في بيارستان واتحدوا اليوم مع الآخرين.

وبصفة عامة اجتمع عدة آلاف من المتظمنين وجعلوا يلغتون ويبضجون، وتحثوا بداية عن مطالبة قوام وقراوا برقية من شيراز مفادها:

"قد استمرّ شر قوم واسخط جمع من أهل العلماء وضايقتهم ومنهم من

أشرف على الهلاك.".

ثم ذكر بعض العراقيين وأهالي قم والشهابسون، كل في دوره، مطالع حاجي آفا محسن ومتولى باشي بالكونيك.

بعد ذلك قمن من يسمى السيد محمد رفيق - وكان قد عاد حديثاً من قم والعماد - وتحدث في صراحة عن مسابقأة أهالي قم وعدم ميلهم إلى الحكم الليبائي، كما تحدث عن مطالب متولى باشي، ثم ذكر مطالع حاجي آفا محسن وتسليطة واستبداد في العراق، وإرغامهم الأهل على إغلاق الأسواق، وإغارته على دار شخصين، وجمعه بضعة آلاف من الفرسان وإرسالهم إلى إبراهيم آباد تحت إمرة على خان حتى يقاتلو ويسفكوا الدماء هناك، وقدّلهم أربعة عشر
وبرحمهم ثمانية عشر وإلقاءهم بطلع عمرهم ثلاثة أعوام في البئر، وعدم كفتهم كذلك
عن أدية النساء واللحاك للضرر بهم.

وقد أفضى في ذكر تلك الأمور فأبكي الجميع، وكان الناس يبكون بكاء
مريرًا، وذكركون اسماء حاجي آغا محسن وبالكونيك وقوقل ومولى باشي مقرونة
باللعن واللفور.

ولما انتهى الحديث اتجه الجميع إلى قاعة المجلس، وطالبوا ثانية بالإنصاف
وحل المشكلة. كذلك ذكروا الدستور وطالبوا بإتمامه وإصداره. وبعد ذلك، حينما
قام النواب من المجلس منعوهم، ولم يفسحوا لهم الطريق، فتقدم سعد الدولة
ونصحهم، وتعهد بأن بمضى إلى منزل الأتابك ويطلب منه عزل قوم وحاجي آغا
محسن ومولى باشي وبالكونيك من شيراز والعراق وقوقل وسواها، وأكد على ذلك،
وحقق نتيجة حيث رد الناس وفتح طريقاً للنواب.

لكن مرضي سعد الدولة هذا إلى منزل الأتابك ترتيب عليه تتحيته من النيابة،
فقد خذعه الأتابك ودفع به إلى البلاط، والرجل الذي أعلن تأييده للحكم النيابي
والقانون في عهد الاستبداد، وتم عزله من الوزارة بجريرة ذلك، وطرد إلى زيد في
ذل واشتهاق، ثم رأى تبجيلاً عظيماً من بعد في عهد الحكم النيابي من قبل الأهالي،
وعاد إلى طهران في إجازة وبلغ، وأصبح أحد نواب المجلس المختارين، ونال
من الشعب لقب "أبو الشعب" أو "أبو الأم"، نسي كل هذه الأشياء دفعة واحدة،
وجمع الطرف عن المنزلة الرفيعة التي نالها، وتعاطف مع البلاط وتتحي عن
المجلس في مثل هذا الوقت.

وقد ذكرنا قصة الرسائل التي حصل عليها الأتابك من ميرزا ملكم خان
وتالبة من هذا الغرض، لكنها لم تستطع أن تكون الباء وراء هذا الأمر. قلما
يطلب طالب أو ميرزا ملكم خان منه التحوي عن المجلس. وجدير بالذكر أن
الباهت لم يكن سوى عدم جدارته لهذا الأمر، ومع خروجه من المجلس تتحي كذلك
مشار الملك وغيره. وكان هذا انتصارًا للأئمة حيث فصل هؤلاء النواب عن المجلس. أما قصة قوم وغيره، فنتيجة لذلك الثورة وذلك العرض، فإنه في يوم الخميس الثامن عشر من أزديهشت (25 ربيع الأول) قال محترم السلطنة مساعد وزير الداخلية (الأئمة) والذي كان يحضر المجلس نبأه عنه:

"إنهم سوف يعودون حاجي آقا محسن عن العراق في هذين اليومين، وفيما يختص بقيام الملك وأبنائه فقد طماننا بالبرقيات المؤكدة أنهم سوف يعودونهم خلال هذه الأيام، وسوف يتم استدعاء متولي باشي."

لكن هذا لم يكن إلا خداعًا، وسوف نرى أن الأئمة أوجد بعض المشاكل الأخرى للمجلس بدلاً من إخضاع هذه الفتنة.

أفكار حاجي الشيخ فضل الله:

في تلك الأثناء كان التعصيب على الدستور، وكما أسلفنا انتقد أهالي تبريز الدستور وطالبوا بإضافات عليه، واضطرڈى المجلس أن ينتخب لجنة، وأعدوا قانونًا أكثر شمولًا باسم المتمم الدستور ودونوه. ولكن خشية من أن تقع الحجة في يد المسئلين اضطردوا لتميره على العلماء لإبداء وجهة نظرهم، فعقدوا جلسات في المجلس لهذا الغرض، حيث اجتمع السيدان طباثبي وبيهاني وحااجي الشيخ فضل الله وغيرهم من العلماء وتباحثوا في ذلك الشأن. لكن هذه المباحثات أوقفت العلماء في الفرقة وأوجدت بعض الصعوبات، ولكي يتضح الأمر جلاء ينبغي أن نقف هنا وقفة، ونتحدث عن هؤلاء العلماء وعن أفكارهم ورغباتهم:

كما أسلفنا، إن السيدين هما من أوجدًا حركة الحكم النيابي في طهران، وساهما في ذلك كل من صدر العلماء، وحااجي الشيخ مرتضى أشتياني، وشيخ محمد رضا التميمي وغيرهم من رجال الدين. وبعد حادث الاعتصام في مسجد الجمعة والهجرة إلى قم انضم إليهم حاجي الشيخ فضل الله، وتعاون معهم وصار في خطاهم على الدوام. وبعد تقدم الحكم النيابي وافتتاح المجلس بحث كل منهم عن
منفعته ثم تتحلى. لكن السيدين والشيخ فضل الله هم الذين بقوا. ولما كانوا بدون الحكم النبوي نتائج جهدهم لم يكونوا عن رعايتهم والاهتمام به. وبالرغم من أن السيدين لم ينتخبوا للقيادة النائبية، إلا أنهما كانا يستعيران لجليسته على الدوام ويشاركان في المناقشات، وكان حاجي الشيخ فضل الله يحضر أيضًا في بعض الأحيان.

لقد قدموا الحكم النبوي، لكنهم لم يكونوا على فكر واحد، وللحقيقة أن كلا السيدين كانا يبلغان الحكم النبوي والقانون، لكن حاجي الشيخ فضل الله كان يطلب بتطبيق الشريعة، وانفصلوا عن بعضهم دفعة واحدة.

لقد شهد السيدان عجز إيران واضطراهمها، وكانا يسعمان عن قوة الدول الأوروبية وازدهارها، وتمثل كثير من المجاهدين، لم يكونوا على علم بأن الداعي إلى ذلك والباحث عليه، ما هو إلا وجود الدستور والحكم النبوي في أوروبا وعدم وجوده في إيران، ومن هذا المنطلق كانا يسعيان من أعماقهما لظهور الحكم النبوي والدستور.

ووقع الحال، إذهما كانوا من علماء الشيعة، بل رأب كانا يؤيدان الشريعة والمذهب، ولم يرضايا أن تُسن قانون ينافض الشريعة وكانا يسعيان للجيلولة دون وقوع ذلك.

وأخوند ملا كاظم الخراساني حاجي الشيخ عبد الله المازندري وحاجي ميرزا حسين الطهري الذين أعربوا عن تأييدهم من النجف، وقدموا عظيم العون بالبرقيات والرسائل، كانوا يسلكون الطريق نفسه. وأحيانًا كانوا يطرحون وجهة نظرهم في الإجابة على الأسئلة التي كانت تطرح عليهم، وبقولون:

"والآن، حيث إن صاحب الشريعة (إمام الزمان) غير ظاهر، ولا يتم تنفيذ الشريعة، وببساطة الحكم المستبدون كرهًا أو طوعًا، إذن فمن الأفضل أن يكون ثمة قانون للحد من استبدادهم وظلمهم، وأن يعقد عقلاء الأمة مجلسًا يشاركون فيه."

13
كان هذا هو تفكيرهم. ينبغي القول بفصل الحكم النبأبي عن الشريعة. ومن ثم عندما كان يقول أحد: "يُنف عANCH أن يكون الحكم النبأبي هو الشريعة"، كانوا يصيحون في الرد عليه قائلين: "أيها الثور المجسم، إن الحكم النبأبي لن يكون الشريعة". ولكنهم تعلقوا بالشريعة، وكانوا يريدون أن يُنس قانون يتعارض علانيًا معها، والأعمال التي لا تتفق مع المذهب كان يتم طرحها بعيدًا، وقد أبدوا صمودًا في هذا الشأن.

وإذا ما أردنا الصدق نقول إن علماء النجف هؤلاء والمصري وغيرهم من العلماء الذين كانوا يبحثون في مطالبتهم بالحكم النبأبي، لم يكن لديهم علم بالمنهج الصحيح للحكم النبأبي، ولم يكن لديهم معلومات صحيحة عن التنافس بين البين الذي كان بين الحكم النبأبي والمذهب الشيعي. فمن ناحية، رأى رجال غيرون اضطراب إيران وعجز الدولة، ولم يروا حلاً لهذا سوى وجود الحكم النبأبي والمجتمع، وكانوا يسعون بالإنجاح بشديد في تأدي هذا. ومن ناحية أخرى، كانوا مقيدين بالذنب، ولم يكن في استطاعتهم التفاوض عليه، وظلوا بين هذين الاتجاهين.

أما حاجي الشيخ فضل الله، فكان يسعى في طريق آخر، فمن ناحية كان ميالًا شديدًا إلى الجهاد والأمة وذروات الشهرة، أسس تخطيط الشريعة، وأعد الجهاد والمركبات، وكان يعيش دومًا بين أصحاب النفوذ من الأعيان، ومن ناحية أخرى كان مفتوحًا بشريعة شديد الرغبة في رواجها، ولم يكن للمجتمع والدولة

(1) كتب هذه الجملة حاجي الشيخ عبد الله المازنداري إلى حاجي ميرزا محسن المجتهد التبريزي، وعندما خرج حاجي ميرزا جون من تبريز غاضبًا، أرسل برقية (أو رسالة) إلى النجف، وقال بعد مديدة للطائزين بحكم النبأبي: "يُنفي أن يكون الحكم النبأبي شريعة". فرد حاجي الشيخ عليه في برقية: "أيها الثور المجسم، إن الحكم النبأبي لن يكون شريعة". وترددت هذه القصة في تلك الأونة على الألسنة وقال الشاعر (خانهاري): "نعم، لا تطلبوا فضيلة الإنسان من الثور المجسم". فلكن لم أر حتى الآن برقية أو رسالة حاجي الشيخ في أي موضوع.
ومثل هذه المفاهيم أية قيمة لديه، وقلما كان يقترب من التفكير في مثل هذه الأشياء وأبدي تعاونه مع الثورة والحركة المطالبة بالحكم الديني، غير أنه لم يكن ليقنه لها معنى. ولما لم يكن في إيران أكثر من قوتيين في سالف الزمان هما الحكومة والشريعة، وكان النزاع كل حين مع الحكومة، فلم يكن هناك سوى الشريعة لإصلاح الأوضاع، وكان بعد هذه الحركة ونفاذ الثورة التي كانت تقوم ضد البلط القاجاري أيضًا من هذا القبيل. أما القوة الثالثة فكانت قوة الشعب التي ظهرت في تلك الفترة وازدادت قوة خطوة بعد خطوة. لقد قبلاً بلآعلم، ولم تراوده فكرة أخرى، وتمتع بوطيد الأمل رغبة منه في إدراج أحكام الشرع في القانون والطفر بموافقة المجلس. وبصفة عامة، لقد كان يسعى إلى تأسيس حكومة شرعية.

ولكى يكون هناك دليل على رغبته وحماسه تلك تورده في هذا الموضوع جزءًا من رسالته التي كتبها في شهر دي 1885 (ذو القعدة 1364 ق) إلى آقا نجفي في إصفهان، يقول فيها:

"يتضح لنا إذا ما كان الوضع في المملكة هو أن يحصل الخراج الشرعي على الضرائب اللازمة من الزكاة وغيرها، أو عبارة أخرى، أخذ العشر مما يثبت من الأرض وطرح جميع الشئون الأخرى، والصرف في أوجه المصارف الثمانية من العملين والفازيين ومؤلفة وفي سبيل الله... الخ، هذا ما لا حاجة فيه إلى كلام، وأتمنى على علم بهذى كله، وأعمال الإصلاح والـزود عن شرف الإسلام وحصول الشرف فوق الشرف، وفيه من الفوائد الإسلامية ما لا يخفى إذا ما معنى النظر في المناقشات العلمية. لكن الهدف بعد وقوع العمل على الوجه الابديهي بصحة الاسم والمنافع المرتبطة هي على هذا الاسم، أما الطرق الأخرى التي عليها الشعوب الأوروبية، فهذا ما فيه اضمحلال للدين وانحطاط للإسلام وأهله، وخصوصية الوقوع في الكثير من المفاسد ولو بعد حين. بالاختصار، إذا ما كان منذ بداية الأمر شعار المجلس هو شعار السلطة الجديدة بالقوانين الشرعية، فسوف تقوم قائمة الإسلام دومًا."

15
كتبت هذا إلى السيد النجف حتى يجعله مؤمنًا بفكره، ثم أرسل مسودة منـها إلى النجف لدى ابنه حتى يبلغها إلى آخوند خراساني وغيرهم من العلماء هناك. كان هذا في عدة أشهر مضت، وفي الوقت الذي لم يكن الأحرار معروفين فيه جيدًا، وتمثلت رغباتهم في سرير الحكم النبوي الأوروبي وتقية الدولة، وليس في ترويج الشريعة، وهذا ما لم يعلم على وجه اليقين، ولم يكن ثمة موضع فيه قلب هذا المجتهد الشيعي إلا الأمل وحسن الظن.

بداية الانقسام بين العلماء:

ولكن رويتًا رويتًا كانت تتضح الأمور، وكان الشعور بقوة الأحرار، وأخذ يتفتح الانقسام الذي كان بين رجاتهم وأفكار تلك الطائفة من رجال الدين، هذا وقد نفرت خرافيًا من الحكم النبوي وفترت مشاعرهم تجاهه، وجعلوا يشككون ويدمون، والأكثر من هذا كله أن لدعت وضع مقالات الصحف عليهم. فجرائد تلك الأيام لم تكن تكتب شيئًا ضد الدين أو الشريعة، ولم يستطيعوا كتابة ذلك، ولم يكن العداء آنذاك تجاه المذهب أو الدين، وحتى الآن كان معظم رواد الحركة من رجال الدين، أو بتعبير أفضل كانوا من أتباع المذهب الشيعي، ولكن في الوقت الذي لم تكتب فيه الصحف عن الشريعة وعن العلماء في أعمدها من بدايتها حتى نهايتها، كانت تسوخ الحديث عن عمران البلاد وقوة الشعب.

وكانت تذكر بعض الأمور الحديثة كتعليم البنات وإرسال البعثات الطلابية إلى أوروبا وما شابه ذلك، وما أن قامت بمواجهة العلماء في التعبير عن أفكارها الخاصة حتى صارت من وجهة نظرهم نموذجًا للإشاحة عن الدين وعدم الاهتمام بالشريعة.

وذلك التعاطف الذي كان يبدع الأحرار تجاه الدولة ولم يبدوه تجاه الدين والعلماء كان سببًا لاستيائهم، وكانوا يبدوونه نديلاً على كثر الأحرار، والأعجوب من هذا أنهم أطلقوا عليهم اسم البادية (البهائية).
ومن النظرية الأولى يُظن أنهم كانوا يعلمون العداء الشديد الذي كان يكتنِب
الإيرانيون لليابانيين (البهائيين) وأطلقو عليهم هذا الاسم لإثارة خواطر الناس ضد
الأحرار. لكننا نرى أنهم كانوا يودون هذا الاسم أيضًا في رسائلهم التي كانوا
يكتبونها إلى أقارئهم ومحارم أسرارهم، ومن هنا يتضح حقًا أن مثل هذا الظن كان
لديهم.

ويقول السيد أحمد طباطبائي - الذي كان منذ بداية جهاده متبوعاً لخطى أخيه
(المفروض له طباطبائي) وأبدى تعاونًا أثناء الهجرة إلى عبد العظيم وقلم، وفتير ميله
في هذه الفترة تدريجيًا تجاه الحكم البابي - في رسالة كتبها إلى ابنه في النجف:
"لم يظهر شيء آخر من مجلس الشورى الوطني سوى شدة الوطء على
الناس، والبابوية وأمانة البابية والطبيعة اكتسبوا قوة، وظهروا إلى حد أن المسلمين
وجب عليهم أن يأخذوا بالتفية تجاهم.

ويقول:
"جفًا، إن النساء قد عقدن مجلسًا في فناء شاهي المقابل لمنزل آغا السيد
ريحان الله رأسه أخت كالوردية والليلة، وهي التي أرسلت ملكة إيران السابقة إلى
بلاد الفننج، وأخرى زوجة ميرزا حسن رشديه المعروف والأخرى تدعى بي بي،
وثلاثين تلتون إلى البابية."

وفي رسالة أخرى كتبها إلى صهره، يقول فيها:
"ألا تعلم أيها محضرة يلبسها مجلس الشورى الوطني هذا بالدين والدنيا؛ وأية
آثار وخيمة تتراب عليه؛ والمجلس الذي دخل في عضويته البابيون والطبيعيون، بل
وتكون لهم فيه الدراسة أن يكون أفضل من هذا، ألا تعلم أيها قوة اكتسبتها فرقة
البابية الضالة التي لا دين لها؛ وأية فتنة وثورنة يثيرونها؛ لعنة الله على السيد جمال
الذين الوعظ الذي لا مذهب له، فأية ضلالية ألقى بالناس فيها! ولكثرة ما قال هذا
الخبيث عن فوق المنبر ألا تقرأوا القرآن ولا الدعاء واقرأوا الصحف، عد الناس

17
قراءة الصحف من لوازم الدين وكتأوا عن الدعاء وقراءة القرآن، وما كتب في الصحف يحتوي على الكفر وإهانة الشرع الحكيم، ولا ريب أن أرسلوا إلى هناك ما كتب في جرائد "المجلس"، و"الكوكب الدرى" و"نداء الوطن".

وسوف نورد رسالة حاجي الشيخ فضل الله إلى ابنه، فهما من ناحية لم يعلما مذهب اليهوديين، ومن ناحية أخرى لم يتعماقا في أفكار ورغبات الأحرار، ولم يكونوا على علم بذلتهم. إن المعنى الذي يفضي بأن يولوا رجلًا أمرهم، ويجبون ملزمًا بالحفاظ على الدولة، لم يجد طريقًا إلى قلب هؤلاء الذين كان من رأيهم أن الحكومة هي التي تحافظ على الدولة، وتفقد الناس حول عمالاتهم، وقاموا بتصريف شنون حياتهم ومذهبهم بتوجيه منهم. وذلك الثورة والحماسة التي كان يعبر عنها الأحرار فيما يختص بالدولة وازدهارها لم يعلموا الباعة عليها. ولما قام اليهوديون - أو نقول بالأصح أتباع السيد الباب - بمساع فادحة في سبيل ازدهار مذهبهم وذلك في بداية ظهورهم، وأثاروا عجب الناس كافة، أوردوا تلك الأحداث، واتحادوا بطنون أن هؤلاء الأحرار بكل مساعيهم هم اليهوديون، ولما كانوا لا يستطيعون أن يوضحوا دينهم من ذلك الطريق، سلكوا هذه المرة هذا الطريق.

وقد تعلقوا تعلقًا شديداً بالمذهب الشيعي وتعاليمه، إلا أن عين فطنتهم وفهمهم كانت منفعة عن أنهم يستطيعون إيصال رأيهم إلى رجال البلاط، لأن رجال الأئمة كانوا، بلا شك في تلك الأثناء، يعدون ويرحبون إلى رجال الدين خفية ويسعون إلى ردهم عن الحكم البابي، ولا شك أن من وسائله إطلاق اسم البابية على الأحرار (كما سنتثبت من بعد).

هذا وجدير بالذكر أنهم أرادوا بالبابية اليهودية، أتباع السيد الباب الذين أطلق عليهم البابية قد انقسموا - بعد مقتله وقيام ميرزا حسين على بهاء الله - إلى...

---

(1) إحدى هذه الرسائل كانت في الرابع من ربيع الأول والثانية في السابع عشر من ربيع الثاني عام 1325، ويتقرب من تلك الفترة التي تحدث عنها. وصبر السيد أحمد طباطبائي هو أبا ضياء الدين ابن حاجي الشيخ فضل الله.
فريقين: فريق لم يرتد ميرزا حسين على ولم ينفصلوا عن ميرزا يحيى صبح أزل خليفة الباب، وسعوا بالأذلتين نسة إليه. ومال فريق آخر إلى بهة الله وانتسبوا إليه وعززوا بـ"البهائية". وكان هؤلاء هم الكثرة، وكانوا كذلك يتبناون المسعي، وكان رجال الدين يقولون ذلك، لكن لما كانوا لا يملون ما وقع من أحداث أخرى، كانوا يسمونهم نفس الاسم السابق (البابية) وكانوا يعتبرون الأحرار من زمرتهم.

بالرغم من تلك الكيفية المقلوبة، فإذا ما أردنا أن نوضح جليًا العلاقة التي كانت بين البهائية والأذلتين، يجدنا القول إن الذهبيين كانوا يؤيدون الاستبداد، والأذلتين كانوا يؤيدون الحكم النيابي.

والقصة هي أنه عندما نهض ميرزا حسين على بالدعوة، وأسس جماعة، أيد الروس، سواء في إيران أو في القوقاز، كما أبدى بهة الله أيضًا في كتاباته ميلاً إلى الروس، لذا قام الإنجليز بتأييد الأذلتين تحت شعار المنافسة في السياسة خاصة بعد استعادة قبرص من يد العثمانيين. فلما كان ميرزا يحيى صبح أزل يعيش مع أسرته في تلك الجزيرة، واضطر إلى البقاء، صار كرها أو طوعًا تحت قضية الإنجليز. وطبع براون كتاب "نقطة الكاف" لحاجي ميرزا جاني الكاشاني، والديباجة التي كتبها في ذلك الكتاب بقلم ميرزا محمد القزويني، جميعها في هذا الشأن.

وكان الأذلتين أقل عددًا في إيران، وكانوا حريصين على الاختفاء؛ لأنه في ظل هذا الاختفاء كانوا في مأمن من أيدي الناس وألسنتهم، ووقتًا وانتهى الفرصة تمكنوا بسهولة من إثارة خواطر الناس ضد الذهبيين وذلك بمساعدة رجال الدين.

والقصة العجيبة هي شكوك الناس من التعريفة الجمركية لمسؤول نوس في عام 1282 ه، والتي انتهت في يزد واصفان بقتل البهائية، ويمكن أن بعد ذلك أحد أئمته هو النتائج الذي كان بين الحكومتين الروسية والإنجليزية، وعداء كلا الفريقين للآخر.
لقد استطعنا في الحديث، ففى حركة الحكم النهابى - ولما كانت انجلترا من مؤيديها - ساهم الأورلوئون كذلك فيها، وذكرنا هنا فقط اسم أسرة دولت آبادى، وكان حاجى ميرزا هادى كبير هذه الأسرة ممثلًا صغير أغلب في إيران، لذا عندما كانت حكومة الإمبراطورية الروسية تبدى عداءها للحكم النهابى، نحن البهائم أنفسهم عنه بأمر من عباس أفدى عبد الله، وكنا في دخيلتهم من مؤيدي محمد على ميرزا.

الصراع حول الدستور:

قبل أن يأتي الأئمة إلى إيران كان المجال قد تهىء للانقسام بين العلماء، لأنه كما أسلفنا كان متناقل بين الحكم النهابى الأموي والذهب الشيعى، ولم يكن في الإمكان التوافق بينهما. وطريقة الوفاق التي كان يفكر فيها آخوند خراسانى وأتباعه لم تستطع الوصول إلى حل، فلم يكن في استطاعة رجال الدين رؤية أى شيء آخر يقف حيال الشريعة، ولم يكن يرضيهم حتى عدم وجود الفدية في القوانين خاصة في وجود ذلك الربط الذي كان بين الشريعة وبين حياتهم. وكان لكل منهم فريق منعنا تحت عنوان الريادة. ولم يكن في استطاعتهم غض الطرف عن ذلك باباً حال. وهذا الوعي الخاص بقوة الدول المجاورة والخوف على حال إيران الذي كان للسادات وأخوند خراسانى حاجى الشيخ مازندراني وغيرهم - وهو ما حفظهم على السعي - لم يكن لديهم قط.

ولما رأى الأئمة أن السبيل قد مهد للانقسام لم يُضع الفرصة من يده، وتحقيقًا لمصلحته أضرم النيران من بعيد ومن قريب. وكما أسلفنا كان أتباعه يغدون ويرجعون لدى العلماء، وزادوا من سخطهم واستياءهم من المطالبين بالحكم النهابى. وكما أسلفنا، أثيرت في تلك الآونة قضية التعقيب على الدستور، وشكلت لذلك لجنة من قبل المجلس، وبدأت كل من تبقى زادة ونواب أذربيجان وغيرهم لإصداره، وكان الناس كذلك يطلبون ذلك. وتدوين هذا الدستور وطلبهم مما اشتد
وقع على العلماء المطالبين بالشريعة وزاد من استيائهم. وعندما انتهى الدستور السابق - الذي اشتهر وطأته في بداية حركة الناس وثورتهم - لم يكن ثمة أملية على غضبهم، لكن في هذه الفترة فقدت هذه الثورة والحماسة تلك القوة، وظهرت حماسة أخرى تحت عنوان المطالبة بالشريعة في قلوب البعض.

وفضلًا عن حاجي الشيخ فضل الله وأتباعه، أبدى بعض نواب المجلس مطالبتهم بالشريعة، ولما كانوا يظلون أن أصحاب البابية أ. الطبيعية هم الرواد من الأحرار، كانوا يقولون:

"إن رغبتهم هي القضاء على الشريعة الإسلامية، وهم يسنون ذلك القانون لهذا الغرض".

وكانوا يشعرون مثل هذا الحديث بين الناس.

من هذا المنطلق، عندما أنهت اللجنة عملها وتم إعداد الدستور خشيته دار الشورى من قبوله، وافترحت أن يجلس بعض العلماء مع عدد من النواب، وأن يراجعوا كل ما ورد فيه بناداً بذلك للحيلولة دون سوء طن الناس بها. وظروا هذا حالاً للأمر، في حين أن هذا التصرف كان سبيلاً للمشاكل؛ لأن حاجي الشيخ فضل الله وأتباعه كانوا على استعداد لتنقى هذا القانون في تلك الجلسة والإعلان عن أفكارهم. وعلى هذا النحو كان لابد أن يقع نزاع شديد بينهم، وينتهي بانقسام الناس إلى فريقين، أو أن يفقد الدستور جوهره ويتخذ طابع الشريعة ولونها، إذا رأينا من الأفضل ففي هذا المقام أن نورد الرسالة التي كتبها حاجي الشيخ فضل الله إلى ابنه في النجف خلال تلك الأيام، لتعرف على فكره وكيفية تأثيره، هذا وقد ورد نص الرسالة بخط شخص غيره، إلا أن حاجي كتب في هامش الرسالة خطبة يقول:

"بسم الله الرحمن الرحيم - بنى الغالي العزيز - في 24 ربيع الأول، جميع بخير وحمد الله، إنني لم أكتب إليك شيئاً منذ فترة بخط يدي، وجمالة الأمر أن الابتشغال قد بلغ أوجه حيث لم تتح لي الفرصة حتى لقراءة ورقة، فما بالك بالكتابة...

21
عن جميع ممالك إيران من تبريز وإصفهان وشيراز والرشت، وما لم يكن متوقعاً
عند فساد أحوال الناس على جميع طبقاتهم، والجمعيات المستحدثة التي أوقفت
المضرة بملة الإسلام وشعبه. وإذا شننا كتابة ذلك على التفصيل لمست الحاجة إلى
كتاب بتمامه، فقد اغتتم السادة فاسدو العقيدة من الفرق الجديدة ومن الدهرية
والطبيعية الوقت لإفساد الإسلام، وانتشار شائعة الجريدة مثل موقف تطور الكتب
القيمة، فما من جريدة إلا وفدها سهم على الإسلام والعلماء، قضى الأمر ومضى.
وقد التفت الناس مؤخرًا إلى أن يطردوا جناب المجتهد من تبريز، ويبدو أن أحوال
جاب حاجي خمسي وما يقرب من عشرة من علماء الرشت قد ساءت يومًا بعد
يوم. ولم يرد رئيس جمعية الرشت - حاجي ميرزا محمد رضا - أن يكتب تفصيلًا
في هذا الشأن، وقال لي: لا ننقل هذا القدر من المعلومات على لسان، الله على
الإسلام والدين. وفي هذا الوقت سينتهي الإعداد للائحة الدستور، ومنذ أيام عند
المجلس جلسات طارئة للإصلاح، والمخرجون لا يحققون مقضيهم. وقد ذُكرت
كلمة في لائحة الدستور فيما يخص بحرية العلم، وهذا كله كان من مفاوض
الصحف، والويل كل الويل إذا كانت الحرية في العقائد، وقد أصروا فواعت النار
في روح الشمعة. وهذه الكلمات لا ينبغي أن تذكرها سوى لجنة الإسلام أخوند،
وعلى الإجمال اختاروا الامتناع، ومن المؤسف أن القول ليس في الإمكان، فيما
بالكل بالكتابة، ظهر الفساد في البر والبحر.

على هذا النحو تقدمت طائفة، وكان البلاط يريد أن يستفيد من الحدث،
فأدى تأبيده لهذه الطائفة من العلماء، وزاد من الصراع قدر إمكانه، ولم يسمح
للفساد أن يدخل في إطار التنفيذ، وإذا كان هؤلاء لم يستطيعوا فعل شيء وصدر
القانون، وقيل في ذلك الوقت ينبغي لعلماء النجف أن ينظروا فيه، فتظهر محمد
على ميرزا بمظهر المتدين الورع، وكان يقول:
"أن أوقع طالما لم يوقع علماء النجف."
ولما كان السيد كاظم اليدى - أحد المجتهدين المشهورين ومن أتباع آخوند خراساني وحاجي الشيخ مازنداري - وبيعته طائفة كبيرة من الإيرانيين - يسلك طريق الشيخ فضل الله، وكان يبيّد عداءة للحكم النبوي، كان محمد علي ميرزا يعلم أنه لن تكون هناك كلمة بين علماء النجف، ولن يعود الدستور ثانية منهما، وعلى مخطط لدعم إنجاز الحركة المطالبة بالحكم النبوي، وساهم في ظهور النزاع والعراق بين الناس، وكان يخطط لذلك في براعة.

ولم يكن أعضاء المجلس على دراية بهذه الخطة، وإذا ما كانوا يعلمونها فلم يعلموا قدر مضرتها، وإذا أردنا الصدق، كان المجلس في تلك الفترة متقتسمًا إلى فريقين، وكما أسلفنا، كان بعض الأعضاء يطالبون بالشريعة، وكان البعض يبدي تأييده لهم من الخشية. وقد جعل أتباع حاجي الشيخ فضل الله للدين سيفًا قطعوا به لسان كل شخص. ونورد القصة التالية لبيان ذلك:

"إنه في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من أردبيلشت (الأول من ربيع الثاني) دار حديث في المجلس عن الدستور، وكما قيل إن أهالي تبريز أعلنوا الثورة، وكانوا يرغبون فيه. وأجاب السيد محمد تقى الهراتي - أحد أتباع بهبهاني ونال النتيجة في دار الشورى بمساعي منه، ويعتبر في تلك الآونة مع حاجي الشيخ فضل الله أولى التأييد لطافته - في جريمة قائلًا: "نحن أفراد الشعب ينبغي أن نعلم أننا مسلمون، وأن قانوننا هو قانون الإسلام المقدس. وهذا الدستور هو قانون ينبغي أن تبت فيه أمور مملكة بما يتواهم معه، ويتبع أن ينديح حجج الإسلام بنوده وفصوله بكل عناية، وإذا ما اجتمع عشرة آلاف، وأريقت الدماء، لا ينبغي الرضا بأن ينذف القانون دون تطبيق وتحقيق. والآن ينبغي أن يستدعى حجج الإسلام، بل ينبغي أن نت珍贵 هذه اللائحة بأسرع ما يمكن".

وقد أدرك بعض نواب آذربيجان (تبقى زاده وغيره) خطة البلاط ومضترتها، ولما كان ينبغي أن يطلبوا الحل من تبريز كتبوا إلى هناك عن كيفية ذلك، وظهرت ثورة أردبيلشت هذه، وهي من الأحداث البرزة في تاريخ الحكم النبوي.

23
ثورة شهر أردبيهشت (في تيرين): 
وفي تيريز، بعد طرد المجتهدين من المدينة، لم يقع حادث مهم آخر، فكان الناس هناك يترقبون وصول الدستور، ولمما كانوا هم الذين قد هربوا المجال، لذلك كانوا يبدون تعاطفهم أكثر من آهالي المدن الأخرى. وقد ذكرنا أنهم كانوا يعتمدون بالقانون في تلك الأيام الامامًا بفوق الحد، وكان جمع كبير من الأحرار يظنون أنه عندما يصدر القانون إلى الناس، سوف يطبقه كل منهم حسب رغبته ورغباته، ويرفع كل شخص دوره، ويتصور بناءً على ذلك. وفي الأعمال التي كانوا يقومون بها كانوا يقولون:

"ينبغي العمل عاجلاً حتى يصل الدستور وتعميم مهمة كل شخص." 

وبمن فرط سذاجتهم كانوا يحسون الظن على هذا النحو. لذا لما كان الاضطراب يعم كثيرًا من الأرجاء في تلك الفترة، والتغت الناس من كل صوب إلى جمعية آذرباجان يطالبون الحل، كما أن آهالي الرشت لم يقبلوا حكم ظفر السلطنة آنذاك، ولم يرغبوا في قيدهم إلى جيلان، وثاروا لذلك، وكانوا يطالبون العون من تيريز برقيًا، كما طالب المطلومون من قرية إبراهيم آباد بالإنصاف من قم برقيًا. على اعتقادات الجمعية أن جميع هذه الاضطرابات هي بسبب عدم وجود الدستور، وكانوا يعتبرون وجوده حلاً لهذا، وهذا أيضًا كان اعتقاد الأحرار.

وفي يوم الأحد السابع من أردبيهشت (الرابع عشر من ربيع الأول) تحدثت طائفة من الناس - كانت قد اجتمعت في فناء الجمعية - عن الدستور، ودعت الجمعية لمطالبة دار الشورى به، وقبلت الجمعية رغبتهم وأبرقت إلى دار الشورى. في تلك الأثناء سرت إشاعة في تيريز بأنهم كتبوا الدستور منذ شهر وأنه مر في المجلس، لكن الشاه لا يقبله ولا يوقع عليه، وكان البعض يقول: "إنهم يريدون أن يبنلوه وفق رغبة الأتباع".

24
واحشد وقع هذا الكلام على الأحرار، فأرسلوا برقية مطولة إلى الشاه 
باستخدام الأكابي يوم الثلاثاء التاسع من أردبیشته (السبع عشر من ربيع الأول) 
أفسحنها فيها عن رجاءهم لقبول الدستور والتوقع عليه، وذلك بعد إحساء 
تضحيات آذربایجان في سبيل رعاية التاج والعرش.

ثم غد ذلك اليوم وصلت برقية من النواب في طهران بأن الدستور يُنادى 
في المجلس العام منذ بضعة أيام بعد إنهاء اللجنة قراءته، وكان هذا الرد سبيًا في 
تهديد خواطر الأهالي. لكن أثناء ذلك وصلت رسائل من طهران تنبئ عن سوء نية 
البلاط، وصارت سبيًا للخطرة، ورأى الرواد أنه من الأفضل أن يقوموا بحركة 
ويقروا خبر البلاء، وبحول دون تفتيت خطته. في الوقت نفسه وقع حادث آخر
وهو أن الأحرار لم يتركوا الفرصة تفلت من أيديهم، واتخذوا هذا سبيًا ونفذوا 
أنفكهم. وكيفية ذلك أنه في يوم الأحد الحادي والعشرين من أردبیشته (الثامن 
والعشرين من ربيع الأول) وصلت برقية من طهران بأن جميع العلماء والأئمة 
وأعضاء الجمعية، ظلوا لمدة ثلاث ساعات قبل الغروب في مكتب البرق مطالبين 
السادة حجج الإسلام بطهران وأعضاء دور الشورى الكبرى عامة بالحضور 
الفوري إلى مكتب البرق. وتعجب الناس من هذه البرقية وانتقدواها. وكان كل 
شخص يظن عظة غير الآخر، ولم يحل الليل لجتمع العلماء والأئمة والرؤساء في 
مكتب البرق، واحتشد الناس كذلك في الغناء، ووصلت من طهران البرقية التالية:

"بعد تقديم السلام والاستفسار عن الأحوال لحضارات السادة حجج الإسلام 
والسادة العلماء الأئمة وأعضاء الجمعية الوطنية المبرفة أمام الله تأييدهم، لقد 
سألوا بالأمس من زنجان برقياً أن جناب السيد المجتهد دامت بركاته سوف يأتي 
إلى زنجان في الثامن والعشرين من هذا الشهر، وقد رأى العقلاء هناك الصلاح في 
أن يعيدوه إلى تبريز في إجاز وإجلال، فأي رأى لنواف آذربایجان؟ حضرات 
السادة حجج الإسلام دامت بركاتهم، إن هؤلاء خدام الأمة، وقد رأينا أنه من اللازم
أن نطيب أولاً الخاطر الشريف للسادة حجي الإسلام والعلماء الأعلام والسادة الأئمة وأعضاء الجمعية المجلدين، فإن هذا الجزء الخاص بإخراج السيد المجتهد من آذربيجان وحضوره إلى طهران وقُد لأسباب عديدة لا داعي لتوضيحها لعلاء القوم، وهذا ينطوي مع طالبي الخبر للملكة، وإن شرف وفضل بقعة المصومة إذا ما حركت أسباب خارجية رؤساء القوم، فليس بعيداً أن يكون اجتماعهم مع غيرهم لا يخلو من أثر في ذلك الوقت الذي تمس الحاجة فيه إلى اتحاد القلوب والأقوال اتحاداً تاماً. فإن اختلاف الكلمة واجتماع المشككين في مركز إيران على قداسة هذا المكان لا خير فيه ولا مصلحة. إن أساس الحكم النبي وقوامه هو رواج الدين المبين وملاحظة شرف شعب آذربيجان على عامة المسلمين فرض اليوم، فهم ي bầuون دعائم الاتحاد، لذا نستنئ جميعاً أن نهيئ من جانبي ومن جانب السادسة العظيم هناك أسباب عودة السيد المعظم.

(محمد اسماعيل، مرتضوي، محسن، حسين، نواب آذربيجان، الأحمر
محمد الطباطبائي، الأحمر عبد الله الموسووي البهبهاني والشيخ إبراهيم نائب زنجان)

واستاء أهالي تبريز من هذه البرقية، فلم تكن عودة المجتهد شيئًا يرضيه أهالي تبريز، وكانت دار الشورى تخشى استقرار المجتهد في قم، أو في عبد العظيم واجتماع أعداء الحكم النبي حوله، وكان أهالي تبريز يخشون ظهور الفتنة في المدينة بعد عودته. ولما وصلت تلك الرسائل التي ذكرناها من طهران وتطرق هذا الفكر بينهم ذكروا الحديث عن الدستور في الرد على البرقية، وبعد المشاورات وما وقع بين الناس من اضطرابات قدموا الرد التالي إلى طهران:

"حضرة المباركين السادة حاجي الإسلام ونواب آذربيجان دامت بركاتهم، قرأن البرقية المباركة على جميع العلماء الأعلام، والشعب فاطبة - الذين أغلقوا الأسواق والحوانيت وحضروا في مكتب البرق المبارك - وجميع السادة العلماء،
يرغبون في القانون، وطالما أنهم لم يرسلوا نص القانون إلى آذربيجان لن فتح الأسواق والحوانيت، ولن نغادر مكتب البرق المبارك.

(جمعية تبريز الوطنية)

على هذا النحو بدأت الثورة، ثورة كما شاهدها دامت أكثر من شهرين.
وظل الأهالي في مكتب البرق حتى مضى أزيد من الليل، ثم تفرقوا وعادوا إلى ديارهم، لكن ظلّت جماعة هناك تقترب من المائة لتلقي السر، ومضنت ثلاث ساعات من الليل، ووصلت البرقية التالية:

"إنه برقيمة السادة لم تكن جوابًا على سؤالنا، والدستور يُلقي في المجلس حيث يعقد مجلس آخر كل يوم لتصحيح وإتمام القانون في حضور السادة حجج الإسلام والعلماء الأعلام. والقانون الذي سيوفر السعادة الأبدية للبلاد لن يُعد بهذه السرعة، وبذلك الإلحاح، ليست هناك حاجة للضبط العام وغلق الأسواق والحوانيت، ويسعى المجلس المقدّس ويجدُ قدر إمكانه للقيام به مهمته، وهو ليس في حاجة لهذا النوع من الإجراءات، والهدف من جهة السادة حجج الإسلام ومشاهير العلماء وأعضاء الجمعية المحترمة هو ضرورة عودة جناب السيد المجتهد دامت بركاته، ولا ريب أن عقلاء آذربيجان يهتمون بهذه المسألة، وإن لم يكن لهذا الأمر أهمية خاصة لما حضر الجميع هنا، ولم نكن نشغٍ علينا، وطالما أن الجواب لا يُقدم بشكل مباشر وقد ان قضى الوقت، فقد تركنا الأمر للسادة المحترمين لاختلاف آراء العوازم، ورحلنا.

(السيد عبد الله البهبهاني، السيد محمد الطباطبائي، الأحقّ فضل الله النوري، مرتضوي، محمد اسماعيل، نواب آذربيجان ونائب زنجان)
ومن غد يوم الاثنين لم يفتحوا الأسواق بأمر من الجمعية، واتجه الناس كافة إلى مكتب البرق واجتمعوا هناك، وامتلا فناء المكتبة، وصعد الأهالي على الأسطح، وأرسلوا بداية البرقية التالية إلى نواب أذربيجان في طهران:

"إلى السادة العظام نواب شعب أذربيجان دامت توقفياتكم، لقد صرحتنا مرارًا عن شغب الشعب فيما يختص بالدستور، وقد عفونتم، وانتهى الأمر بأن ضاق الشعب درعا بذلك، فتوقفوا عن أعمالهم وتجارتهم وأغلقوا الأسواق، وقد اجتمع جمع من العلماء والأعيان والتجار وعامة الأهالي في مكتب البرق، ونحن في انتظار حضور سيادتكم إلى مكتب البرق في العاجل.

(جمعية تبريز الوطنية)

ولما كان الناس يغدون ويرجعون زرقات زرقات، تحدث المتحدثون، وكانوا يشرحون مفهوم الدستور وقواته، ويقولون:

كج كل دولة لها دستور، وكل قوم ينعدم وجود القانون لديهم فهم في نظر الآخرين هميجون، منذ ثمانية أشهر ونحن نتمنى ونعتقد الأمل دومًا على الدستور، والآن يبدو أن القانون الذي دونه قد انصرفوا عنه بعد وصول الأتراك، وهو يريدون أن يبدلوا، وإن لم نحصل على الدستور فإن تستثم الأعمال، ولن يعرف أي شخص دوره، طالما لم يمنعوا الدستور ينبغي علينا ألا نفتح الأسواق ولا ننتهي عن الصمود.

كانوا يقولون مثل هذا الكلام للناس، ودار الحديث أنه لم يصل الدستور خلال شهر فلن يفتحوا الأسواق، وأطلقوا جميع المدن الأخرى على ذلك. كما اقترحوا لرعاية القراء أن كل من لديه مبنى أو عامل يدفع له أجره، وكلا من جاوره معدم لا يضر عليه بالمساعدة، واليوم يأتي تلاميذ المدارس وفي أيديهم حمر الأعلام، وهم يتزرون بالأناشيد ثم يعودون أدراجهم بعد تقديم تلك العروض. واليوم

28
في طهران، قدم صنيع الدولة - رئيس المجلس - إلى مكتب البرق فضلاً على بعض نواب آذربيجان ووثائق الدولة، ودار حوار بينهم لأكثر من يوم.

الحوار بين تبريز وطهران:

حقًا، لقد وضع نزاع وشجار اليوم بين تبريز وطهران، فهؤلاء الذين كانوا في مكتب البرق بطهران أشاروا إلى أن الدولة لا ذنب لها ولم يروا داعيًا للخشية، ولم يجدوا ضرورة لمسك تبريز هذا، وكانوا يقولون:

" ينبغي أن يمر الدستور من المجلس كما هو ولا ينبغي التسرع فيه."

وهؤلاء الذين كانوا في مكتب البرق بتبريز كانوا يجيبون:

" إن شاهدة مخاوف فيما يختص بالدستور، وفي ينبغي التحليل بشأنه. وكان كل طرف من الجانبين يصر على رأيه، وكانوا يجدون أيضًا من مواقف طهران، ونورد في هذا المقام بعض البقايا.

لقد أرسلوا من تبريز الرسالة التالية:

" إلى أصحاب السعادة السادة أعضاء آذربيجان المحترمين، دام إجلالهم، في برقية الأيام حضر عامة السادة العلماء الأعلام - مد ظلهم العالم - وعامة الشعب في مكتب البرق المبارك، ونحن نطالب في جد وإصرار بالدستور الذي وعدتموها أياه منذ فترة، ونقفل في صراحة: إن هذا المطلب، وإن هذا الاجتماع العام لا دخل له بالاجتماعات السابقة، وإن تأثير الدستور ليس فيه من المصلحة بأي حال من الأحوال. وإذا ما تأخر - لا قدر الله - سيكون له وحش العواقب، ولن يسمح على الإطلاق أي عذر لعدم الاهتمام به، وقد أغلقت الأسواق والحوانيت جميعها، ونحن في انتظار الدستور."

(جمعة تبريز الوطنية)
وردوا عليهم من طهران بالرد التالي:

في عصر الأمس دعا أعضاء آذربيجان المحترمون أعضاء جمعية تبريز المجلة للحضور في مكتب البرق لإطلاعهم على مطلبهما، وعلم بعد إطلاعهم على المطلب أنه بالرغم من أن نواب آذربيجان وسائر أعضاء مجلس الشورى الوطني كانوا على يقين راسخ من أنه بعد الإطلاع منذ أيام، ومع ما أعلنه من النصائح والمواعظ التي دعموها بالأكثرة والبراهين برقيًا إلى أعضاء الجمعية المحترمين، فعلى الأقل لا ينبغي أن يقوم أهالي آذربيجان ببعض الإجراءات، وهي ممنتورون نتيجة إجراءات مجلس الشورى الوطني في إتمام الدستور وإعداد اللوائح التنفيذية للحكام والتنظيمات الإدارية وأن يتم ذلك في كامل الهدوء والطمأنينة. لكن علم على غير المتوقع أن الأهالي قاموا بالأمس بإغلاق الأسواق والحلوانات ثانية، واحتضنا في مكتب البرق للمطالبة بإتمام بنود الدستور، وأصبح هذا الخبر باعتنًا للعجب والدهشة لعدم انتظار مجلس الشورى الوطني وفرط الالتفاف بإعداد الدستور وسائر المهمات الطارئة.

وباختصار، فإن هذا الإجراء وملك الحركات غير المتوقعة تؤدى إلى التشكيك في معرفة أهالي آذربيجان الجيدة بجزئيات الدستور وخصوصياته، وينبغي توضيح ماهية الدستور وتحدياته الجزئية إلى حد ما في هذه البرقية، ويعلن صراحة عن عدم أن تقدم تلك الجزيئات بهذه العجلة والسرعة حتى يعلموا أن مجلس الشورى الوطني لم يقصر أو يهمل قط في هذا الشأن. وإذا ما أهملت الوقائع التي قدمت لجوانب ملاحظاته عليها، فربما يكون الإعداد لإتمام الدستور في ملكتنا في الأوضاع الراهنة أمرًا صعبًا أو محايلًا. ويجب أولاً أن يعلم أهالي آذربيجان المحترمون أنه بعد وضع البنود التي زينت بتوفيق الملك في دستور مجلس الشورى الوطني، فإن الجزء الرئيسي مما تبقى منه - وله عظيم الأهمية - يشبه روح الدستور وحقيقة - هو الجزء الذي يتعلق بحقوق عامة الشعب.
ولواتق القضاء والمحاكمات القانونية، وضمنًا فإن هذا الجزء مطلب أساسي ومهم،
والنضالي عنه أو السكت عليه هو في الحقيقة تفاوت عن جميع قوانين الدستور،
أي أنه لم يدرج ذلك المطلب في الدستور يمكن القول إنه من الواجب صرف
النظر عن الدستور والاقتراح بما دون في قانون مجلس الشورى الوطني. وفي
هذين الجعوزين بند وفصل ليس من البسيط قبولًا من وجهة نظر هؤلاء الذين لا
يقرون على حقوق الشرع وأسراره، ومجلس الشورى الوطني يراعى في هذه
المسألة أنه رغم وجود المعارضين الأقوياء والأعداء الأجانب (في الداخل
والخارج) الذين يكون شديد العداء لمشروعنا المقدس هذا، فهم يضلون العوازم
ويجذبون جانبين بما لا يتمثل في العقل ويصرفونهم عن التفكير في سوء
العواقب.

وقد أجريت هذه الملاحظة المهمة للجهم على أن يكشف عن وضع هذا
القانون ونشره حتى لا يعير حجة لمن قصر نظرهم ولا يرضون عن الموضوع
بناءً على الظاهرة الذي يبدو لهم، ويتورطون عن جهل لإنجاز أهدافهم. هذا ومنذ
عدة أيام قبل اليوم الذي حضر فيه أعضاء الجمعية في مكتبة البرق، فإن المجلس
المشكل كان يتكون من حجج الإسلام الكبار والمحققين العلماء أعلام دار الخلافة
والعلماء نواب آذربيجان وطهران، وتم التباحث عنها لعدة ساعات كل يوم في بنود
الدستور بمزيد من الاهتمام دون هدف وبمنتهى الدقة، وكنا يمكن أن التنظيم أثناء
المباحثات في أكثر من بندين أو ثلاثة يوميًا بكمال الدقة والأهمية، خاصة في
المجلس المذكور حيث تم مناقشة جميع المناقش والقوائم الناتجة عن سن هذا
القانون. ومن الإنصاف أن العلماء الأعلام يجدون ويجتمدون حقًا في تصحيح
عبارات القانون التي كانت تعبير عن المعاني والحقائق المقصودة بأنفاض ريا
حجبت الحقوق في نظر العوازم والمعارضين لهذا الأساس المقدس، وليس مستبعدًا
أنه لولا وجود بعض المواقع والعوازم الخارجية كثورات الولايات وفساد نية بعض

31
مثيراً الفتن لتتم استكمال الدستور ووقوع عليه الملك، لكن، وللأسف، شهد أنه كلما اجتمع أعضاء مجلس الشورى لإجهاز هذا الأمر رغم وجود آلاف المشاكل تصل بالأخبار تفيد بوقوع الفتن في أحد الأطراف مما يخلق المشاكل ويستخدم الحواس.

وعلى سبيل المثال إنه بالأمس وعلى غير المتوقع على الإطلاق وصل خبر تبرييز، واضطر النواب المحترمون إلى الحضور اليوم في مكتب البرق، وباختصار، ينبغي العلم إنه إذا ما تم الوثوق بأعضاء جمعية تبرييز وسائر أهالي أذربيجان فإن تأخير الدستور يكون بسبب عدم مساندة الدولة أو شخص الملك.

ويجب القسم هنا بجميع الكتب الجهوية المقدسة إنه لم يشاهد حتى هذه الساعة عدم المساندة من أمناء الدولة، بل أن أعضاء المجلس على يقين راكش من أنه وقتما تتم الموافقة على بنود الدستور في المجلس ويتيم إرسالها إلى الملك سوف يتم التوقيع عليها بعد فترة وجيزة، ولن تكون هناك ممانعة قط أو مطالبة من قبل الملك.

ولا ريب إنه لو يتم الإحساس بالضيق من ذلك الطرف لين يكون هذا خفى أو مستورد، وعندئذ إن يسب لأهالي أذربيجان أو يگتونوا في هذه الإجراءات، إذن فسبب التأخير ليس إلا لإبادة الملحظات الدقيقة والمهمة من قبل المجلس المحترم، ونحن نعتقد أن أهالي أذربيجان لو نظروا نظرة صائبة بفكر واع في تدير الأمور سيوافقون على ملاحظات المجلس هذه، ولن تثبت مساعي المجلس المحترم لحفظ الاستقلال الوطني أثناء نظره في هذه الإجراءات. والأمر الآخر، إنه - لا قدر الله - لم يعلم لأهالي أذربيجان أنهم أنفسهم مكلفون برعاية المسائل الشرعية سالفة الذكر فإنهم في هذا الموضوع المهم المحاط بأنواع المشاكل والملحظات الشرعية والافتراضية لا يشعرون بضرورة الحبيبة لأن مجلس الشورى الوطني - وهو اليوم مركز السلطات والإدارات - لا يستطيع ترك الملاحظة التامة على إحدى بقاع إيران فقط لرعاية الميل والسليقة، وللأسف فإنه نظرًا للاحتشاد في تبرييز يتم إلقاء أسباب استقلال إيران التام في الخطر، ولمما كان ذلك يخل بما هو آتي.
وبالمرجو وراء هذا الهدف، فيجب على الجمعية المبجلة أن تقنع أهالي أذربيجان الغوريين بالموضوعة الحسنة والقول اللين، وأن يمنحوا الوقت والفرصة لأعضاء مجلس الشورى الوطني، فربما تثير جهودهم بشيء الله.

(يحيى، مرتضى قلئي، مستشار الدولة، شرف الدولة، وثوق الدولة، ميرزا آقا محمد، أحسن الدولة)

واهتجت هذه البرقية في عصر ذلك اليوم، وقدمت إلى الأهالي، ولم يستحسنها أهالي تبريز ولم يتزعموا بها، ولكي يعرفوا عن صمودهم حضروا خيمة كبيرة ونصبوا في فتنة مكتب البرق، كما نصبوا بعض الخيام في فتنة دار المدفعية المجاور لهم، واختار المجاهدون حجرات لهم وافترشواها، وأحضر الرواد الأباقر والقليوب وغير ذلك من منزلهم، ولكي يخبروا طبران بصمودهم أرسلوا البرقية التالية:

"إلى النواب المحترمين، نحن نشق عليكم بالتعليم على البرقية المطولة لجانب السيد معظم، وكم عظيم الشكر لما قمتم به من شرح لترتب تدويل الدستور وتصحيحه، ويبدو أن أهالي أذربيجان قد أيدوا هذا القدر من البلاحة وعدم الفهم، فما طلبوه واستدعوه كان من قبيل عدم الفهم والإطلاع، ويجدونا في هذا المقام أن نتلى على حسن طن جناب السيد المبجل تجاه نوابنا، والحال أن أهالي أذربيجان قد تحركوا بهذه الثورة العامة في جميع باع الملكة، وحمدا الله حيث وقع ذلك موقع امتحان جميع العقلا والسياسيين ودهشتهم، وحمد الله لم يقع حادث حتى اليوم يؤدي إلى ابتعاد أو خزي لنوابنا المبجلين.

وبهذه المقدمات لم نتوقع قت هذه البرقية القاسية من نوابنا المحترمين، ولأنا صرفا النظر عن كل ما لدينا لتيلم المقصود، وتحملنا كل أنواع اللوم، فلا يزال لدينا قوة التحمل والصبر، لكن طلب الدستور يعد لنا اليوم ذكرى السعادة وحسن
طالع الأمانة والمملكة ونحن نطلب بكل العجز والإنسكار، ولا تلع على أن ينجز الآن وأن يذيل بتوقيع الملك، ولو استلزم الأمر بعد هذه المدة وقتًا آخر، فإن نعترض حتى يتم اتخاذ الوقت الكافى لاستكمال الدستور. هذا وقد قام عامة الأهلاء في أذربيجان بتعطيل جميع أعمالهم الخاصة والعامة، ونحن الآن في مكتب البرق التابع للحكومة وفي دار الدفعية المباركة متشغلون بنصب الخيام، وسوف ننتظر إتمام الدستور والتوقيع عليه، وهم يعتبرون أن مثل هذه الأحداث مما يعرقل إتمام القانون، ولو أمعنتم النظر تلاحظون أن كل الأحداث التي تمت تلك الثورة، إنها كانت بسبب تأخير الدستور وعدم تعيين مهام العامة، فما من شخص محكوم بدون معينة قانوناً، وحتى لا يفسر هذا النوع من الإضراب والثورة العامة والتحصن في مكتب البرق المبارك وما حوله في مجلس الشورى الوطني المحترم على أنه نوع من الفتنة والبلاء، فنحن نعرض صراحة إنه في أي وقت يتوقف فيه هذا الشعب المسكين عن العمل ويتحصن في مكتب البرق لن تقع بأي وجه قطعة أحداث غير لائقة. لكن بخصوص تعطيل لائحة الجمعيات المحلية التي انتهت منذ فترة ولم تزين بتوقيع الملك حتى الآن، فإننا نقولون عن سبب تأخيرها، ولم يجب أن يبدى الوزراء العظام كل هذا التساهل والتذرع في التوقيع، والحديث الأخير الذي نورده إنه طالما لم يوقع الدستور ولاية الجمعيات المحلية بتوقيع الحكومة، فإن ننفض عن الاضراب عن العمل وعن الثورة.

(عامة أهلية أذربيجان)

ورد من طهران رد التالي:
لم يكن الغرض من برقيات اليوم المطول – لا سمح الله – نسبة النقص في الفهم إلى النواب المحترمين، إنما الغرض الأساسي هو توضيح أسباب الإطالة في تصحيح الدستور وشرحها، وللحد من سوء السمعة التي قد تسري إلى الأطراف بشأن الدستور كان من الضروري أن يشرف على الدستور في كل بند من بنوده السادة العلماء الأعلام بشيء من الدقة بذلك التفصيل الذي عرض صباح اليوم فيما
يتعلق بلائحة الجمعيات المحلية، حيث لم يُلحظ قط أي إفلاس أو تساهل من قبل الحكومة، ولم يمر أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام حتى أنهزت القراءة الرابعة لذلك اللائحة وأرسلت للتوقيع عليها، ومجلس الوزراء متشغول بالنظر فيها بسعى حثيث، وإن شاء الله ستمر خلال يومين أو ثلاثة ليوقع عليها الملك.

فضلًا عن ذلك، شملت لجنة أخرى مشغولة كل يوم في المجلس بتصحيح لائحة الحكام التي تتألف من خمسة عشر بنداً، وكان حسن سلوك أهالي آذربيجان خلال تلك الفترة مما يوجب ثناء العامة ومدحهم، وكان باعتُهم لفخر نواب آذربيجان، وفي الغالب إن عرائض خدام الأمة المجيدة في إسكات الثورة العامة وإزالة الاضطرابات هي لمجرد حفظ هذا الشرف وذلك الامتياز الذي اكتسبته آذربيجان، ولم ون نرغب في أن نتفقد مثل هذا الفخر العظيم بسهولة، ونحن في هذا الموقع نثق كل الثقة في نجاح أهالي آذربيجان المحترمون الذين لن يثرووا قط علو مقصدهم وشرفه بهذه الاضطرابات الوضيعة، لكن طالما أن أهالي تبريز قد توقفوا عن العمل، ونصبو النزاع حول مكتب البرق، فكان من البدائي أن يتم التعبير عن التقلق من قبل المجلس والحكومة الذين لم ينفرعوا لذلك وانشغلا في تنظيم اللوائح وتدويرها، ونحن نعرض عليكم الآن أن نمضى حتى نهي أسباب تسريح الأوامر الخاصة باللوائح واستكمالها، والرجاء الآخر أن يتعاون أهالي آذربيجان المحترمون معنا، ولا يصبروا باعتُهم لتثبيت الأفكار.

(نواب آذربيجان)

وبعد قراءة هذه البرقية ساء ظن بعض الرؤساء، واعتقدوا أن هذه البرقيات لست من قبل نواب آذربيجان، وظنوا أن رجال البلاطهم الذين كتبوا وقدوها إلى عامل البرق باسم النواب أو باسم بعض رواد الحرية وأرسلوها إلى تبريز، وما زاد من سوء ظنهم أن اسماء النواب لم تذكر في البرقية الأخيرة، كما وقعوا في الدهشة من عدم قوذم تقي زاد إلى مكتب البرق ومن تنحى سعد الدولة.
ولما استفسروا عن ذلك برقيا وصل الرد بأن تقوى زاده أصابته وعكة، وأن سعد
الدولة تنحى من تلقاه نفسه.
واليوم، كتب بعض المجاهدين وغيرهم الرسائل وطبعوها ووزعوها على
الناس، وقبل في إحداهما:
"إذا ما وجب أن يذبح الدستور بتوقيع العلماء، فتمشى أشياء كثيرة يجب أن
يوضع عليها العلماء لأن حكمهم هو الأساس في القانون، والقانون فرع في هذا
الأساس." 

وكان مقصده هو ملك محمد على ميرزا، حيث كانوا يقولون إنه ينبغي أن
يكون ملكه مواقعة العلماء. وكانوا يقولون كذلك: "إذا ما كنا نريد حكومة شرعية
ينبغي أن تكون من جذر سليم." 

ولاح النواب من طهران وكانوا يطلبون الرد، كانوا يريدون أن يتجاوز
أهالي تبريز عن سوء ظنهم بكل من محمد على ميرزا والأتراك، ويفتحوا الأسواق
وببضى الناس إلى أعمالهم، إلا أن أهالي تبريز كانوا يريدون مثل هذا الصمود حتى
انتهى ذلك اليوم على هذا النحو.

صعود تبريز:
من غد يوم الثلاثاء اتجه الناس إلى مكتب البرق، ولما كانت الخيمة التي
أقاموها صغيرة، ولم تكفي لحماية الناس جميعهم من هطول المطر المتلاحم،
أقاموا خيمة كبيرة كان حاجي محمد قلي - أحد التجار - قد أحضروا للازمة
الروضة فيها، واليوم أبرقو إلى نواب آذربيجان في طهران بالبرقية التالية:
"إلى السادة نواب آذربيجان المحترمين، نعرض عليكم بكل الاحترام أن
الإجراءات اللازمة بالوضع الذي تتصورونه قد عرضت على الشعب من الأمس
وحتى الآن بكل لغة وبيان، ولكن تأتي نتيجة فقط في مواجهة الإرادة العامة،
وخصوصاً أنهم كتبوا لائحة تقترب من هذا المعنى وقدموها إلى أعضاء الجمعية خلال هذه الفترة ولم نرفض الأوامر في كل ما عرضتموه على الشعب واعتبرتم أن فيه الصلاح، ولن نحتقى أو نتمرد ما حسبنا بناءً على وكالكم لنا، لكن في هذه الأيام الأخيرة تثبت لنا نحن الشعب بالقرائن الدامغة أن عرائضكم لم توفق في ظهران أيضاً لأنهم لم يبقوا قط حتى اليوم بكل جزء من المطالب التي عرضها نواب آخرين المجلين، بل إنهم اعتبروها غير جيدة بالأصضاء إليها.

وبنحن أفراد الشعب لم نفهم أي معنى لمجلس دار الشورى الكبير والجمعيات المحلية، وباختصار نعترض صراحة أنه طالما أن الدستور لم يوقع عليه من قبل الحكومة أو الملك لن تنصرف عن الإضراب العام، ونطلب منكم أنتم نوابنا ألا تجذبا الطلبا ثانية في هذا الشأن ولا ترهم أنسكم، والآن انتهى العرض بهذا الترتيب، وقَّسماً بالحقوق الإسلامية وجميع الأنباء والأولياء أن إسكات الأهالي وإقنا العامة أمر خارج عن سيطرتنا نحن العبيد، ونحن نطلب من سيادكم أن تتخذوا إجراء جاداً وصحيحاً، وتعلموا جيداً أن الأهالي أعدوا الرواتب الشهرية الخاصة بهم، وهم ينتظرون دوماً استكمال أساس التحصين والمطالبة بالدستور، فما الضرر إذا ما سألتم مجلس دار الشورى وأولى الأمر في الدولة بريقياً عن وضع المدينة الراهن والاضطراب العام حتى يعلم أن ما عرضناه لا يعد عشرأً من ألف مما وقع، والامر بعد ذلك موكول إليكم. وبالفعل لم يصدر عنا نحن العبيد سوى عرض مطالب الشعب لأن الوعود والشهريات جعلتنا نواحي الأهالي، ونحن لا نريد إظهار الخفائيا عليهم، ولما حضرتم بالأمس في مكتب البرق، حيث إن مجلس دار الشورى لم يستطيع التغاضى عن الملاحظات العامة لإحدى بقاع إيران، وكان جواب الأهالي أنه ربما صرف أهالي آخرين نظرهم عن إجراءاتهم أو لا فقر الله - أن سائر أهالي مملكة إيران المحروسة لم يساهموا أو يشتركون في جميع مطالبهم، حيث إن مجلس الشورى يريد أن ينسب ذلك الأمر إلى أهالي آخرين.

(جمعية تبريز الوطنية)
واليوم، كان ازدحام الأهالي شديدًا حتى ضاقت بهم مكتبة البرق ودار المدفعية والمناطق المجاورة بها رغم ما لها من سعة، واضطرروا أن يستأنفوا في شغل منزل مجاور وفرشو وجعلوه مقرًا للأهالي.

واليوم، فضلاً عن الجمعية المحلية، أرسل التجار والأئمة - كل على حدة - برقية إلى النواب، وكان الأهالي يروجون ويفدون زرافات زرافات في الأفونية، أثناء ذلك كان بعض الوعاظ وغيرهم يخطبون فيه، وفي الظاهرة وصلت البرقية التالية من طهران:

"لقد قدمنا شرحاً لسبب تأخر الدستور خلال عشرين أيام حيث تم انتخاب لجنة وشغلت خلال شهرين بإعداده، وانشقت لجنة أخرى لعدة أيام كى تتفتح، لكن بعض بنوده تحتاج إلى النظر فيها من الناحية الشرعية، لذلك فإن اللجنة الثانية - المكونة من السادة حجي الإسلام وبعض العلماء الأعلام والعلماء ونواب أذربيجان وغيرهم - تسعي وتفج منذ أيام للموازنة بينه وبين الأحكام الشرعية، وإذا ما كان الهدف من سن القانون هو أن يبقى دون تنفيذ فإن السهل اليسير أن يتم المجال صراحة بعدم العناية بتطبيق الشرع المطهر، ولقطعنا النقاش اليوم مع السادة العلماء الأعلام وبلغنا به توقيع الملك، وإذا ما كانت الفائدة من القانون تحصر في تأمين التنفيذ مع سوء السمعة التي سبقت، فإنه لن يقع قط مثل هذا القانون في مملكة الإسلام موقع التنفيذ قبل مطابقته مع قوانين الشرع المقدسة. فحدثنا لنا مهمتنا، فإنا أن نخدم الاضطراب العام، ويمضى الناس إلى أعمالهم، فيصموا وينتهوا الفرصة، ولئذ تؤدي السادة العلماء الأعلام مهمتهم على وجه السرعة، وأن تزال حالة سوء السمعة هذه، وإنا أن نوضحوا بأنه لا ينبغي أن يكون وفق الشرع المثير فنطيع على الفور ونرسل اليوم إلى توقيع الملك.

(حضور مكتب البرق: إمام الجمعية، مستشار الدولة، محمد إسماعيل)"
وصل كذلك رد إلى العلماء والتجار يقترب مما ذكر سابقاً، وزادت هذه الردود من غضب أهالي تبريز لأنهم كانوا يخشون أن يقع الدستور في يد العلماء، فلما أنهم سيخرجون عن إطاره وتبعوا قانونا آخر لا قيمة له، وإما أنهم سينقسمون إلى فرقين ويقبن بالحجة في يد الدولة، هذا وقد قاموا ببحوث معارتب
عن سخطهم، وكانوا يقولون:

ربما يريد الشعب من الدولة قانوناً للمذهب والعبادة، وهذا ما يحتاج إلى المباحثات العلمية، نحن نريد دستوراً ملكياًذا حكم نبائي مما يجري في جميع الدول النبوية، وقد قدم برسولاً القانون الشرعي منذ ألف ومئة سنة، وهو بين أدياننا.

كان هذا الحديث يصدر عن الرؤساء، ويغلق للأعمال على لسان الوعاظ
وكان يعني تحية الشريعة جاءت، لكن الوعاظ وكثيرين غيرهم لم يعوا ذلك وكانوا يريدونه عن غفلة. لقد أظهروا ارتياحهم بالقانون والحكم النبيي وكانوا يغونه، لكنهم لم يغزوا الطلبه عن الشريعة. أما الأمة الذين كانوا في تلك الأوقات يؤدون المطالبين بالحكم النبيي وكانوا يبركون إلى طهاران في طلب الدستور، لم يكن معظمهم يدرك مفهوم الحكم النبيي ولم يعلقوا به، وفي هذه الفترة، حينما رحل حاجي ميرزا حسن وغيره من المجتهدين، وفتح الميدان لهم، سموا لذلك، وما أن شاهدوا الانتفاض الناس حولهم حتى زاد سرورهم، وكانوا يبنون كل ما يريدون، وكان الأحرار يكتبون تلك البرقيات دون أن يعلموا مفهوم الصحيح للحكم النبيي والدستور، لكنهم دونها فقط حرصاً منهم على أن يدخلوا في زمرة العلماء.

واليوم، أي المغفور له ثقة الإسلام إلى مكتب البرق وتحدث على النحو التالي:

ليس الهدف من القانون اختراع شرع جديد، بل ينسخ قانون الشريعة المحمدية، وليس لأحد الحق في التدخل في هذا الشأن سوى حكّاج الإسلام والعلماء.
الأعلام، ولن يكتب قانون في هذا الشأن، فالأحكام الشرعية هي نفسها كما هي وسوف تستمر حتى نهاية العالم. وما يريد الشعب ونوابه أن يجعلوه تحت نظر حجج الإسلام في طهران هو قانون سياسي وملكي من قبل تعين حقوق السلطة، وتحديد حدود الحكام، وسياسة الدولة مع الدول الأجنبية، ومنع التعدٍ، وحفظ حقوق رعايا إيران والضرايب وغير ذلك مما يسعى فيه حجج الإسلام في طهران سعيًا حثيثًا مع العلماء ونواب الأطراف. وإذا ما كان هناك أمر يتعلق بالشريعة المطهرة فيجب أن يكون مطابقًا لها....

وكان هذا بعيدًا بما كان يفكر فيه رواد الحريه خاصة من زار منهم أوروبا، وهذا نفسه ما ذكرناه من أقوال كل من آخوند خراساني وحاجي الشيخ مازندراني، وذكرنا كذلك أنهما لم يكونا على دراية بالمفهوم الصحيح للحكم النيابي ومدى توافقه مع الشريعة.

ومنذ أعقام وجدت في إيران حكومتان، إحداهما عرقيه والأخرى شرعية، وتعابشتما معاً. وقد أقرّوا الحكم النيابي بدلاً من الحكومة العرفيه، وكانوا يظنون استمرار الشريعة وبقاءهما معاً.

وأرسلت الجمعية المحلية البرقية التالية حتى تدرك طهران ثبات أهالي تبريز على أقوالهم وصمودهم، مفادها:

"إن مفهوم برقيات سيداتكم قائم على منح المهلة عدة أيام لإتمام الدستور، ومن دواعي السرور أنكم فرضتم على الشعب أنه سيتم استكمال الدستور خلال أيام وسياح التوقع عليه من قبل صاحب الجلالة الملك، وقد تم الإشارة صراحة أن العامة منتظرون في مكتب البرق بكل طمأنينة وهدوء، وأنهم لن يتسبوا في وقوع المشاكل لسيداتكم، وعندما يتم استكمال الدستور وتوقع جلالة الملك عليه، فلنرسلوه إلى الشعب كي يبدأ خواطره.

(جمعية تبريز الوطنية)"
كذلك أرسل الأعيان والأمراء - كل على حدة - برقية وأثبوا عن شدة الثورة، ووصلت اليوم برقية من إصفهان ورد فيها أن هناك قومًا قد ناروا وقدوهوا إلى مكتب البرق وضموا أصواتهم إلى تيريز.

وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من أردبیهشت (الثاني من ربيع الآخر) أغلقوا الأسواق كذلك، واجتمع الناس في مكتب البرق والمناطق المحيطة به، وكما ترقبون وصول برقية طهران، وأرسلت الجمعية الرسالة التالية للنواب وطلبت استدعاءهم إلى مكتب البرق:

"إلى السادة نواب آذربایجان المجلين دام تأييدهم، (إن يدكم لبعيدة عن النار)
لقد بلغت الثورة والاضطرابات المطالبة بالدستور مداها، ولم ترسلوا ردًا على برقية الأمس إلى الآن، وهم يعتبرون التأخر في الرد من قبل عدم الاهتمام، وهذا ما يستوجب حضوركم إلى مكتب البرق لتقديم الرد حضوريًا." (جمعية تبريز الوطنية)

كذلك أُرسل العلماء إلى علماء طهران، كما أُرسل الأمراء والأعيان إلى الآتاك وأوضحوا مدى شدة ثورة الأهالي وجلبهم، وكان تلاميذ المدارس يروحون وينموه وهم يترنحو في أيديهم حمر الأعلام. وفي الظهيرة وصلت البرقية التالية:

"جنب السادة العظام دام إجلالهم، إن سن القرائن وتوقيعها من المهام الواجبة لنواب الأمة، خاصة وأن مواطنينا الأخزاء وإخواننا الغيرين بكابون من ويلات الثورة والجلبة ما يفوق طاقتهم من أجل المطالبة بهذا القانون، واشن شهيد في هذه الأيام على أن أهالي تبريز الغيرون قد سلبو الراحة من أنفسهم وسلبوا إياها للحصول على حق من حقوقهم المسلم بها، لكن كما غُرض مسبقًا ممّا أدركه وتكار إلا أن الدستور لم يتتخذ الموافقة عليه من قبل مجلس الأردن إلى الآن كي يُوقع عليه، وفيما يتعلق بسوء الظن الذي في آذربایجان تجاه مجلس دار الشورى فيما يختص..."
بالدستور، نوضح أنه من الضروري أن تتسم مطابقة بنود الدستور بالشرع المبين في مجلس يتألف من السادة حاجب الإسلام والعلماء الأعلام، وهم مشغولون منذ أيام بذلك، ونحن في حيرة من حال خدام الأمة فيما يتعلق بهمهم، ولا يمكننا أن نقول للسادة العلماء الأعلام أن يصرفو النظر عن المطابقة، ولا يقبل إخوانا الأعزة من آهالي تبليز رغبتنا في أن ينصرفو في الأيام التالية إلى أعمالهم وأن يمنحوا المهلة كي يمر الدستور من هذه المرحلة ويتم التوقع عليه.

(بubi, تقي زادة، مستشار الدولة، حاج ميرزا إبراهيم، محمد، ميرزا آقا)

ولما تلقت هذه البرقية على الأهالي، استمعوا وقالوا:

ليس هذا ردًا على برقيتنا، ينبغي أن نستقر سرًا من نواينا.

وكان المغفور ميرزا علي ويجويه اي والشيخ سليم وميرزا حسين - كل بدوره - يقدم النصائح للأهالي ويحاولون تهدئتهم، وكانوا يقولون:

من الأفضل منح المهلة لعدة أيام. ولم يرتد الأهالي وقاموا بالجلبة والصباح.

ووصلت اليوم برقيات من شيراز والرشت وانزلی وسلام ومراغه وأرومی و всکلک من المدن الأخرى تفيد بأن غلفوا الأسواق في تلك المدينة وانضموا إلى تبريز. وكانت الثورة والحركة جد عظيمة في الرشت وانزلی، حيث كان المجاهدون يروحن ويغدون بالطبع والأبراق. وقد زادت هذه البرقيات من ثورة الأهالي وحميتها. وبعد أن أشدت الأمر عليهم اقترح الرؤساء أن يستفسروا من طهران ثانية عما إذا كان سيتم الانتهاء من الإعداد للدستور خلال عدة أيام حتى يبدأ الأهالي في مكتب البرق ويجدودهم الأمل، وأرسلت الجمعية البرقية التالية إلى طهران في هذا الشأن:
الأسف أن الأهالي لم يتقبلوا حديث سيدتهم وعرفاضكم، فكم ذكرنا بالأمس أن الدستور سوف يُعرض على السادة حجج الإسلام خلال أيام حتى يتم إسكات الأهلية بتحديد المدة، فاستقاتوا في مكتب البرق في هدوء تام على أمل توقيعه، وهم في انتظار البشارة بتوقيع الدستور.

(جمعية تبريز الوطنية)

وردت طهران بالرد التالي:

"للزم على الأقل عشرون يومًا لكي تنجاز اللجنة مهمتها في مطابقة البنود للشرع المبين وقراءة تلك البنود على المجلس، وبعد الموافقة على المسودة ترسـ للتوقـ عليها، ثم يتم النظر فيها من قبل هيئة الوزارة ثم تصل إلى الملك للتوقيع عليها. ونحن نسعى سعياً حقيقياً حتى يتحقق الهدوء لمواطننا الأعزاء في أسرع وقت، ومنضمي الآن إلى المجلس لإنجاز هذه المهمة، لكننا لا نستطيع أن نرتكب توقف إخواننا المحترمين عن أعمالهم وأن يعانون من هذه الخسارة، سنمضى ونطلب من نوابنا المحترمين أن يبذلا الجهد لإخماد الثورة العامة.

(مستشار الدولة، يحيى، فضل علي,
تقي زاده، شرف الدولة، إبراهيم،
محمد، ميرزا آقا)

وفي يوم الخميس أزدادت الجلبة والثورة كلام زاد احتشاد الأهالي، فقد اعتبر الأهالي الدستور حلاًً لجميع مشاكلهم، وبالغوا في أهميته وقيمته، فإذا كانوا يعتبرون عدم منحه هو قضاء على الحكم التباني، هذا ولم يروا حلاًً سوى الإلحاح في طلبه، وكلاهما رأوا من طهران مقاومة أكثر كانوا يزدادون ثورة وغضبًا.

في تلك الأثناء كان احتشاد أهالي تبريز المطالبين بالحكم التباني، كانوا جميعهم على رأى واحد، يؤدون بعضهم البعض، ولما لم يقروا لنا لم يدخروا وسعاً
في الضغط للمطالبة بالقانون، وكانوا يعتبرون ضغتهم هذا هو دورهم، وكانت طائفة المجاهدين ذات شوكة وقوة، وقد حملت على عاتقها مسؤولية السعي للحفاظ على الحكم النيابي، واعتبرت ذلك هو دورها.

وقبل اليوم في بعض النواحي إن النساء قد اجتمعن في المساجد، وأعلن عن ثورتهم وحMJحتهن. كما أفادت الأباء بأن المجاهدين الجدد قد أعدوا أنفسهم للتوجه صوب طهران، ومضى مير جواد گرگري - إمام تلك الناحية - مع آخرين كي يمنعوه، وأرسلت الجمعية مرة أخرى الربما التالية إلى نواب آذربائجان:

"السادة نواب آذربائجان دام تأييدهم، لم يُقد بوضع الثورة في المدينة منذ صباح اليوم، إن جميع أهالي المدينة في حال ثورة، حتى طائفة النساء والأطفال الرضع، وقد نفذ صبر الأهالي وتحملهم في المسجد، وبلغ الاستياء مداه، وليس في الإمكانيات تهدئتهم، فلنفعل منع الله تعالى علينا برحمته.

(جمعية تبريز الوطنية)

وررد الرد التالي من طهران:

"الجمعية الوطنية الموقرة، بالرغم من أن سيادة حجة الإسلام السيد المحترم عبد الله المجاهد دامت بركاته كان متوعداً إلا أنه حضر منذ الصباح مع طبيبه وأدويته بناءً على استدعائه، وهو الآن مشغول مع سيادة المستطاب حجة الإسلام السيد المجاهد محمد المجاهد دامت بركاته والسادة العلماء الأعلام في المطالبات، وطالما لم يتم أمر المطالبين لزم أن يستتروا في المجلس لبضعة ليلات دون عودتهم إلى ديارهم، ونأمل أن يتم إنجاز مطالبتهما الدستورية بشكل جاد بأسرع وقت ممكن، وتعهد السادة حجج الإسلام دام تأييدهم وكذلك مجلس الشورى الوطني ببذل المساعي كي لا يتأخر تصويت الحكومة وتوقع الملك. وأن يخلصوا مرتين الشعبنا الأعزاء في القريب العاجل من شدة الانتظار والاضطراب، لذا نستوجب مهلة..."
بضعة أيام، وأن يمضي إخواننا الغيرون إلى أعمالهم وأن يحسنوا الظن في خدام
الأمة بأننا مشغولون لخلاصكم من الفلاقل والاضطرابات.

(حضور المجلس: فضل على، مستشار الدولة، تقى زاده، إبراهيم)

ومرة أخرى أبرقو من تبريز إلى السيدين وحاجي شيخ فضل الله يطليون
منهم المبادرة في إتمام الدستور، فقد السيدان ردا مخزومًا، وكما قيل كان بهبهاني
متوعدًا ورغم ذلك قدم إلى المجلس للتحاكي حول الدستور، فأبرقو إليه داعين له
بالشفاء شاكرين.

وفضلاً عن هذا كله، استفسر من النواب سرًا لاسترضاهم، فأجابوا أن
البرقيات التي وردت خلال الأيام السابقة صحيحة، وطلبوها مهجة أخرى لاستكمال
الدستور خلال عشة أيام، وارضي الأهالي هذه المهلة، لكنهم قالوا:

 لن نفتح الأسواق وسنبقى هنا خلال العشرة أيام هذه، وإذا ما منح الدستور
سنرحل عن المكان.

وعلى هذا النحو أبدوا تشبيهم بأقوالهم.

التغييرات التي اجتهدها العلماء، بالقانون:

نعود الآن إلى طهران: كما أشارنا اتخذت قضية الدستور في هذه المدينة
طابعًا آخر، ففى الوقت الذي كانت تبدو فيه العديد من المدن ثورتها للمطالبة
بالدستور انقسم الأهالي هنا إلى فريقين تبعًا لانقسام العلماء، وأبدى فريق منهم ميله
للشريعة وتأييده لها، لذا لم يكن اهتمام معظم النواب بهذه القضية، ولم يفهموا معنى
الثورة المدن وحيلتها سوى إنها إثارة للقتال. وزاد صنع الدولة - رئيس المجلس
الذي كان يبدي دومًا تأييده للدولة - من مسلكه في هذه الفترة، وكان يظهر استياءه

45
من تلك الثورات. وكما أسلفنا أبدى بعض النواب تأييدهم للشريعة، وكانوا يردون
بشجاعة، وكان الآخرون يلزمون الصمت خشية.
وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من أرديبهشت ظهرت هنا أيضًا
انتفاضة، حيث تشكلت جماعة من النساء وتوجه إلى المجلس للمطالبة بالدستور،
وهذه هي المرة الثانية التي أبدت فيها نساء إيران المخدرات مؤازرتهن لحركة
الحرية، وفيما يبدو أنهن قد أثرن.
ولم يهتم المجلس أيضًا بهذه الظاهرة، ورد على النساء بقوله:
"إن لكن من يحضرسكن".
ومن الغد جعل صنيع الدولة من ذلك عذرًا وطالب بتحييته من الرئاسة.
وكان الحديث يدور حول جماعات بين العلماء والنواب بشأن الدستور،
وضاعفوا من جهدهم في هذا الشأن بعد وصول برقيات تبريز وغيرها من المدن،
وابدوا في إنجاز هذا الأمر، ولكن كما كان الظن قدم العلماء المطالبون بالشريعة
بعض الانتقدادات، واعتبروا على بعض البنود. ففي البداية انتقدوا البند الثامن
الذي ورد فيه:
"يساوي أهالي مملكة إيران أمام قانون الدولة".
وقالوا:
"لا يمكن مساواة المسلم والكافر في الدنيا والحدود، فإذا ما قتل مسلم يهوديًا
أو زرادشيًا أو كافرًا لا يمكن معاقبته بالقتل، وينبغي فقط أخذ الدنيا منه".
ثم انتقدوا البند التاسع عشر الذي يقول:
"يتعين أن ينفق على تأسيس المدارس من مصروفات الدولة والشعب،
والترويج الإجباري يجب أن تكون مطالبًا لقانون وزارة التعليم والمعارف".

46
وقالوا:
"إن الرسوم الإجبارية تتنافى والشريعة.

كما انتقدوا البند العشرين الذي ينص على:
"إن جميع المطبوعات حرة فيما عدا كتب الضلال والكتب التي تلحق
المضرة بالدين المبين، والتمييز بينهما ممنوع.

وقالوا:
"ينبغي أن تكون تحت رقابة العلماء.

وانشر الجدل حول هذا الشأن في الخارج، ونشرت المقالات في بعض
الجرائد، والأكثر من ذلك أن دار حديث فيما يختص بالبند الثامن، وكتب
الزرادشت بنون - الذين علّمنهم في هذه الفترة - الرسائل إلى المجلس يطالبون
بالمساواة، وكتب أحد الكتاب في صحيفة "الحلب المتباه" بطهران في هذا الشأن
يقول:
"لو أردنا ألا نتفذ حقوق المساواة سقع في محذرات عظيمة، إحدى هذه
المحرارات أن المجوس، واليهود والأرمني إذا ما لاحظ أن قيمة دمانه تعالد ما
يقرب من خمس وعشرين طوماناً(1) في القانون، فلا أظن أنه سيشعر بالانتماء لهذه
الأمة، وهذه السلطة وهذا القانون، وسوف يرفع عقيرته بالشكوى إلى نواب الدول

(1) يعيش أهل الكتاب أو اليهود والنصارى والزرادشت - وفقًا للدين الإسلامي - في المدن الإسلامية تحت
راية المسلمين، ويطلق عليهم أهل النمه، وإذا ما تمّ مسلم أحدًا منهم لا يمكن أخذه بالعنف، وعليه
تقيم ديتاً مقدارها ثمانية درهم، وإذا ما كان القليل أجرًا تكون الديتا أربعة درهم، والدروهم علامة
فضية كانت تروج في ميدان الإسماعيلية تعادل حوالي ثلاثة جرامات وزن، وإذا ما قارننا القيمة ستزيد قيمة
الثمانية درهم على الألف ريال لكن في ذلك الميدان الذي راج في هذه الحقيقة كان سعر الوضع أقل
بقدر مما هو عليه الآن، إذا كانوا يعادون الثمانية درهم بمانى خمسين ريالًا أو خمس وعشرين
طومانًا.
الآخرة قائلة: "ما هو تقصيرك كي يكون دمي أنا الإنسان أقل قيمة من دم الحيوان؟ وإذا ما أجد ناس يتأثرون من أهل الكتاب ولا يتعاطون روح الإيمان، وعليه فقيمتك هي قيمة الحيوان. فسوف يرد قائلة: "لم يكن أحد القساوسة الألمان(1) الذي كان من أهل الكتاب(default_value: 'الآخرين') وقدمهم فيه ديدا مقدارها خمس وستين ألف طومان. كيف نحكم على شخصين من أهل الكتاب والأمة بأن يأخذ أحدهم خمسة وستين ألف طومان ويحصل الآخر على خمسة وعشرين طومانًا! أحدهما تضاءى قيمته ستين مسلمًا، والآخر تعادل قيمته حمارًا صفيريًا صغيرًا. هل هذا من الإنسانية؟ من العدل؟ والمحدود الآخر هو ما يجعلنا نتساءل، هل القانون الذي يحوي مثل هذا الكم من التبليغ ستتم الموافقة عليه من قبل منظمة حقوق الإنسان؟ وأي قيمة ستكون لرعايا تلك الدولة في الممالك الأجنبية؟...."

وكان السيد فضل الله يريد أن يكون المجلس تحت إمرة رجال الدين في كل شيء، وقد أعد بناء منذ شهرين إضافته إلى الدستور، وكتبه بخط يده ووضع نصاً منه بين الأهالي، ويلج الآن في طليبه هذا، وما كتبه: "مجلس الشورى الوطني المقدس هذا الذي أسس برعاية حضرة الإمام العصر عجل الله فرجه، ورحمة صاحب الجلالة ملك ملوك الإسلام خلد الله سلطانته، وإشراف حجي الإسلام، ورعاية عامة شعب إيران لا ينبغي أن تكون نودده المحكمة في أي عصر من العصور مخالفًا لقواعد الإسلام المقدس والسنة الموضوعة لحضرۃ خير الأنام عليه الصلاة والسلام، وينبغي أن يكون تحديد مدى موافقة البنود الخاصة بقوانين مجلس الشورى الوطني الموضوعة لقواعد الإسلام جمعية (لجنة) من العلماء الأعلام دام الله بركاتهم وجودهم، لذلك فقد تقرر تشكيل جمعية (لجنة) من الطراز الأول تتألف من المجهدين والفقهاء من رجال الدين في كل عصر من العصور حتى يتم التباحث حول قوانين المجلس الموضوعة بدقة من خلال تلك اللجنة قبل إقرارها. وإذا ما كانت القوانين الموضوعة مخالفة لأحكام الشريعة لن

(1) كان قسمًا إنجليزيًا.
يكون لها الشكل القانوني ويكون أمر اللجنة العلمية في هذا الشأن مطاعم ومتبعًا،
ولن تقبل هذه المادة التغيير قط.

(السادس من ربيع الأول)

ووذا ما تم استحسانه من قبل بعض رجال الدين والمطالبين بالشريعة وأبدوا
تأييدهم له. وأطلع البعض علماء النجف بصورة منه في إحدى البرقيات وكانوا
يريدون الفتوى، وفي تلك الجلسة جعلوه البند الثاني من الدستور.

هذه التغييرات تم إعداد المتمم للدستور، وفي يوم الأحد الثامن والعشرين
من أردبيهشت - السادس من ربيع الآخر - كانوا يطالبون به في المجلس، وقالوا
إذا النواب قاموا بتصحيحه وتم إرساله إلى الملك للتوقيع عليه.

وأستناواب نواب آذرباجان حينما علموا بحقيقة الحال واتتقوا فيما بينهم أن
يحولوا دون تلاوته في المجلس يوم الأحد، لأنهم كانوا على علم جيد بأنه إذا ما
تقد سيفاق عليه معظم النواب وبذلك تنفس الأمور.

وقدد المجلس شجاعة، ولم يعد قادرًا على الصمود، أما أتباع الشريعة -
سوا في المجلس أو خارجه - فقد عدوا ذلك كفراً. وفي يوم الأحد، حينما دار
الحديث حول الدستور، قال تقي زاده: "ينبغي أن يتلى ثانية في اللجنة حتى يمرر
على المجلس.

وانتقدت الشيخ حسين شهيدي، قائلاً:

"هؤلاء السادة هم أنفسهم الذين كانوا يقولون قصد الحال في نيريز والرشت
وزنجان، والآن كيف يقولون ينبغي أن يتلى ثلاث مرات؟! فلو كان الهدف من هذا
الإصلاح في التغيير هو مخالفات الشرع، هذا حال. ولو كان الهدف هو تطبيق
قوانين الشرع، فليس في الإمكان التصحيح والتتقين أكثر من ذلك.

فرد تقي زاده وألح، ولم يُثل الدستور، وعلى هذا النحو كان الخلاص من
ضرر كاد أن يحدث.

49
مظالم ابن رحيم خان:

שמח أحداث أخرى كانت تقع في أذربيجان في هذه الأثناء، أحداث ترفع
النقاب عن مسواة الشاه، وكيفية ذلك أنه لما كانت تحدث بعض الاضطرابات في
محلة قره داغ وقع نزاع بشأن دفع الضرائب وحق الملكية، وكثر ما كتبوا بذلك
إلى الجمعية، ولم تتفاقمت مشكلة الخيبر في تبريز، أرسلت الجمعية محمد قلی خان
- أحد رؤساء قره داغ لكنه كان يعيش في تبريز وكان يبدى مطالبه بالحكم النيابي
آذان ذلك - ومعه مير يعقوب ماجد وغيرهما إلى هناك لنهدي الأمر ونقل الغلة إلى
المدينة.

وفي يوم السبت السابع والعشرين من أردبيلشت (الخامس من ربيع الآخر)
حيث كانت الأسواق مغلقة والناس يجتمعون في مكتب البرق دخل فجأة مير يعقوب
وأتيهام:

تم انتخاب حسين باشا خان في أروم دل، ومنح رحيم خان الغلة ووقع
عراق مع مبعوثي الجمعية، وتعاطف الأهالي مع المبعوثين ولم يسمحوا بمصرة
تصبيهم، وطلب حسين باشا خان المساعدة من نصر الممالک (بيروك خان) - ابن
رحيم خان - وقدم مع طاقة من الفرسان إلى قرية تخمدان وقتل البعض ونهب
القرية، وكان عدد القتلى كثيرًا، ولجأ مبعوثو الجمعية إلى محلة ورفنق وهم هناك
في ضيق.

ولانتقاض الرؤساء من هذه الأذى لأن مثل هذه الوقاحة من ابن رحيم خان لا
يمكن التصدى لها إلا بأمر من طهران، وعلموا أن البلاط قد استباح لنفسه إرافة
الدماء.

وقره داغ أو ارسلار التي كانت مقرًا للعشيقات قوية ومحاربة، كانت مقرًا
لرحيم خان منذ أعود مع زايل بیگی ورئیس الفرسان، وكان يعيش في هذه الفترة
في كنف محمد على ميرزا في طهران ملقًا بقائد النصرة. وكان يعد من
المقربين إليه. وقد اعتاد هذا الرجل وفراشة على السلب والإغارة، وكانت هذه هي حرفتهم. لكن منح الغلة والعراق مع مبوعة الجمعية وقتل الأهالي لم يكن سوى جزءًا من هذه الأعمال. ومثل هذه الوقاحة لم يكن في الإمكان القيام بها إلا بإذن من محمد علي ميرزا وإتهام بل وبتحريض منهما.

وأفضى هذا الحدث إلى نتيجة، فبعد أن علموا في طهران باجتماع العلماء ومباحثاتهم حول الدستور أدركوا جيدًا أن سوء ظن تبريز تجاه البلاط كان في موضعه، وأن حسن ظن طهران لا محل له، وعلى هذا النحو انتهى النقاد بين المدتين بانتصار تبريز. وقد علم أهالي تبريز أن الأهالي محمد علي ميرزا كان يسعون للإطالة بالحياة النянية كما بدا لهم أن يدق البلاط في التي كانت تحرك الأحداث سرا، لذا كانت الخشية وقتموا في محاولة منهم لإيجاد الحل. لكن أهالي طهران - أو على الأصح قاطنين طهران - لم يكن لديهم سوء الظن هذا، وكانوا يعتبرون خشية تبريز دون داع. هذا وكانوا يسيطرون الأئمة في المدينة واللوم، لكن الأحداث الآن توضع الباعة وراء تلك الخشية، وأظهرت صدق فهم أهالي تبريز للأمور، وكان من نتائج هذا الحدث اتحاد نواب آذربيجان مع تبريز.

حتى لاقت الجماعة عن الأهالي أقوال مير يعقوب لأنهم كانوا مستاءين من أمر الدستور، وزاد هذا الحدث من استيائهم. لكن تم ترشيد الجماعة بريقًا في نفس اليوم للاستفسار عن حقائق الأمر إلى نواب آذربيجان في طهران. وعلى هذا النحو انتهى يوم الأحد والاثنين، وكان الأهالي يستترون في مكتب البرق والمناطق المحيطة به وهم يأملون انتهاء العصاة أيام حتى يسمعوا من طهران بشري الإنتهاء من الدستور، إلا أن الدستور قد تأخر، وكما رأيناه كان نواب آذربيجان أنفسهم يحاولون دون تأئته في المجلس.

وفي يوم الثلاثاء وصلت فجأة البرقية التالية من طهران:
أعضاء الجمعية الوطنية المجلة آدم الله تأليهدهم، إن الدستور الذي خرج
من مطابقة بعض العلماء ليس للمجلس صلاحية المواجهة عليه، إذا فمن المحتمل أن
تضرر لمعد مباحثات طويلة، ونطلب من مواطنينا الأعزاء ألا يغلقوا الأسواق وأن
يمنحونا المهلة لأن في غلق الأسواق المشعرة، وأن نقول في صراحة إنه
بمثل هذه العجلة لا يمكن خلاص أساس سعادة المملكة من هذه المشكلات الجارية.
هذا وقد علم بشكل قاطع أن النواب المبلعين عامة، ونواب آذربابان على وجه
الخصوص يقضون أوقاتهم ليل نهار لإنجاز هذا الأمر، وطالما لم ينجذ فلن يقوم
بأي شيء أخر، ولا شك أن طول المهلة لتقيق القانون واستكمال حقوق الشعب
أفضل من العجلة التي ليست لها من نتيجة سوى المضررة وضمان حقوق الشعب.
(مستشار الدولة – حاجي میرزا إبراهیم
– حاجی میرزا آقا – تقی زاده وهدايت
الله میرزا)
وتآدى الرؤساء من هذه البرقية وعجزوا عن فعل شيء، وكانوا يريدون
لا إظهار ذلك لكن الأهالي حينما علموا بوصول البرقية ألقوها وطابوا بقراعتها،
ولما علموا حقيقة الأمر اشتد اضطرابهم وقاموا بالجلبة والمذمة.
وقال من ظن سوءا بالنواب:
"كننا نعلم أنهم سيرسلون إلينا هذا الرد لتهديئة الخواطر".
ودمت طائفة البلاط وجعلوا يطالبون بعزل محمد على میرزا من الملك،
وكانوا يقولون:
"تحن نريد دستورًا تعين فيه حدود السلطة النيابة وحقوق الشعب وإلا
فالشريعة محفوظة مكاتنها، وكل شخص يعلم تكاليفه الشرعية، ونحن نقول في
صراحة: ما لم يدون الدستور في مجلس نواب العلماء وغيرهم ويتتم تدوينه

52
والتوقيع عليه وتسلمه إلى الشعب، فسوف نقول ما ينبغي أن يقال ونطالب بما لم يطالب به إلى الآن.

واجتمع ما يربو على العشرين ألف شخص، ولمما كانت ترحل طاقة كانت طائفة أخرى تحل محلها، وتحدث المتحدثون من رؤساء المجاهدين أحداثًا متناقضة، وكانوا يقولون هذا كله إلى مسامع الأهالي. ولما كانوا يعلمون هنا أن كل نوع من العراقيين حول الدستور سيبه البلاط، وأن رجال الدين ليسوا إلا أداة في يد محمد علي ميرزا والأتراك إذا استهد الآباء وأعلنوا عن عدم رضوؤهم لملك محمد علي ميرزا طالما لم يمنح الدستور وفقًا لرغبة الأحرار.

وكان لابد على الجمعية التخفيش من حدة ثورة الأهالي وغضبهم، إذا كتبوا:

برقية شديدة اللهجة ردًا على النواب وثلثا على الأهالي قبل إرسالها، ورد فيها:

"السادة نواب أذربيجان المجلون دام تأييدهم، لقد أخطرتمونا بالانتهاء من مطابقة الدستور، وأنه ليس للمجلس الصلاحية للموافقة عليه، أولًا: إننا لا نستطيع أن نعلن على الشعبي بريعتكم سواء فيما يتعلق بفتح الأسواق أو فيما يتعلق بتهديد العامة. ثانيًا: لتعلموا أن مجلس المطابقة هو في الواقع لجنة ضد الحكم التنبيبي والدستور، وليس للمطابقة كما يعلم عامة الشعبي ذلك جيدًا، وبشكل عام لقد أدرك الأهالي أن بعض أعضاء اللجنة هم أشخاص مؤدين للأستبداد، وهم على يقين جازم بأنه لن يكون من السهل إصلاح حال الشعب وتحقيق رفاهيته من هذه اللجنة، ولن تؤدي في آية وسيلة تؤدي إلى الإخلال بالقانون والتطاول عليه.. وكما سبق القول إننا نحن أفراد الشعب لم نر صلاحًا عدل من تلك اللجنة المطابقة، وإن بريعتكم تعلن على الشعب بأن يهتموا بفتح الأسواق للذين هو ما فيه صلاح حال الشعب، وتبينون بهذه البرقية مسيرة البلدية السائقة (حفظتم شيئًا وغابت عليكم أنباء) ونعرض صراحة إن شعب أذربيجان ليس على استعداد قط أن يؤيد رأي بعض هؤلاء، وهم يعلمون أنهم تحت السيطرة حتى تضيع الحقوق وتصبح موطنًا للأقدام.

53
وعليه يجب النظر في كل بنذ من البنود والتباحث فيه جيداً، واتخرونونا بذلك إجمالاً.

(جمعية تبريز الوطنية)

عجر المجلس:
كان هذا هو الحال في تبريز حيث كانوا يدافعون عن الحكم النبائي في شجاعة ويقولون جهارة:

"نحن نريد قانون الحكم النبائي وليس الشريعة.
لكن في طهران كان الحال مختلفاً بسبب وجود الانقسام بين الآتالي كما تم ذكره، وكان البلاط يفعل النيران من قريب ومن بعيد، وأظهر آتالي طهران خور عزهم ثانية، ومن أيدوا فرط حماستهم في سبيل المطالبة بالحكم النبائي منذ عشرة أشهر يلزم معظمهم الآن الصمت إزاء المطالبين بالشريعة من أو بدون مطالبتهم بالشريعة.
والأسوأ من هذا كله هو حال المجلس، فقد أظهرت طائفة من النواب مطالبتهم بالشريعة وآرئيها طائفة أخرى من قبل الخشية، ولو لم يمانع تقي زاده وقرئ الدستور مع تعديلات العلماء في المجلس لكان الوضع مقبولًا.
ولنسق مثلًا على عجز المجلس وكيفية عمل النواب، ونورد في هذا المقام جزءًا من مناقشات جلسة يوم الخميس الأول من شهر خرداد (العشر من ربيع الآخر):
قرأ حاجي الشيخ يحيى نائبا كرماني لائحة بقول فيها إن مهام المجلس جد كثيرة، لكن بملاحظة الأهم فالأهم، فأنى أرى أن إتمام الدستور من أهم المسائل، لأن الحافظ لهذا المجلس المحترم هو اتحاد العامة واتفاقهم. ومنذ اليوم الذي تم فيه
الباحث حول بعض الفصول صارت هذه المباحثات سببًا في الاختلافات السيئة، وقدم هذا الأمر سيفًا في يد المستديرين، وأقسموا بالله جوه أيمانهم بأنهم سيلقون الشبهات والاختلافات بالشكل الذي إذا ما نظرنا فيه بين الإنصاف لن يكون الاختلاف بهذه الدرجة، ولكن من الممكن أن يتم الإصلاح في ساعتين لأمر أو لأمرين، وكلما مثت الحاجة للباحث في المجلس المحترم أعلم رأي جهراً، وإذا ما لم تسح الحاجة فأننا أطالب بتشكيل لجنة قانونية على الفور حتى أعرض رأيي عليها، فإصلاح هذا الخلاف وإتمام الدستور من الأهمية بمكان.

السيد ميرزا محسن:

ما من اعتراض، وإذا ما حدث تأخير فهو بسبب ما قدمه السيد عبد الله من اعتراض على هواه.

السيد سيد نصر الله:

لا أحد كلمة أعبر بها عن اعتراضي، ما هذا اللغز الذي انتشر في المدينة؟! الجميع يعلم أن حجج الإسلام يتقدمون على الجميع في المطالب بإصلاح المجتمع، وهذا في التدعي كلمة الإسلام والإباء من شأنها. نعم، إن رفع الظلم وإقرار العدل أمر مرغوب فيه، والأهم من هذا حفظ استقلال الشرعية ومكانتها، ولو أن هذا التغيير بسبب خلايا في المذهب ولو بمقدار شعرة، فما من شخص مستعد قط لقبول ذلك، وكل من ينسب إلى المجلس المقدس شيئًا ينتظى الشرعية هو متفرّع ومفسد، ولا شك أن هذه الاقتراحات الموجهة من قبل معارضي المجلس كانت داعيًا لانتشار الظلم، ولو قال ألف شخص في اليوم فهذا غاية ما في باب الفسق، لكن الشيء الذي يوجب نقض الأحكام وسن قوانين تتعارض مع الإسلام إما هو أكثر صراحاً لا سبيل لتجعله، وهذا الحديث مثل نواتج الكفر التي يدعى المنكرون على أسان المطالبين بالجلس بين الأهل، فيما يلحقون الوهن بمقام المجلس المحترم المنع.

(وأيمن نوره ولو كره المشركون).

55
صاحب ميرزا إبراهيم آقا:
لم يحصل المفسدون على أية نتيجة من كل خطة قاموا بها، وهم الآن يقتلون من طريق بث الخلاف، لكن ذلك وهم ساذجون، ولن يحالوا هدفهم قط من هذا الطريق، لعتنا الله على من يخون الإسلام ولو بمقدار شعرة.
وعند هذا الحد أردنا ما أردنا، وكنا هذان الشخصان (حاجي السيد نصر الله وحاجي ميرزا إبراهيم) من طائفة المطالبين بالقانون، رغم ما كانا يبدآن من ميل إلى الشريعة:

ليس هناك من هو على استعداد في هذا التغيير لقبول أي خلل بالمذهب ولو بمقدار شعرة.

فكيف يمكن تدوين الدستور ثانية؟ وكيف يمكن عدم الاكتشاف بالشريعة؟
والاعتراف بتساوي الزراد شتي والأرمني واليهودي مع غيرهم في الحقوق؟

لعتنا الله على من يخون الإسلام ولو بمقدار شعرة.

لو أن رعاية الإسلام كانت إلى هذا الحد واجبة، إذن لم كانت المطالبة بالنيابية الأوروبية؟ وأي معنى لتزجة دستور فرنسا؟ هل كان هذا الحديث من قبل الخوف؟

وكان المغفور له طبايبابي حاضرًا في هذه الجلسة واشترك كذلك في الحوار – لكن ماذا قال؟!!... "لا ينبغي أن يكثروا النواب بهذا الحديث طالما أننا لم نر خيانة من نواب أذربيجان ولن نرى". وله ما كانه قد كفروا تقي زاده وغيره ممن لم يطالبوا بالشريعة، فإن الرجال الأظهار قد دفعوا تلك السمعة السيئة عنهم، ولم يكن في الإمكان التعاون أكثر من ذلك ولا الحديث عن القانون أكثر من هذا.

فذلك المجلس الذي صمد وتصدى ورد على المطالبين بالشريعة قائلاً: "لأن الشريعة تقي بتسبيب أمور الحياة فآية حاجة تس للحكم النبائي؟" وما كان يكنى النواب في باطنهم لم يستطيعوا البوح به.
خلاصة القول: خمدت ثورة المطالبين بالحرية وحماستها بين أهالي طهران، ووهن أمر الرواد، ولم يفعل السيدان شيئًا، ولم يدرك علماء النجف حقيقة الأمر وهما في ذلك المكان البعيد، وأحسنوا الظن بحاجج الشيخ فضل الله وتعاونوا معه. وكان واضحًا من كل جانب أن محمد على ميرزا والأئمة سوف يحاولهما التوافق في حيلهما وسيتمكنان من إفساد أمر الحكم النباي بقوة الشريعة.

وذلك الصمود الذي كان يظهر في تبريز والرشت وغيرهما من المدن، لا تستطيع طهران أن تنهيه، وكل أمر كان ينتهي بهمزة، وصارت الخشية من حدوث الانقسام في تلك المدن نفسها، ولم يكن للمطالبين بالحكم النباي حتى الآن تلك القوة التي يستطيعون بها تنحية الشريعة جنبًا. 

طفالأسوا إن الأحرار في تبريز كانوا يطالبون في شجاعة بقانون نبأي أوروبي وكانوا يتحدثون بذلك في وضوح. وواقع الأمر أن هذا الحديث لم يصدر إلا من قلوب الرواد، وكما أسلفنا، لم يفهم الآخرون ذلك وكانوا يردونه، ولو كانوا قد فهموه لتزدد معظمهم أو اتجه اتجاهًا آخر.

وبلغ الأمر موضعًا حرجًا، وكانت الخشية من التمزيق، لكن في تلك الأثناء أظهر حادث إغارة ابن رحيم خان وقصة إكرام السلطان - التي تلتها في الحدث الخطط التي كان يقوم بها البلاط للإطاحة بالحكم النباي، ودار الحديث في جلسات يومي الخميس والسaturday (الأول والثالث من شهر خرداد)، وفي الوقت الذي عبر فيه النواب عن أنفسهم ثارت ثانية ثورة أهالي طهران، واضطررت ثانية نيران المطالبية بالحكم النباي في قلوبهم، واستمروا القوة حيال المطالبين بالحكم النباي، وزال الضرر الذي كان قد مهد في طريق الشريعة كما سنوضح من بعد.

قصة إكرام السلطان:

كما رأينا، احتدمت الثورة وزادت الاضطرابات في تبريز يوم الثلاثة الثلاثين من أردببهشت، حيث ابتذلت غضبة الأهالي بسبب برقة النواب التي تفيد
بتأخير الدستور، وتقوهوا بحديث شديد اللهجة، وأرسلت الجمعية برقة شديدة لللهجة إلى طهران. وفي يوم الأربعاء وقع هناك حادث عجيب، حادث رفع النقاب، دفعة واحدة عن خطط الشاه الدامية، وكيفية ذلك أنه بعد مضي جزء من الليل، كان الناس منشرين في مكتب البرق ودار المدفعية، والمجادعون الذين كانوا في تلك الثورة متعدين بمسؤلية حراسة رؤساء الحرية، وكانوا يسيرون دومًا في تلك النواحي. قد شكونا في بعض الأشخاص الذين شاهدوهم في تلك الناحية وفي حوزتهم السلاح، وحينما قبضوا عليهم للتحقيق معهم، أبدى أحدهم صموذاً ودعي حاجي آقا واسم بالجراء والشجاعة، ولم يمهله المجاهدون وقتيوه في نفس المكان، وقبضوا على شخص آخر يدعى أحمد الله، وحينما استجوبوه علم أن إكرام السلطان - شقيق حاجب الدولة رئيس خدم الشاه - قدم من طهران إلى تبريز وحرص هؤلاء الأشخاص - الذين كانوا من بنادقة فترة ولاية عهد محمد على ميرزا، وكانوا يتمتعون بجراء وشجاعة كبيرة - كما حرس غيرهم على قتل رواد الحرية، وقدم لكل منهم بنادقية ألمانية الصنع ومائة رصاصة وبعض المال، وقد دمو إلى مكتب البرق لإنجاز هذا الأمر، ولما أرشد أحمد الله عن أحد معاونيه وهو نريمان ابن عمه، انطلق إليه المجاهدون وقتيوه.
والتغد، حينما ذاع هذا الخبر، احتمت الثورة والفتنة في المدينة، وزادت غضبة الأهالي. ولما كانوا قد قتلوا نريمان وألقوه في منزله (في حي جوستاد وزان) كان الناس يذهبون إليه في جماعات للمشاهدة، وقد ذهبنا أيضًا كناث، وانت في ذلك الوقت في السابعة عشرة من عمري، مع أحد الأصدقاء، وحينما دخلنا المنزل رأينا شابًا ممثلاً طويلاً حسن الوجه نائماً على الأرض، ولم نر شخصًا آخر في المنزل.
وعلى أثر ذلك الحادث زاد الاحتشاد اليوم في مكتب البرق ودار المدفعية، وزادت الجليبة والثورة، واليوم، فضلاً عن حادث أسد الله وأتباعه، قدم محمد قلي خان من قره داغ وأتباعه بمعلومات حول إغارة ابن رحيم خان ومذابحه واقترابه من المدينة. وعلم الناس اليوم بهذه القصة التي كانت حتى ذلك اليوم في طي الخفاء،
وجعلت ثورة الأحرار وفضحتهم لا حدود لها، ورغبته طوائف من المجاهدين في السماح لها بالمبادرة بالقتال في قره داغ، ولم يصل البعض إلى المدينة، وأخذوا على عاتقهم مسؤولية جمع البنادق والذخيرة.

وكان زمام المحافظة على المدينة اليوم في يد رجال الدولة من الوالي والبيرغربيسي ورؤساء القرى، لكن لم يكن من الواجب التعاطف معهم، خاصة في ذلك الوقت حيث كانت الدولة تبدأ العدوان علانية.

واليوم اجتمع نواب آذربايجان ثانية في مكتب البرق، وأرسلت الجمعية البرقية التالية بشأن أسد الله وكذلك فيما يختص بالأبناء التي وصلت عن ضغوط ابن رحيم خان في الإغارة والسلب:

«بوساطة نواب آذربايجان المبجلين إلى مجلس دار الشورى الوطنى شيد الله تعالى أركانه، لقد تم اعتقال أسد الله حفيدة حضرمة على الشهير في مكتب البرق المبارك في منتصف ليلة الأربعاء، وورد في الاستجواب الذي تم البارحة؛ استدعائي إكرام السلطان، وقال: إنهم عهدوا لي من طهران بأن يلحق الضرر بالجمعية الوطنية في تبزيز بكل وسيلة ممكنة، ووقفاً لما قالوه يجب أن يتم قتل اثنين وعشرين عضواً من أعضاء الجمعية الوطنية، وعمه أن كل من يقدم خدمة في هذا الطريق سيصل إلى مقام عال من قبل... ومهمها يكون الحال فلتتأت ولتحصن ولتقتل اثنين من أعضاء الجمعية بالرصاص، ولتقت بعدها سهام بين حشد الأهلية، وحينما يتساقط الناس تخلص نفسك، فقلت: إنني لا أملك بنقية. فقد لي نفس البنقية الألمانية الصنع التي كانت في يدي ومعها مائة رصاصة، كما قدم لي بعض المال. فقلت: آن أكفل بعمل آخر؟ فقال: لئتمن، لقد أعددت ثلاثمائة شخص مثلك ودفعت إليهم الأمور، وحينما بعث ضمكة بنقية واحدة في الجمعية سيكون هناك ثلاثمائة شخص مستعدين خلال عشر دقائق، وأتخذ وهذا مني بأنه أتعهد بالقيام بما عرضه على. هذا وقد جئت إلى الجمعية ومكتب البرق غير مرة ولم أجد الفرصة مواتية، والآن، حيث جئت لإنجاز المقصود تم القبض على».
أننى تقابلت صدفة ليلة أمس الأول في الحى مع حاجى مهدى أقا وأردت أن أقره
ولم ساعدني يد القضاء كي يبلغ مرادي، ولأن الله تعالى قد أراد أن يخلي هذا
الشعب المظلم من يد المستبدين لذا فإن كل إجراء يتم من قبل المستبدين لا يفضى
إلى نتيجة مشرفة. وإكرام السلطان آخر حاجب الدولة الحالي تم تعينيه من طهران
لإنجاز هذه المهمة. ومنذ أيام عرضت عدة برقيات تفيد بأعمال التعدى والقتل
والإغارة العامة من قبل ابن رحيم خان ولم يتم منعه، ولم يتم كذلك الاستفسار عن
ابن رحيم خان حتى جاء اليوم السبت الفارسي ابن رحيم خان إلى قرية مشك
عنبر التي تبعد أربعة فراشات عن المدينة، وزاد على الفور من فرسانه وقوته،
ويقال إن مجلس الشروى الوطني ينتظر قدم ابن رحيم خان إلى مدينة تبريز حتى
يقر بصحة عرائض الجمعية الوطنية، وبقال إن هذا الأمر هو من نتائج تعاون
أولى الأمر في الدولة لتقدم أهداف مجلس الشروى. نحن في انتظار الرد الفوري.
(جمعية تبريز الوطنية)

وأرسلوا من طهران الرد التالي:
"طلعنا بتفصيل الشبهة التي استدعت القبض على أسد الله وكذلك
بالإجراءات التي ضمت بعد القبض عليه واستجوابه لكشف الحقيقة، وسواء تمت
تحقيقات في هذا الشأن مع إكرام السلطان أو لم تتم، فأخبرونا بمعلوماتكم حول
معاونتي أسد الله.

(نواب آئرييان)

وأرسلت الجمعية الثانية البرقية التالية:
"لقد تم القبض على أسد الله أثناء قيامة بجريمة اغتيال، وكان إكرام السلطان
منذ عشرة أيام في حديقة بابا باغي (1) منتظرًا نتيجة إجراءاته وتداربه، وحينما

(1) تقع على بعد فرسخ من المدينة، وكانت مقرًا للصيد خاصًا بولاية المهد.
سمع البارحة بنية اعتقال أسد الله امتدى نواحه في هارب، ولست لدينا معلومات مؤكدة حتى الآن عن الجهة التي توجه إليها، والاستجواب الذي تم مع أسد الله هو نفسه الذي تم عرضه، وقد الآن رفعا الدولة بيقيني -وهو الذي استجوبه بمفردته دون تهديد أو إجبار، وقال إلى المذكور لما كانوا قد قطعوا أسلاف البرق، فقد أخبرنا عبر الهاتف بأن ابن رحيم كان يقوم اليوم بكل عمل، وقام الأهالي بالمثابة أثناء دخوله تلك القصبة وقاموا بجلابة شديدة، وليس معلومًا عدد القتلى والجرحى، وسوف تعرض صراحة بأن ابن رحيم خان قال بما قال به بإشارة من الدولة وبأيام منها، وهو يعتبر الآن دخول تبريز، وهم يريدون أن يقوموا بالمعارضة حتى يبلغوا مرادهم، والشعب المسلم إذا بما غرض الهجوم على القمي ويساوات الشعب. 

(جمعية تبريز الوطنية)

واليوم ظهر ستارخان للمرة الأولى بين الأحرار وقام ببعض الأعمال، فعندما علم أن إكرام السلطان توجه إلى حديثة بابا باغي خارج المدينة بعد إنجاز مهمته وتحريره لأسد الله وغيره حتى يترقب النتيجة، استدعى الجمعية أجد الأشخاص حتى يمضى إلى هناك ويقبض عليه ويحضره إلى المدينة، وبادر ستارخان - الذي كان في هذه الفترة من المجاهدين لكنه لم يكن ذائع الصيت بينهم - بتنفيذ هذه المهمة وتوجه إلى بابا باغي برقة البعض. وأدرك جيدًا كيف كان يفتح طريقًا بين الحشود، ومضى من ميدان دار المدفعية مع أتباعه وفي يده بندقية وفي قدمه حذاء حربي، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أشاهده فيها، وحينما تعجبت من طلعته الشجاعة وسرعة تصرفه وجرأتها في التحدي، سألت: من هذا؟ وإلى أين يمضى؟ فقالوا: إنه ستارخان من قره داغ، يمضى إلى بابا باغي للقبض على إكرام السلطان. لكن سرعان ما علم إكرام السلطان مع بزوغ الفجر باعتقال أسد الله وأتباعه، واتجه على الفور إلى طهران حتى لا يلحق به ستارخان ويعود خالي الوفاض.
الإجابة نور الدين:

أثناء تلك الفترة وذلك الاضطراب كان أحرار تبريزي بطلوبون ثانية بالدستور، وبسط البعض أسلنتهم مرة أخرى بمذمة محمد على ميرزا، وكانوا يسعون للإطاحة به، وكان المتحدثون منهم يقولون:

"هل ابن رجيم خان متمردا حتى يقوم بأعمال القتل والنهب هذه! أم أنه مكلف بهذا العمل من قبل الدولة؟!

وكانوا يضغطون على الجمعية والرؤساء، ويقولون:

"إذا ما كان ابن رجيم خان متمردا، فنحن قادرون على الدفاع عن مدينتنا وعن موطنينا، فاسمحوا لنا أن ننهيوا للسفر".

وكانوا يقولون:

"حدوا مهام الشعب".

ومنذ اليوم الذي قامت فيه هذه الثورة وتلك الحركة، كان بعض المجاهدين - خصوصا من قدم منهم من التفوق - يعتبرون أن حل الأمر هو الإطاحة بمحمد على ميرزا، وكانت هذه الضغوط كذلك الهدف. لكن نواب الجمعية وبعض رواد الحركة لم يروا المجال مهيأا لمثل هذا الأمر، أو كانت تتنصلونه الخشية فحاولوا منع ذلك. واليوم كانوا يقومون بالعراقيل، وأرسلوا البريقة التالية إلى طهران بشأن الدستور لتهديدتهم:

"من السادة نواب أذربيجان المبجلين دام إقبالهم إلى مجلس الشورى شيد الله أركانه، مع أن خاطر أمناء الأمة المبارك يعلم أوضاع تبريزي وثورة أهالي هذه المملكة، لكن شدة الاضراب أجبرت أعضاء الجمعية الوطنية المقدسة على تجديد الحدث ونكزره حتى يأمرونا على وجه السرعة بعلاج حال المملكة وشعب أذربيجان. فالثورة تحتتم يوما بعد يوم ولحظة بعد لحظة، وقام عامة الشعب من
كافة الطبقات التي تنصورونا بالإضراب العام، وبنلوا أقصى جهدهم المادي والروحى لبلاغ الهدف، وقد كسدت سوق التجارة واضطرار أمر الرعية حتى في الولايات الدنيا وقرى آذربيجان، وهبوا العشائر والطوائف في الأطراف بالثورة والحركة، فهم يصررون على المطالبة بالدستور ويعتزمون دخول المدينة ليتعاونوا مع أهالي تبريز، وما من شاهد أفضل من أن جمعية الأمن يواسى أهالي آذربيجان في أمهم رغم الاختلاف في الديانة، وقد كتبوا أمس الأول برقيه إلى صاحب الجلالة الملك والسادة أمناء دار الشورى العظمى. ونقول في صراحة إنهم لو يرغبون في بقاء إيران والحفاظ على أهلها سوف يبدرون بتقديم الحل إزاء هذه الاضطرابات وذلك الهجوم. وأقسم بناموس الإنسانية وأرض الوطن العزيز أنه لم يصل نبي إمام الدستور إلى أهالي آذربيجان في الوقت المحدد لا يمكن بأي تدبير قط منع الشعب أو إسكاته، وهذا ما ينبغي عمله بغض النظر عن أي شيء آخر.

(جمعية تبريز الوطنية)

كذلك أرسل أعيان تبريز برقيه إلى الأتراك وأعلموا على ثورة الأتراك وفتتنتهم، ووصل الرد التالي من النواب بطاران:

كما تم عرضه مرات أخرى، يحتاج توقيع الدستور إلى حل المشاكل المتعلقة به في المجلس، وهذا ما يستلزم مهلة لعدة أيام، وليس ملاحظة بعدم التعاون من قبل الحكومة في هذا الشأن، فالوقت لم يكن بعد، والسادة حصح الإسلام دامت بركاتهم يبدون كمال العون باستثناء بعض... ممن يستعرضون الألقاب، وهذا ليس قابلاً للاهتمام والعناية على الإطلاق، إذا نطلب من جميع السادة أمناء المملكة وأعيانها أن يتعاونوا مع الجمعية الوطنية المبكرة وبم وقت الإضراب الذي لا مبرر له، فهم لا يرضون كل هذه الخسائر الفادحة على أنفسهم، وفي حالة ما إذا رأى النواب المبجلون الصواب في هذا الإصرار، فهم لا يقصدون أن يسبمون هدوء الخاطر.
والجسرة اللازمة حتى نوفق في تنفيذ الخدمات الشاقة، وهم يريحون بالناء من هذا
الباب حتى نوفق في تنفيذ واجباتنا بشكل جاد.

(نواب أذربيجان)

وبعد وصول هذه البرقية عزمت الجمعية على أن تتح للآهالي على فتح
الأسواق بكل وسيلة، وكان أن تقدم بعض الوعظ والأئمة من نواب الجمعية بين
الأهالي وجعلوا يتحدثون معهم، وبعد الرجاء والإلحاح عزموا على أنه من الحد أي
يوم الخميس يفتح أهل السوق حواناتهم ويعملون أعمالهم ويباشرون تجارتهم،
لكن العلماء والأعيان والرؤساء لم يغادروا مكتب البرق وكانوا يطلبون الدستور،
وفي اللحظات الأخيرة يأتي أهل السوق أيضا إلى هناك بعد فتح الأسواق وأخبروا
النواب في مكتب البرق بطهران.

واليوم، فضلاً عن نواب أذربيجان، قدم محتمل السلطنة مساعد الأتباك إلى
مكتب البرق حتى يبلغ الأتباك بما وصل من رسائل تبريز والمظالم التي تتم فيها،
كذلك كان صنيع الدولة رئيس المجلس متواجدًا في مكتب البرق لسمع المناقشات.

وسر الجميع من بشرى فتح الأسواق لكنهم لم يريدوا تنفيذ هذه البشري لأنه
في الوقت الذي كانت تصل فيه هذه البرقية إلى طهران قدم بعض السادة من قره
دار إلى المدينة، وذاعوا في الناس أنباء أخرى عن ظلمات ابن رحيم خان
وفرسانه وعن الإغارة على القرى وقتل الرجال والتطلع على النساء، كانوا
يقولون:

"يقول ابن رحيم خان وأتباعه: سنغير على كل قرية أبدت تأييدها للجمعية
واستختبها، وسندخل تبريز وندمر الجمعية ونعتقل كل من تواجد هناك ونبعث به
إلى طهران."

واستنا الناس ثانية من هذه الأنباء وتلك الرسالة، وعلت صيحاتهم مرة
أخرى وتحدث البعض قائلاً:
مع هذا الحد وسوء النية من قبل العدو، ومع هذا الإصرار في السعي لإقناتنا، لم إذن نفتح الأسواق؟ إن نرتدى أن يكون أخواننا في الضياع تحت نير الظلم والأذى ونحن نمارس تجارتنا وأعمالنا في المدينة في راحة وهواء، بل نرتدى أن نخفي رؤوسنا تحت الجليد مثلما يفعل الحكام ونغلق عن العدو ومساعيه.

كان هذا الحديث يدور حتى مضى ردح من الليل، واضطرت الجمعية لأن ترسل البرقية التالية إلى طهران:

يقوم ابن رحيم خان بشكل متواصل بالإغارة على القرى المحيطة بمعاونة فرسانه وصار على مسافة أربعة فراشات من المدينة، ويقولون إنه سيدخل تبريز الليلة، وأي حال ستكون عليها المدينة مع دخوله في أذانهمك؟ إن الأهالي ثانرون لدرجة لا يمكن تخييلها، فهم لا يظنون أن هذه العرائض محض كلام وهراء، فما يتم عرضه في هذا الشأن لا يتم بالرد عليهم، وما من حل أو فائدة من الحكومة بسبب عدم الاستعداد، وما هو مطلوب بشكل مؤكد هو السعي في الحل وتقدم الإجراءات الفورية.

(جمعية تبريز الوطنية)

وعلى هذا النحو مضى يوم كثير الغصوء على تبريز، وعقدت في نفس اليوم جلسة من العلماء والأعيان وغيرهم، وقاموا باستجواب أسد الله مرة أخرى، واستفسروا منه عن بعض الأشياء ودونا ما رد عليهم به، وخدم الجميع عليه كي يرسلوه إلى طهران، ومن هذا الاستجواب حصلوا على معلومات أخرى تفيد بسوء نية البلاء، وهذا ما أدى إلى إزداد غضب الأهالي، واتقروا في نفس الليلة على ألا يوافق شخص على فتح الأسواق.

استعدادات تبريز للقتال:

ومن غد تلك الليلة، وما أن أشقت الشمس، اتجه الأهالي إلى مكتب البرق، وجعلوا يتحدثون منذ بداية ذلك اليوم عن أعمال السلب والنهب التي يقوم بها ابن
رحيم خان، وضغطوا على الجمعية وأرادوا الآن لإعداد أنفسهم والاتجاه إلى قره داغ، واضطرت الجمعية لإرسال البرقية التالية إلى طهران:

"السادة نواب آذربيجان دام تألیفهم، لقد قررنا بالأمس برقية السادة الأجلاء فيما يتعلق بفتح الأسواق مع عرض أرايننا والمحافظة صلاح العامة ورعاية المسائل الأخرى، وكان من المقرر أن يفتح التجار الأسواق مباشرة تجارتهم وأعمالهم، لكن بعد ساعتين، حيث تشكلت جلسة عظمى من العلماء والأعلام الممتنين والأعيان والأشراف في حضور أعضاء الجمعية ونوابها بهدف استجواب من يدعى أسد الله، أخفقت المساعي وانصرف العامة عن إيمانهم بفتح الأسواق، واعتبروا قسم إكرام السلطان للنفوذ إلى أسس أمر الليبية القدس والعمل على إخلاله بما لديه من مقام رفيع في بلاط الدولة باعتاش لنتائج وخيمة، وليس في الإمكان القوة للشعب بكلمة في هذا الشأن حتى يتم التوقيع على الدستور. ولكن، تتبَّعوا إلى أهمية الاستجواب وتعلموه بشكل جيد سأعد ملخص استجواب أسد الله والتحري على الذي أقر في المجلس في حضور العلماء وسائر الحضور وما تم تدوينه من مناقشات وكذلك أصل الاستجواب عن طريق البريد.

(جمعية تبريز الوطنية)

كما أرسل الأعيان برقيه أخرى إلى الأتراك، وبمثابة رغبة الأهالي أثروا طهران على مسودة الاستجواب الخاص بأسد الله برقياً على النحو التالي:

"السادة نواب آذربيجان دام تألیفهم، بناءً على ما تم عرضه في البرقية منذ ساعتين تم إرسال صورة من استجواب أسد الله خان بريدياً، ولما كان الشعب راضيًا فيتم عرض الاستجواب المذكور بشكل مكثف، وقد طالبوا بإصرار أن يُعرض استجواب الباحلة المذكور كما هو بريقياً، هذا ويتم إدراج لائحة الاستجواب نفسها بتوقيع أعضاء المجلس: بعد العودة وبسبب الحقد (؟) استدعائي إكرام السلطان، وقال: تبحث عن جواد جيد؟ فقلت: سيبَّتا أهل قراباغ ونشترى منهم. وبعد يومين جاءني كرلائتي محمد خادمه واصطحبني إلى منزل إكرام
السلطان الذي كان من قبل منزلًا لرحيم خان، وبعد دخول الفنان استعانى إلى إحدى الغرف، وقال: سأعود إليك في عمل لا تقضي به إلى شخص، ثم جعلني أقسم على مصحف كان بجواره، وقال: لا تتقضي به لأي شخص قط... يجب قتل هؤلاء
الأربعة: ميرزا حسين آغا، الشيخ سليم حاجى، مهدي حاجى ومحمد جعفر مومن.
ثم سألني: هل لديك بنديقي؟ أجبت: لدي واحدة ماركة "ورنل" وأخرى ماركة "برداق". قال: لا يمكنني القيام بشيء بمثل هاتين البنديقتين، ومضي وأحمر بنديقي ألمانية الصنع وشريطًا من الذهبية وأعطاني إياهما ورجع. وترددت يومين
متباقعين على مكتب البرق، وحضرت في اليوم الثالث، فأرسل إلي، وقال: لم تتجز شيئًا؟ فاجبته: إن الوضع في المدينة مضطرب ولا أعلم مكان هؤلاء الأشخاص على وجه الدقة، اصبر حتى تأتيني الفرصة، قال: إنهم يصرون على المطالبة بالدستور، ويؤكدون على من طهران كذلك كي تتجز عمل بمنتهى السرعة، والآن، حيث أقضى الليل فلتتنفيذ المهمة، ونقلت منهم واحدا على الآخر، وإذا ما استطعت فلتطلق رصاصين أو ثلاثة في ميدان المدفعية. ثم جاء وشاهد أقا ميرزا حسين في ميدان المدفعية كان يسير مع اثنين أو ثلاثة ومعهم مصابيح، فتوجه خلفهم، وكأنه رغب القيام بعمل منعني الرعب من تنفيذ ذلك حتى دخل دربه، وكانت أسر خلفه ورأيت أنني لا أستطيع تنفيذ المهمة في هذه الليلة، فقلت للخادم: لندع الليلة واتجذب المهمة غدا. وفي السويدة رأيت صفي، وأردت أن أقوم بعمل ضد حاجي مهدى أو فخجلته من نفسي، وأبيته مرة ثانية ونمت على المهمة واتجهت بعد ذلك إلى منزلي. وفي الصباح حاجي خدام إكرام السلطان، واتجهت أنا وعاجي عبد الله كربلائي محمد إلى المقهى وتناولوا الشاي معًا فقدم لي ما يقر بالخمسة آلاف عملة ذهبية وقال: لقد أرسلها إكرام السلطان، لتأخذها وتنفذ المهمة الليلة ثم امكاني بعد ذلك كل ما تريد وستوافق اليوم أيضا إكرام السلطان. وفي الغروب مضيت إليه، وقال لي: لم لا تنفذ المهمة؟ وأضحك أنك نادم. قلت: لا
أعتر على السادة، فان ميرزا حسين ينام منذ يومين في مكتب البرق، ومكان الشيخ سليم غير معلوم، وأصر بعد ذلك: يجب أن تنجز مهمتك. فجنت ليلة الأربعاء إلى
مكتب البرق وتم القبض عليه، وكانت قد تقابلت منذ أربع ليال مع إكرام السلطان،
والذي صرح لي أثناء حديثه: أنا ذهبت في إحدى الليالي مع بعض الأشخاص إلى
منزل آغا ميرزا حسين وربما نقلته. (تبقى، حاجي آغا، اسماعيل) حيث أسد الله
خان ليلة الخميس العاشر من ربيع الآخر، بنفس النسق الذي ورد في حضور
المجمع و بكل ضوء. (على بن موسى، معيج التجار، حاجي ميرزا نقي آغا، دبير
السلطة، صادق، رفيق الدولة، بیگل بیگی، محمد صادق خان بن ساعد الملك،
إقبال، محسن الطباطبائي، آغا السيد رضا، خانقزو نشكر، جعفر، أمين التجار،
ابن السلطنة)

(جمعية تبريز الوطنية)

وبعد فترة وجيزة وصل من طهران الرد التالي:

سبب ما لدينا من قلق تم الاستفسار عن الأوضاع، وإلى الآن لم يصلنا
رد، واضطرابات الخواطر بشدة، لذا جهتنا إلى مكتب البرق والاستفسار، لقد تم اليوم
توجيه الإجراءات اللازمة والتآكيدات الواجبة في المجلس إلى وزاري الداخلة
والحرية، وتل الإعلام عن كل ما يلزم قولاً وكتابة لرفع العائلة واعتقال رحيم
خان وانتزاع الرئاسة منه واستدعاء ابن رحيم خان إلى الوزراء المذكورين،
وبمراعاة وضع الدولة المتسائل لا يمكن أن يحدثنا الأمر في نتيجة سريعة، لذا
فعلى نواب أهالي انترباجان ألا يظلوا عن الدفاع عن أرواح أفراد الوطن وأموالهم
وشرفهم لحين ظهور نتيجة هذه الإجراءات. وما لا شك فيه أن المجلس لن يكف
حتى اللحظات الأخيرة عن أداء مهمته، ولن ينضطر إلى تنفيذ الرفاهية
لأفراد الشعب، ولطفالهم على إجراءات بشأن الدفاع عن أبناء الوطن والحفاظ
على أرواحهم، ومنذ إذا تمكنت من إكرام السلطان أم لا، وحينما ينضفي وقت
المُبكر، يتعين لنا بالانصياف.

(تقى زاده، حسن الدولة، مستشار
الدولة، ميرزا آغا حاجي ميرزا إبراهيم)
وحيثما تلقت البرقية السابقة على الأهالي سعوا جميعًا، ولم أدن لهم بالاستعداد للمحافظة على المدينة قام المجاهدون على الفور بدورهم، ولم يستخدم طويل زمان حتى اتخذت المدينة شكل النكتة العسكرية، واستعداد طوارئ المجاهدين بالطبول والأبواب وحمر الأعلام، وقمت الأذاعات إلى مكتب البرق ومضته من هكذا إلى دار المدفعية ثم إلى ميدان التدريب لتلقى التدريبات اللازمة.

و نتيجة لجهود دامت عدة أشهر، ظهر اليوم على نحو آخر، حيث حلت العروض العسكرية محل الفتن والاضطرابات، ولمما قام المجاهدون بهذا العمل اضطر الوالي - نظام الملك - إلى القيام ببعض الأعمال، فقد أرسل - بعلم الجمعية - بعض الأشخاص لتكوين فرقة من القواد ليتجابوا جنودًا إلى المدينة خلال يومين، كما أمر رجال المدفعية - الذين كانوا في المدينة - بإغراق بندقهم وأن يكونوا على أهبة الاستعداد، كما استعد فرسان المدينة لحراساتها.

وفي ليلة الجمعية، قام المجاهدون بحراسة المدينة، ومن الغد، ومع بزوغ النهار، استمرت العروض العسكرية، وتقدمت المجاميع بالطبول والأبواب والأعلام، ومع رجل الدين والسادة بالسيوف المشهورة من مكتب البرق ودار المدفعية إلى ميدان التدريب. وفي مكتب البرق كان المغفور له الشيخ سليم، أو أقا ميرزا على أو ميرزا حسين بخطبهم، كما كان ميرزا جواد ناطق - الذي عاد من ماكو وأرومي - يكتب فيهم كذلك. وازداد اليوم تعداد المجاهدين أو (جند الشعب)، وازدادت شروكة الطوارئ، وظلت هذه العروض حتى اللحظات الأخيرة من الليل.

واليوم وصلت برقية من طهران تفيد "قد تم التباحث مع وزيرى الداخلية والبحرية بشأن ابن رحيم خان، وقد صدرت الأوامر برقية إلى نظام الملك وكذلك إلى ابن رحيم خان، لكننا لم نكتف بذلك ونقوم بالتحقيق في المطالب الأخرى" وطالبوا ثانية في هذه البرقية بفتح الأسراخ في أسرع وقت. ومن غد يوم السبت
졌ين الأهالى في مكتب البرق والمناطق المحيطة به، ولم تكن مهله العشرة أيام التي طلبها نواب طهران لإنهاء إتمام الدستور قد انتهت، تذرع بعض الأهالي بذلك وزادوا من الجدية والفتنة، وتجاهلوا البقية التي وصلت من النواب بشأن عدم قراءة الدستور المذكور وتأخيره، كما أصولوا في المطالبة بالدستور، ودخل بعضهم إلى حجرات المكتب، وتخابرًا مع رجال مكتب البرق ولم يمنعهم الفرصة للقيام بشيء.

ولما طال أمر هذه الثورة والجلبة فلت الزمام تدريجيًا من يد الحكماء ووقع في يد مثيري الفتنة، وظهرت تدريجيًا بعض القلق، ومن المجهب أن طائفة الحمالين ومتلك هذه النوعية من الفقراء كانوا سعداء بهذا الحدث، وبالرغم من أنهم كانوا بلا عمل ولا مال، وكانوا يعيشون في شدة، إلا أنهم لم يرغبوا في فتح الأسواق. إنهم لم يكونوا على دراية بمفهوم الدستور، وبالرغم من ذلك كانوا يصرعون على المطالبة به.

وثبتت برقيات الأمين الخاصة بالنواب من قبل الجمعية لكنها كانت محل استياء، حيث قام الأهالي بالشغب صائحين: "لن نفتح الأسواق حتى يتم التوقيع على الدستور".

واستمر هذا الشغب حتى الظهيرة، ويمكن القول إن المطالبة بالدستور صارت رغبة تراود أفكار بعض الناس.

أثناء ذلك، كانت الأنباء التي تصل من قرده تزداد من ثورة الأهالي، وفي اللحظات الأخيرة أُبرقت الجمعية البرقية التالية إلى طهران:

"إلى السادة نواب أذربيجان المبجلين دام تأييدهم، لقد أحروننا بالأمس عن أعمال القتل والإغارة التي يقوم بها ابن رحيم خان، وصدرت الأحكام اللازمة من قبل وزارة الداخلية إلى حكومة أذربيجان وابن رحيم خان. أولاً: إنه إلى الآن لم يصل من طهران مثل هذا الحكم، إن الأعضاء المبجلين في دار الشورى العظمى
وكبار المسؤولين ينظرون إلى هذه المسألة بنظرة تحقيق وتأييد الأمر لا يتعدى نزاعًا بين اثنين من الملوك. وتم التباحث لإصلاح الأمر ورفع العائلة مع وزارة الداخلية والحربية، وأصدرت وزارة الداخلية الأحكام اللازمة، هيهات، هيهات، أيها السادة النواب، لقد بلغت تعداد القتلى في قره داغ على يد ابن رحيم خان مائتي قتيل، وصارت مدينة تبريز كساحة الشيخ عبد الله مفعمة بالتروبيان من الأطراف، وصارت مساجد المولات مملوءة بالنساء والأطفال والعجوزة والمرضين، فأين ما تأمرون به؟ لقد انطلق جيد ابن رحيم خان حتى بلغت قرية "شيرنجه" على مساحة فرسخ واحد من المدينة، وقام بأعمال الإغارة والقتل، وهو يضاءف من تعداد فرسانه كل حين، ويشتخدم في أعمال القتال والإغارة، روحنا فداء نوابنا، من يُعَد بهذه الأعمال؟ إما تتم التعمل والتعاون؟ لقد ذهبت أموال المسلمين وأرواحهم وشرفهم أدراج الرياح، لو يكن هذا هو حال المسلم فانتراب على روسنا، عجيبًا، ألَّم يتحقق الأمن على الأرواح والأموال لو لم يصل نباً اعتقال رحيم خان وزعزله من رئاسة العشيرة والجند! ألَّم يتحقق الأمن لو لم تصدر الدولة حكماً صريحاً للقبض على ابن رحيم خان ومجازاته؟! لا نعلم ماذا نقول وماذا سيحدث؟!

(جمعية تبريز الوطنية)

ورد في كتاب "آبي": "وصلت اليوم رسالة من ببوخ خان كانت قد أرسلت إلى نظام الملك تفيد بالإغارة على القرى، وكانت الرغبة فيها أن يأمن نظام الملك كي يأتي ببوخ خان إلى المدينة ويطير الجمعية منها".

وهذا ما لا يمكن تصدقيه، فمما لا شك فيه أن تلك الإغارة وذلك التعدى كانا بأمر الدولة، ولا شك أنهم كانوا يريدون إحضار ببوخ خان إلى المدينة. وواقع الحال أن هذا لم يتم ذكره في الصحف، ولم أتذكر أنا شخصيًا مثل هذا، وينبغي القول إنهم كانوا يقومون بذلك خفية وليس جهلاً.
انتفاضة المجلس وآثارها:

كما رأينا، لم يبد مجلس الشورى سوى عدم مبالاة إزاء تلك الثورة والجلبة والضجية والحركة التي حدثت منذ أسبوعين في تبريز وغيرها من المدن، كذلك إزاء تلك البرقيات المتتالية التي تم تبادلها بين تبريز وطهران، وكان يعتبر عمل تبريز هذا بلا داع، ويعرب عن استيائه لتلك الأحداث. لكن قصة ابن رحيم خان، ومن بعدها قصة إكرام السلطان حكثاً المجلس على التحرك.

وكيفية ذلك أنه في يوم الثلاثاء الموافق الثلاثين من أردبيلشت (ربيع الآخر) حيث وصلت الأنباء توزًا حول أعمال القتل والإغارة من قبل ابن رحيم خان، كما وصلت برقيات الجمعية الأولى إلى نواب آذربایجان التي تفيد بمنع إحضار الغلا والعرار مع رسل الجمعية وقتل البعض. وقد تحدث مستشار الدولة عن هذه الأحداث في المجلس وعقب عليه كذلك شرف الدولة.

لكن هذه الأحداث لم تكن ذات تأثير على المجلس ولا على النواب الذين ملأت أذانهم صيحات المظلومين في شيراز والعراق وقم، واعتبروا هذا الحدث من قبل الأحداث السالفة ولم يهتموا. وكما ذكرنا، لقد فقد المجلس هيبته وصار جهازًا عاطلاً. وبعد غد الخميس الأول من شهر خرداد (10 ربيع الآخر) حيث كانت تتوالى برقيات أخرى من تبريز - سواء كانت تتعلق بمظالم ابن رحيم خان، وسواء كانت تتعلق بظهور إكرام السلطان - عزم نواب آذربایجان على إخفاء قصة إكرام السلطان عن الشاه، لكنهم تباحثوا ثانية بشأن ظلمات ابن رحيم خان، وكما رأينا في جلسة اليوم، تحدث حاجي شيخ يحيى نائب كرمان عن الدستور، وتحدث بعض النواب عن هذه الأعمال وأظهر الجميع خور المجلس.

بعد ذلك تحدث مستشار الدولة ثانية عن قصة ابن رحيم خان وذكر المعلومات التي وصلت من تبريز، ووضع رغبة أهلية تبريز في تنحيه رحيم خان من رئاسة عشائر بuggy البقاء على رجله ومحاكمته بعد الاستجواب.
وعقب حاجي ميرزا إبراهيم آغا عليه قائلاً:

«إن كانت تلك الإغارات والمذابح بأمر الدولة فما الفائدة من ذلك المجلس! وإن لم يكن الوضع كذلك فلمَّ لم يحققوا مع رحيم خان؟» فأراد محترم السلطنة مندوب الأتاك أن يلقى بالجيب، فقال: «لا يمكن تصور أن صدور مثل هذا النوع من الأفعال يكون بعلم الدولة، فالعشرات حالها معلوم.»

ثم قال:

«إن القائد نصرت يتصل من الأمر.»

وقال الثانية:

«لا شك أن وزارة الداخلية سوف تقوم بالإجراء وفقًا لما كلفتموها به.»

ونهض حاجي السيد نصر الله، وقال مزيدًا له:

«إن ساحة الدولة بريئة من هذه الأفعال، ينبغي أن تطلبوا الإصلاح من الدولة قدر الإمكاني.»

إلا أن إلقاء الحجب على هذا النحو لم يثير عن شيء وطال الحديث إلى أن تحدث تقي زادة قائلاً:

«إذا أن يحل الوزراء هذه المظالم، وإنا أن يتحوا جميعًا عن عملهم.»

قال حاجي خوبي إمام الجمعة:

«إذا ما يقوله هؤلاء هو ألا نسي الظن بالدولة، كيف يحدث هذا؟! كل من له أربع أو ألف عشيرة، فإن رحيم خان يغير عليها بكل ما لديه من قوة.»

وأدى هذا الحديث عن ابن رحيم خان وإصرار نواب آذر باي جان إلى أن قام كل نائب يعرب عن شكوكه من إحدى الفتن في مدن أخرى، وعلى هذا النحو وردت رسائل كثيرة من المظلومين السابقين والجدد. واشتكى وكيل التجارة من
اضطراب الأحوال في خلخل ومن ظلومات شكر الله خان. وتحدث السيد حسين عن مظام سلال الدولة الذي تولى الأمر حديثًا في هذه الآثار. وذكر نواب آخرون اسماء عميد السلطنة تاش وقام الملك و حاجي آقا محسن. وكان متولي باشي قد قدم إلى طهران ولم تمس الحاجة إلى طلب الإنصاف منه. وسأل النواب حاجي آقا محسن الذي استدعوه إلى طهران وجاء إلى قم من عاد من هناك:

"من منح الدستور حتى يتراجع؟!"

وناء الشكوى وطلب الإنصاف والمذمة موجهة إلى الأتاك، لأنهم كانوا يعتبرونه هو صاحب الرد على هذه الثورات والمظلم. واليوم هو اليوم الأول الذي أعرب فيه معظم النواب عن استيائهم منه وبسطوا أسلحتهم في مذمة، وكان محتمل السلطنة براد على كل شكوى ويقدم الحجج والمعاذير، لكن كل شخص كان يقيم الأسبوع جيدًا.

وعلى هذا النحو انقضى يوم مثير على المجلس، والجلسة التي بدأت بذلك العجز والرهن انتهت بتلك الحدة والشدة.

أثناء ذلك اجتمع المظلومون من العراق وشيرانا من أجل مظام حاجي آقا محسن وقام في باهستان، واتجه غيرهم من المشاهدين إلى المجلس وكانوا محتشدين ينصومون إلى هذا الحديث، وأعربوا عن تأييدهم لتلك الثورة والحماية.

في نفس اليوم، حينما انتهى المجلس وغادر النواب والمشاهدين بقلوب تمزها الحماسة أشاعوا الخبر في كل مكان داخل طهران، ورأينا كذلك أن نواب أذربيجان قد أبلغوا تبريز بأحداث المجلس والأقوال التي دارت في وجود مساعي الأتاك، وطلبوا أن تفتح الأسواق، لكن أهالي تبريز رفضوا، وأرسلت الجمعية برقصة شديدة للهجة إلى النواب يوم الجمعة، وأطلقهم على اندفاع النساء والأطفال في قره داغ إلى المدينة، وإغارة ابن رحيم خان الذي اقترب من المدينة على مسافة.

فسلخ واحد، وورد في هذه البرقية:
نحن نعلم علام يتكل ابن رحيم خان؟

وانتقد المجلس في اللحظات الأخيرة من يوم السبت، وقال صناع الدولة:

تبقى الأمور الأخرى، فقد وصلت من تبزيز معلومات مهمة، ويلزم أن تتم في جلسة خاصة.

قال هذا ونهض مع النواب واتجهوا إلى غرفة أخرى. وهناك حينما تلقت برقيات تبزيز قام النواب بجلبها وبكي كثير منهم، ولم يشاهد مثل هذه الحال في المجلس حتى ذلك اليوم، كذلك لم يذكروا هناك خبر إكرام السلطان.

واليوم، اتجه حشد كبير من الأهالي (بربو عن الخمسة آلاف) إلى بهارستان، وأثاث أقوال المجلس في يوم الخميس أهالي طهران واستعدوا للتضامن مع تبزيز. ولما رحبوا في معرفة معلومات حول حقيقة ما حدث ونفذ صبرهم، عاد النواب إلى القاعة وهم ثائرون باكون، وكان بعض المشاهدين يبيون كذلك. وتحدث نواب أذربيجان، وقال ميرزا فضل علي:

فضلًا عن أننا ننكر على الأمر، فإن إخوانكم وأخواتكم في أذربيجان يعانون تحت قبضة الظلم، فماذا أنتم فاعلون؟!

ورد حاجي محمد آقا منتحب:

أي ذنب اقترفه أهالي أذربيجان حتى يقتل منهم مائتان وخمسون وأنتم تتعمون بالراحة هنا! والحال كذلك، فلم تأتى إلى المجلس ثانية؟!

فقال نقي زادة منتحب:

إنني لا أملك القدرة على الحديث، فلتبحثوا عن حل لهذا الأمر.

على هذا النحو كانوا يتحدثون، وتم نسبان ذلك الانقسام الذي كان بين النواب، وعم التضامن فيما بينهم، وبعد المشاورات اختاروا أربعة من النواب.
ومهم: حاجي نصر الله، مستشار الدولة، حاجي ميرزا إبراهيم آغا و حاجي محمد اسماعيل، ووجهوا بهم إلى البلاء لدى الأتراك كي يطلبوا الرد على ما حدث. وكان الأتراك قد توجه إلى حديقتهما، واتجه الرسول إلى هناك برقة محتمس السلطنة، وقابلوا الأتراك وتحدثوا معه عن كيفية ما حدث، وأبدى الأتراك مواساته. وعلى الفور أرسل محتمس السلطنة، ومحتمس السلطنة إلى البلاء لدى محمد على ميرزا كي يطلعوه على ما حدث وبحضروا الرد. وتأخر هؤلاء الأربعة في العودة، ونفد صبر الأهالي في باهرستان، واختار المجلس وثوق الدولة وأجاجى معين التجار وأرسلهما إلى البلاء، وحينما تأخرنا تم اختيار ميرزا محسن والسيد محمد البهبهاني (ابن المغفور له البهبهاني) ووجه بهما، وحينما لم يصل بهما كذلك أي خبر وجه بجاجي أمين الضراب وآخرين.

وعلى هذا النحو كان يتم إرسال الرسول على التوالي، وحينما اقتضت ساعات الليل انعقد المجلس، وكان الأهالي يتزعمون الأوضاع في باهرستان وأرسل محمد على ميرزا أمرًا يتعلق بعزل بيك خان من رئاسة عشائر بيگری گری على قره داغ، وتحيته من قيادة الفرسان ووعود بالقبض على رحيم خان. وبعد عدة ساعات عاد الرسول بهذا الأمر ذلك الوعود، لكن المجلس لم يوافق، وقام الأهالي بجلبة شديدة. واقترح المجلس أن يتم الإصرار على طلب ثلاثة أشياء من الشاه، هي:

1- عزل رحيم خان من الأعمال الحكومية والقبض عليه.
2- عزل ابنه من الأعمال الحكومية.
3- تحقيق الأمن في تبريز وإظهار المواساة لأهلها.

وبعد هذه الاقتراحات، لمكا كان الليل قد اقترب من منتصفه رغبوا في التفرق، ولم يعرب الأهالي عن رضاهم وأعادوا حركتهم، وفي النهاية طلبو مهلة حتى الغد ومضوا إلى ديارهم.
انتفاضة أهل طهران لمؤازرة أهالي تبريز:

كان إحدى الأيام الرابع من شهر خرداد (13 ربيع الآخر) من الأيام المثيرة والتاريخية في طهران، فقد أغلق أهالي طهران الأسواق اليوم تضامناً مع أهالي تبريز، واتجه الأهالي منذ الصباح في جماعات إلى بهارستان واحتشدوا حوله، كذلك انعقد المجلس منذ الصباح وأبدى صموئل نهجاً متفاوتاً توجه المطالب الثلاثة.

وكانوا يقولون من البلاط على سبيل النفاق إنه بسبب وجود العلماء ونواب آذربايجان وبعض الأعيان، تم التحرير حول الحادث من تبريز، لذا اتجه نواب آذربايجان العشيرة وحاجي أمين الضرب وحاجي محمد اسماعيل مع السيدين وابنهم إلى البلاط واجتمعوا هناك مع إمام الجمعة في طهران وحاجي الشخ فضل الله وابنه الشيخ مهدي وظل السلطان ونائب السلطنة وعضد الملك والأتراك والوزراء. وفي البداية، دار حديث مع الأتراك ثم اتجه الجميع إلى مكتب البرق في قصر كلستان، وتبادلا الحديث مع أهالي تبريز - سنورد هذا الحديث لاحقًا - وكان المجلس لا يزال منعقداً وما من نتيجة.

من ناحية أخرى، كان الأهالي يحتشدون في غرف المجلس وأنحاه حديثة بهارستان والشوراع المحيرة به، وفي كل ركن كان يقف أحد رجال الدين أو أحد الطلاب، أو أحد الشباب ممن سافروا إلى أوروبا، أو أحد الأحرار على منصة عالية ويشتكي في الأهالي، ويتحدث كل منهم بما لديه من معلومات.

واليوم لم يعرف أهل طهران حدا لدعاتهم ضد محمد علي ميرزا، وتفوهوا بكل ما كانوا يعلمونه وبكل ما كانوا يستطيعونه. واليوم تتردد على الألسنة اسم والدته "أم الخاقان"، والحديث الذي كان يقال بشأن تلك المرأة منذ ما يربو على الثلاثين عاماً - وهو الحديث الذي لم يكن له أي أساس سوى الظن والتخمين - تتردد على الألسنة مرة أخرى. وكان أحد الفضلاء من آذربايجان يعيش في تلك
الأونة في طهران، وأحيانًا ما كان يكتب الرسائل إلى حاجي مهدي آغا كوزه
كتاني، ويمتدح بعض الأحداث، وقد أثني على حادث اليوم، ورأى أنه لمن
الأفضل أن أوّد في هذا المقام بعض ما كتبه، يقول:
"كانت الأماكن أسفل القصر وأعلاه والساحة والشوارع تموج بالأهالي مثما
يوج البحر بالأمواج، لدرجة أن إخراج منديل أو علبة سجائر من جيب الرداء
كان من الصعوبة بمكان، وقد ضاقت الألفاس في ذلك الفضاء الربح.
كان المتحدثون يقيمون في كل غرفة، وفي كل مجمع، وفي كل ركن,
نفضوا أيديهم على أرواحهم، وصرحوا بما في داخلهم... ولنضرب مثلًا ونشير إلى
الفقرات التالية:
كان أحد رجال الدين يقول: أيها السادة إذا ما قطع الله أرضاكم
ستعبدونه!!... إذا ما دعاءكم رسول إلى طريق الضلال بدلاً من الطريق المستقيم،
ستقبلوه رسولًا؟ قالوا: لا. فقال: لو يكون الشاه مستبذا وجائزًا ومخلًا لراحة
الرعية وساعيًا لفساد أمرها، هل تعتبرونه ملكًا؟ قالوا: لا. قال: لعكم لا تدركون
أن الشاه نفسه هو الذي يقوم بحث ابن رحيمن خان كي يحقق أذي الدهر على
آذربايجان!!... فصاح الأهالي: نحن لا نريد مثل هذا الملك قط.
ورفع أحد الأفراد المتآثرين بالإفرنج نظرته، ووقف، وقص حكاية الملك
لويس السادس عشر عن أولها إلى آخرها، وحينما بلغ خديته إلى نقطة أنهم أداروه
بسبعين نهدة وقطعوا رأسه هو وزوجته، قال الأهالي: إنها ليست فرنسا بل إيران,
إنه ليس لويس السادس عشر بل محمد علي شاه، نحن على استعداد لمحاكمته.
ووقف أحد الطلاب، وقال: أيها السادة، أتعلمون ما الذي تكبناه طوال هذه
الفترة على يد الملوك القادرين؟ ثم تحدث عن فتح على شاه ومحمد شاه، وحينما
حل الدور على ناصر الدين شاه علت الصيحات من كل مكان " اللهم املأ قبره نارا"، ثم ترجم على مظهر الدين شاه ودعا له، ثم قال في النهاية: نحن الآن نعاني من قضية أحد الخبيثاء. وعلت الأصوات دفعة واحدة تحن لا تريد مثل هذا الملك، نحن لا نريد ابن أم الخاقان.

ونهض أحد السادة قائلاً: أتعلمون الفرق بين الميت والحي؟... إن الميت لا يستشعر الألم، فهو لا يشعر إذا ما قطعوا يده أو أحد أعضائه، لكن الحي يتألم؛ ثم قال: نحن الإيرانيين كنا موثوِن، لكننا أصيحنا أحياء، ودببت الروح في أبداننا، إنهم يغبرون على إخواننا في آذربيجان ويقتلونهم وكأنهم يقطعون أدينا ويسلون أعينيها، لا ينبغي علينا تحمل ذلك.

وقال ميرزا أحمد خان: نحن نريد من الشاه أمرين، أولهما أن يبادر كلما أمكن باسترداد تبريز. والآخر أن يعهد إلينا برحم خان حتى تقوم بشنقه أمام قصره هذا وإلا يجب أن يشقق الملك. وعلت الأصوات تقول: هذا هو الكلام.

وفي طهران كانت توجد إحدى وعشرون مدرسة حديثة، وجاء تلاميذها جميعهم بأعلام خاصة، واصطف كل منهم في ناحية، وجعلوا يتلون الخطاب. ورفع طفل يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا رأسه، ووجه حديثه إلى النواب الذين كانوا في القاعة العليا قائلاً: يا نواب الأمَّة، يا ساداتنا، أنتم لا تقولون إننا ضيوعنا عمرنا وانتهى الأمر، ففي النهاية نحن صغيرة، ولا يصدر منا شيء قط، نستعلق بآله ألا تدعونا في قضية الاستبداد، ونستغرو في مستقبلنا. وثبت جماعة دفعة واحدة لدرجة أن صيامهم كان وكأنهم في يوم عاشوراء...

إلى هنا كانت كتابات الآذربيجاني، وعلى هذا النحو قضى الأهالي يومهم في إقلاع الأحاديث والصياح والشكوى والبكاء، وكانوا يترقبون عودة السيدين ونواب آذربيجان من البلاط.
نفاق البلاط:

من ناحية أخرى كان السيدان ونواب الأتابك وغيرهم يتبادلون الحديث مع تبريز، واستدعى الأتابك نظام الملك وآذربيجان إلى مكتب البرق، وأرسل إليه البرقية التالية:

"سيادة المستطاب الأول الأكرم الأفخم السيد نظام الملك دام إقباله العالي.

لقد وصلت هذه الأيام أنباء مؤسفة من آذربيجان، ويتبين مما كتب في البرقيات التي وصلت من جمعية آذربيجان إلى النواب هنا أن أعمال ابن رحيم خان في القتل والإغارة كانت باعثًا لإثارة الرأي العام، وهذه الأعمال قد أفضت إلى تغيير خاطر صاحب الجلالة بشدة، كما دلت إلى قلق أولي الأمر في الدولة. هذا وقد حضرنا اليوم في وجود السادة حنيف الإسلام ونواب آذربيجان المبلين إلى مكتب البرق بكاشان كي نتحقق أولًا: من حقيقة الحادث في وجود نواب جمعية آذربيجان، وندرك ماهية هذا ومعنى ما ذاع عن أعمال القتل والإغارة، وأيّن يكون ابن رحيم خان الآن، وكيف وقعت هذه الأحداث؟ ولا شك أنكم ستبرقون على الفور إلى الأطراف بتقصيل ما حدث. ثانيًا: لما كنت حاكمًا للولاية ومسؤولًا عن النظام فيها، فلنتقم بالإجراء اللازمة لرفع هذه الغائطة والقضاء على هذا الفساد أو تأخير الأمر من دار الخلافة وتتذق كل ما يقع فيها، وستطمن السادة والأهالي بأن صاحب الجلالة الملك يغلى دومًا راحة رعاياه، وكل من يقوم بإجراء يدعو إلى إثارة الفتنة وسلب الأمن سيلحق به الجزاء الرادع، ولا يكون قط لدى أهالي آذربيجان وأعضاء جموعها أي تصور غير هذا، وليتأكدوا أن وقت أولي الأمر في الدولة يصرف في راحة الرعية وأمنها، وسوف تشهد النتائج الخيرة لذلك بإذنك تعالى.

(الأتابك الأعظم)"

80
كذلك أطلع نواب أذربيجان نواب جمعية تيريز ورؤساء الحرية على تواجدهم في مكتب البرق بغلستان بصحة السيدين وغيرهما، وأوقفهم على ما كانوا يبغونه.

ومن تيريز قام نظام الملك بالرد، وأوضح كل الأمور الخاصة بإغارة ابن رحيم خان وابن زمام الأهلية منها، فأصدر الأتراك الأمر التالي بشأن ابن رحيم خان:

"إن ما قيل بشأن ابن رحيم خان وأعماله التي ذكرتموها يدعو إلى العجب، ووفقًا لما أصدره صاحب الجلالة أرواحنا فداء يتم عزل ابن رحيم خان من رئاسة العشيرة والفرسان، ويجب أن يتم إرسال ذلك برقية إلى رؤساء القري والأماكن اللازمة، ومعكيم أن ت bada رئيسًا للعشيرة والفرسان بالشكل الذي يتراءى لكم، ولما كان تحقيق النظام في أذربيجان يعود إلى عهدكم، ولما كان جيش أذربيجان يمد يد العون دومًا إلى الأماكن الأخرى، لذا لا يمكن القول إنه يحتاج إلى مساعدة خارجية، ولتقم بالإجراءات اللازمة لتحقيق هؤلاء الأشخاص والقضاء على الفتنة وتحقيق الاستقرار بسرع ما يمكن حتى يثبت الأمر في الولاية وتعم الرعية بالراحة ويشب الأهالي على أولي الأمر في الدولة. هذا وقد قضيم على رحيم خان في دار الخلافة، وقيام الاستدعاء ابنه إلى تيريز وتم الزج به في السجن، وعليه فلترسلوا التفاصيل الخاصة بأعمال القتل والإغارة في تقرير مفصل كي يتم عرضه والبث فيه.

(الأتراك الأعظم)

واقترح نظام الملك أن يحل كريم خان رشيد الدولة - ابن عم رحيم خان - محله في رئاسة عشيرة بيكجى غرى في قره داغ وقيادة الفرسان هناك، وتم قبول الاقتراح من طهران، ووعدوا بإرسال رشيد الدولة في أسرع وقت.
ونتيجة هذه الأحداث جهز نظام الملك جيشًا بشكل سريع، وأرسله إلى بيوك خان في قره داغ - وسوف نورد ذلك لاحقًا - لكن، كما ذكرنا، لم يكن هذا إلا من قبيل النفاق، وحقيقة الحال أن محمد على ميرزا كان يفتقد القدرة على الصمود أمام الأهالي، واضطر لمنع ابن رحيم خان عما كان يرتكبه من أفعال، والحقيقة أن البلاط كان يخطط منذ شهر للإطاحة بالحياة النيابية والملعب عن طريق إلقائه سهمه المشروطة والمشروعة بين رجال الدين ثم إلقاءهما بين الأهالي عن طريق رجال الدين، وبهذا يلحق الوهن بالملعب، وفي الوقت نفسه يقوم في طهران بإغلاق الملعب بين الفوزاق وفرسان رحيم خان والجماعات الأخرى، ويبقى على الرؤساء المطلوبين بالحياة النيابية. ومن ناحية أخرى يرسل ابن رحيم خان في آذربيجان مع فرسان قره داغ إلى تبريز ويغلق الجمعية هناك ويتم القبض على الرواد.

هذه هي الخطة التي رسمت منذ بداية وصول الأنابيب، وكما يتضح منها، كانوا يريدون إنجاز هذه الخطة في الثلاثين أو الحادي والعشرين من أردبيهشت (8 أو 9 ربيع الآخر) لكن حالت بعض الأمور دون تحقيق ذلك، منها:

1- نهضة أهالي تبريز ويقطنهم واستعدادهم. فكما ذكرنا، كان أهالي تبريز يسيئون الظن في الدولة، أثناء ذلك لم يكن معلومًا من أي طريق علم بعض نواب آذربيجان بمثل هذه الخطة، فكتبوا الرسائل، وأطلبوا أهالي تبريز وحثوا على تلك النهضة. ومع أن نهضة أهالي تبريز كانت باسم المطلوبين بالقانون، وسوء الظن الذي كان لديهم لم يكن يدور إلا حول ذلك القانون، إلا أن نهضته كانت ذات فائدة، حيث كانوا يقضون وعلي وعدي ولم يتم خداعهم.

2- نهضة سالار الدولة التي حدثت في نفس الوقت. فقد هب ذلك الأمير المتهور سنورد قصته فيما بعد - للمطالبة بالثأر والعرش، وكما سنرى، لم يمكن
من القيام بشيء، إلا أن نهضته أدخلت الرعب في قلب محمد علي ميرزا وأفسدت مخططاته.

۳- النهضة الجماعية لطهران وصومود دار الشورى. وهذا الضغط وذلك الصمود مما اضطر له الكف عن مخططه دفعة واحدة، وإعادة ابن رحيم خان إلى مكانه.

وعلما الآن أن نهضة تبريز تلك، وجلبة ما يربو على العشرين يومًا لأهالي تبريز وثورتهم، وتلك الاستعدادات التي أبداهما الأحرار هناك كانت جميعها في محلها. ونواب آذربيجان الذين كانوا يعرفون عن استيائهم بريقًا بسبب ثورة أهالي تبريز، عادوا الآن يكتبون رسائل الدعاء ويمتحون الحادث.

حقًا، فقد أحدثت الخطة بسبب هذه الأحداث، ويجب الآن إعادة بيوك خان إلى مكانه، وإخفاء ذلك تم عزل رحيم خان من منصبه، إلا أن الأهلي لم يرتدوا بهذا القدر حيث كانوا يرغبون في حبس رحيم خان، بل وشاقوه، وهذا ما كان تقيلاً على محمد علي ميرزا، وكان بيدى صمودًا إزار ذلك.

وحينما انتهت المباحثات بين نظام الملك ورؤساء تبريز وعاد السيدان ونواب آذربيجان إلى المجلس، أمر الأتراك بالمضي إلى الشاه كي يبطعه على النتائج، وكانوا يترقبون الأوضاع حتى اللحظات الأخيرة بينما كان الأهالي - كما سنرى - يكشفون الحقائق. وعندئذ قدم حاجي محتشم السلطة وأطاعهم بأن الشاه قد أصدر أمرًا باعتقال رحيم خان وهو الآن قيد الحبس في نقطة الحراسة، ولم يرتد المجلس ذلك، وطالب بإحضاره إلى المحكمة والتحقيق عليه مقيداً بالأغلال مثل غيره من المذنبين. ولم يتخض محمد علي ميرزا لذلك. وفي تلك الأثناء كان حاجي محتشم السلطة وحاجي مخبر السلطة يقومان بالوساطة بين الجانبين. كما كان كل من ظل السلطان والأتراك يقومان بالوساطة، الأول من قبيل مواساته للأحرار، والآخر من قبيل النفاق.
من ناحية أخرى زاد الأهل على تروثهم وجلبهم في بارسان ومناطق المحيطة به مطالبين بإحضار رحيم خان وشقيقه. كما دار الحديث عن حكايات أصف الدولة، وقام الملك وحاجي آقا محسن ورغبوا في أخذهم بالعقاب، كما كانوا يطالبون بالدستور.

وفي طهران، ظهر اليوم الوعاز والخطباء كذلك من أمثال السيد محمد رفيع والشيخ علي زرني وآخرين، وكانوا يلقون الأحاديث تباعًا. ليلة، انتهت جلبة الأهالي بتقدم تقي زاده بداية ثم طباقيته أمام الفناء في محاولة منهما لمنع الجلبة، وفعلاً تقدم الفناء للأهل.

ومن الأحداث الأخرى التي تمت في ذلك الوقت أن الغد (14 ربيع الآخر) كان يوم مولد محمد علي ميرزا، وكان عليهم إشعال المصايف والألعاب النارية ليلاً والقيام بتزيين المدينة، ووسط هذه الجلبة لم يرتفع الأهالي ذلك، وقالوا علانية:

"لا يعلم حتى الآن أن هذا هو الملك أم لا."

والحالا دون إشعال الألعاب النارية من قبل رجال الدولة ليلاً.

وعلى هذا النحو انتهى اليوم، ولما كان الليل قد انتصف دون نتيجة، عاد أعضاء المجلس الأهالي إلى ديارهم على أن يعودوا في الغد.

قبول محمد علي ميرزا لطالب الشعب:

وفي غد يوم الاثنين انعقدت جلسة من النواب في منزل صنيع الدولة، وحضر فرمان فرما من قبل الشاه، وكان يطالب بالتحفيز على رحيم خان في منزل حاجب الدولة دون قيود أو أغلال، ولم يترضى النواب ذلك وأبدوا صمودًا فيما يطلبون، وحينما انتهت الجلسة توجهوا صوب المجلس.
اليوم احتشد الناس - مثلما كانوا بالأمس - في بارستان وما حوله وقاموا بالجلبة والضجة، واضطر محمد على ميرزا إلى الخضوع لمطالب المجلس.
واصرًا، جاء فرمان فرما ومحتشم السلطنة إلى المجلس وأحضرًا أمرًا من قبل محمد على ميرزا يقترب في معناه مما يلي:
"فرمان فرما، لقد عهدنا إليكم بأمر رحيم خان فلتتحفظ عليه مقيده ولا تدعه يهرب.
وطلبوا إرضاً للاهالي:
"إن رحيم خان مقيم الآن في المحكمة.
و لم يصدق البعض هذا الحديث، وأسرعوا إلى مقر المحكمة، وشاهدوا رحيم خان في القدم ثم عادوا.
في تلك الأثناء قدم المغفور له طبطابائي أمام الأهالي وتحدث إليهم قائلاً:
"طالما أن الدولة تعاونت معنا فما من مبرر الآن لإغلاق الأسواق، فلمضوا، وفتحوا الأسواق، واستبشروا خيرًا فيما يتعلق بإتمام الدستور.
و أطاع الأهالي السيد، وفتحوا الأسواق.
من ناحية دار في المجلس حيث حول احتفالات ذلك اليوم، وأراد النواب أن يخطوا خطوة في سبيل استضافة الشاه، وانتخبوا بعض الأشخاص ووجهوا بهم إلى البلاط لتقديم التهاني (بمولد الشاه). ومن ناحية أخرى أصدروا الأمر إلى أهل السوق كي يشعلوا المصابيح الليلة عوضًا عن الليلة السابقة.
وعلي هذا النحو انتهى الصراع ثانية بهزيمة البلاط، فبعد حادث شهر بهمن، كانت هذه هي المرة الثانية التي ينشب فيها العراق بين البلاط والمجلس وينتهي بظفر المجلس.
وذاع صيت نهضة طهران تلك لمساندة تبريز في المدن الأخرى، وكذلك الكتابات التي دونوها في صحف "الحلب المتن" و"صورة إسرائيل" و"الحدود" وال"العولم" والتي كانت موجهة إلى قتي قره داغ (أو وفقاً لقولهم إلى شهداء آذربايجان)، وتتم إغلاق الأسواق في كثير من البقاع تحت مسمى إقامة مراسم الحداد وأقاموا مراسم ختم القرآن في المساجد.

وفي رشته، وبمجرد أن وصلت صحف طهران إليها، مر التبريزيون في الأسواق باكين نائحين، وجاءوا إلى الجمعية وهم على هذه الحال، وجلسوا أرضاً وجعلوا بيكون. وأغلق أهل السوق كذلك الحوانيت وأسرعوا إلى مقر الجمعية وأقاموا الخيام حولها، كما أقاموا مراسم ختم القرآن لمدة ثلاثة أيام.

بعد ذلك أقام الأرمن مراسم الحداد في الكنيسة، ومن بعدهم أقام التلاميذ مراسم ختم القرآن، وعلى هذا النحو قضوا أسبوعاً في البكاء والحداث، وكانوا يسوقون الأحاديث وبرقون إلى طهران وتبريز.

وفي قزوين أغلقوا الأسواق كذلك، وأقاموا مراسم ختم القرآن في المسجد.

من ناحية أخرى، اضطر محمد على ميرزا - بسبب هذه النهضة - إلى إظهار أسفه على أعمال ابن رحم خان، ووصفه بأنه متمرد عاص. وكما ذكرنا، أمر الأتراك في نشره إلى نظام الملك أن يتبعه ويقبض عليه، وأمر نظام الملك نقي خان رشيد الملك - حاكم أردبيل - برقية بأنه يسرع بالتوجه إلى قره داغ برفقة الفرسان الذين جمعهم من قوات الشاهسون وغيرهم، ویقتي أثر بيك خان، كما أمر الأمير مقترد الدولة كي يشكل جيشاً من جند وفرسان المدينة وما حولها ويتوجه به إلى قره داغ.

وسرعان ما وصل نقي خان إلى قره داغ، أما مقترد الدولة - الذي كان قد أعد جيشاً بمساعدة الجمعية ونظام الملك - فقد نصب الخيام يوم السبت العاشر من شهر خرداد (19 ربيع الآخر) بالقرب من محلة آجی، وانضم إليه شجاع نظام.
مرندي وفرسانه. إلا أن الحاجة لم تكن ماسة إليهم، فمجرد أن تغيرت الخطة وتم القبض على رحيم خان، كف بورك خان عن أعمال السلب والإغارة وفر إلى ضياعته، وتقرب الفرسان من حوله، وخشب الحاج فرامرز خان وضرب غرام نظام – اللذان كانوا يتعاونان معه بفرسانهما – وأرسلوا رسالة إلى الجمعية بوساطة شجاع نظام بطلبان فيها الصفح والعفو. وكتبوا رداً من الجمعية مفاده:

"إذا ما أعادا ما سلبه من الضياع إلى ملكيهم، وعملا على استرضا المظلومين، وانضما إلى جيش مقتدر الدولة، سيم الصفح عما اقترفاه من جرائم".

وعلى هذا النحو انتهت فتنة ابن رحيم خان.

في هذه الأيام وقعت في طهران حادثة مثيرة للضحك، وكيفية ذلك أنه تم ذات يوم مشاهدة إعلان تم لصقه في ميدان المدفعية، كتب عليه:

"الترك مستعدون لإشعال المصابيح يوم الاثنين في مسجد سراج الملك".

وقع الأهالي في الدهشة، ولم يعلموا ما هذا الذي تم لصقه، وما الهدف من ورائه؟!

وأيا ما كان الأمر، ففى يوم الاثنين (يقال إنه نفس يوم الاثنين الموافق الخامس من خرداد الذي تفتح فيه الأسواق عصرًا) توجت البعض من أهالي آذرپایجان إلى مسجد سراج الملك للوقوف على ماهية الأمر، وعلم أن القائد والرائد هو ميرزا رحيم فالتبریزی، وأن جماعة قد اجتمعت حوله تتألف مما يقرب من مائة وخمسين فردًا من أهالي آذرپایجان المغمورين من قدامي جند حمقطان وآرونک ممن كانوا يعملون في طهران في الشئون المالية، وكذلك من فراشی البلاط وخدام حجاب الدولة ومن أشببه، وقاموا بالاستفسار عن ميرزا رحيم، وكان يقول:
إن هدفنا هو الوحدة وإدء الغيرة، ومن الآن وصاعدًا يجب أن نطلق الرصاص على كل من يتغوه بشيء غير لائق من خلفنا، وهذا أيضًا ما سيحقق بكل من بعينه علمانياً. حسنًا، إن حاجي ميرزا حسن آغا هو مجتهدون، وقد حضر إلى هذه المدينة، فلم لا يتخذ أي شخص إمامًا؟! لم لم نمض للقاءه؟! إن بعض نواب تبريز ينتون جهارًا إلى البابية ولا دين لهم، لم لا تقوم بمعاقبتهم؟! أيه عدم حمية هذه حتى يقتل العراقي طفلاً تركيًا ويواريه؟! ما الذي حدث لحمينكم التركية؟!....

وعلّم أن رجال البلاط يريدون - مثلما كان في عهد الاستبداد - إقامة العدوان والمناقشة بين العراقيين والأئذبيجانيين، وحث الأوباش على النزاع تحت مسمى التركي والفارسي، واختاروا ميرزا رحيم فلنجى المخادع لهذه المهمة، وقدمت هذه الحكاية المجال في يد مطلق النكات، وقامت بعض الصحف بإطلاق المزاح حولها.

قدوم ميرزا آغا الأصفهاني إلى تبريز:

عم الهدوء مدينة طهران منذ يوم الثلاثاء السادس من شهر نيسان (15 ربيع الآخر) وباشر المجلس - الذي استمد قوة من تلك الأحداث الأخيرة - أعماله، لكن الثورة في تبريز كانت لا تزال قائمة. ففي يوم الاثنين، وبعد حبس رحيم خان، جاء نواب أئذبيجاني إلى مكتب البرق، وأصبحوا عن حقيبة الحال، وطلبا ثانية بفتح الأسواق وعودة الأهالي لباشرة أعمالهم، لكن أحمد بن تبريز لم يرضا ذلك، ورغم أنهم تخلوا عن القيام بأعمالهم لمدة ستة عشر يومًا وألحقوا بهم خسائر عديدة نتيجة لذلك، إلا أنهم أبدوا صمودًا في ردهم على طهران، حيث قالوا:

"لن نغادر مكتب البرق حتى وصول الدستور من طهران."
وعلى هذا النحو كان اجتماعهم في مكتب البرق وكانت جلبتهم وثورتهم اليومية.

وطلب نظم الملك أن يقيموا الاحتفالات بمناسبة مولد محمد على ميرزا لكن القادة رفضوا، ولم يقبلوا أن يقيم رجال الدولة الاحتفالات ونشال المصابيح وإطلاق المدفع، وحاولوا دون حدوث ذلك.

في نفس هذه الأيام بدأ عمل سيئ من قبل أهالي تبريز وهو إحضار ميرزا آغا الأصفهاني - الذي تم طرده في ذلك العهد من استنبول - إلى تبريز، لقد سمع أهالي تبريز اسمه بين رؤوس الحياة النيابية، وكانوا - إلى حد ما - على علم بحكاية طرده من طهران وترحيله إلى كلاة أثناء توالي عين الدولة منصب الصدارة العظمى، لذا كانوا يتوقعون أبا تقدر، ولمنا قبل أن يمرزرا رضا خان أرفع الدولة سفير إيران هو الذي حث على طرده من استنبول، وفي ظل العداء الذي كان يكبه الأحرار جمعاً إلى أرفع الدولة الذي كانوا يعتبرونه من مؤيدي الروس ومن المسنين لإيران، لهذا كله زاد تقدمتهم لميرزا آغا وأظهروا واحداً من رجال العالم الأحرار. ولما كانت الثورة في ذلك الوقت على أشدها وخرج زمام القدرة عن الإدراك، بالغوا في استقباله والدفاع عنه، وفي اليوم الذي وصل فيه إلى تبريز عن طريق مرند وصوفيان (يقال إنه في الحادي عشر من خرداد) بادر النواب وروساء الحرية وحسد من الأحرار ومجمع الشعب لاستقباله على مشارف كويري آجي وأدخلوه المدينة في استقبال حار. ولم يتم الاكتشاف علق، فقد التحقوا حول شخص غير محبك مغمور، وأصبحوا له مكاناً في الجمعية وفتح الجميع آداؤهم لمسول حديثه، وسوف نرى كيف أنهم ندموا على مثل هذا السلوك.

وكانت إحدى سياقات هذه الفترة هذا الميل لمثل ذلك الشخص. حقيقة أن طائفة كبيرة سعت إلى الحرية، وكانت هي غاية طموحهم، لذا مجرد أن رأوا شخصاً متضامناً معهم في هذا المسعى عقدوا الأمل على ذاكائه وعلمه، ومالوا إليه بشدة، ومن فرط ساقتهم لم يشكوا في خداعه ونفاقه.
ونرى مثالًا آخر عندما دون طالبوف كتابًا، فقد منحوه ذلك التقدير واختاروا نياته حتى دون علمه، وظفوا لفترة طويلة يترقبون قدموه، وكانوا يكتبون الرسائل إليه، ورغم أن طالبوف كان يبدى استياءه من الأفكار البالية ومن مطالب النثابيين الإيرانيين في ذلك العهد، إلا أنهم اعتبروه أحد الرواد ذوى الشأن، وكانوا يأملون قدومه.

كما منحوا ميرزا ملكم خان مقامًا رفيعًا وكثيرًا ما ذكروا اسمه بكل احترام، وكانوا يقدرون رسالته أيضًا تقدر.

كما أطلقوا على سعد الدولة - رغم قلة خبرته وعدم تعلقه بالحياة النثابية - لقب أبى المللة، ومنحوه مكانة سامية، وحينما تحقى في نية طالبوف الرشيد أُبرقو إليه غير مرة يستفسرون منه عن الباعث وراء ذلك، وهذا كله من فرط سعادتهم وتعلقهم الشديد بالحياة النثابية والحرية.

هذا وقد أشتد وضع الخزي في طالبوف خلال تلك الأيام، واضطرت الجمعية من ناحية إلى الضغط على المحترفين وطلب الغلة منهم، ولما كان أحد هؤلاء المحترفين في أذر باجان هو محمد على ميرزا نفسه والآخر هو زوجته، فقد أشتدوا كذلك على مندوبهم، وكان محمد على ميرزا قد قام بالتخزين هنا، فأمر الأمناء نظام الدولة بإحضار الغلة إلى المدينة وبيعها بالتسعيرة اليومية، كذلك وصل مثل هذا الأمر من زوجة الشاه إلى مندوبها.

وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من خرداد (27 ربيع الآخر) قدم حاجي فرامرز خان وضرغام نظام إلى معتقل مقردار الدولة، واجتمعوا تحت المدافع، وتوجه نواب الجمعية وبعض الرؤساء إلى المعسكر وحذؤهم وأخرجوا من تحت المدافع، ولم تقبل جماعة من المحتجين هذا، وكانوا يقولون:

"إنه أراقوا دماء الأبرياء، وأبدوا العداء للشعب، وجب أن ينالوا عقابهم".
لكن ظلّت جماعة من النواب وغيرهم من خور فكرهم أن الشاه والأتباع يتعاونون بحق، وما كان يريدانه هو غضض الطرف عن أحداث الماضي والغاضبي عن جرائمهما وجرائم أتباعهم.

ومن نواحي ذلك العهد أن المذنبين كانوا يدخلون من باب الصفح ويطالبون بالعفو، إذا كانوا يغضون الطرف عنهم، بل وانخدعوا بمعونة حديثهم، وظنواهم مؤدين لهم. وهذا العمل الذي بدر عن أشخاص يتولون أزمة أمور الشعب هو عمل غير لائق بحق.

وبهذا الأمل أخرجوا هذين الشخصين من تحت المدافع، وأدخلواهما المدينة ليلاً وهم سعداء، وفي نفس الليلة وصلت برقية من أرومي مفادها أن الأهلاء هناك انقسموا إلى فرعين، فريق يؤيد مجد السلطنة، والآخر يسري الظن به، وأن الصراع احتم بين الفريقين واضطر مجد السلطنة إلى مغادرة المدينة والتوجه إلى ضيوعته، لكن الجلية لا تزال قائمة في المدينة لدرجة تأذي لها القنصل الروسي وطالب الدولة بتحقيق الأمن.

وانتفض الرواد من هذه الأنباء، وتبادلا النقاش قليلاً في هذا الشأن، إلا أنهم أرجأوا نتيجة المباحثات إلى الغد بسبب عدم وجود بعض النواب، وحينما رغوا في الثغر، وصلت برقيات أخرى تتبين بأحداث ماكو (كما سأذكر من بعد).

واستاء الجميع من هذه البرقيات، فلم تكون مسأة قره داغ قد انتهت حتى ظهرت مسأة أخرى أشد وظاءة في ماكو، ولم يكن ابن رحيم خان قد رحل حتى حل محله إقبال السلطنة، وأوضح هذا الحادث تحدي البلط وال צריכיםة على العداء للحياة النمادية.

وفي نفس الليلة، استدعوا نواب أدريابانج في طهران إلى مكتب البرق وأوقفوا عليه حقيقة ما حدث، ووعده النواب بمناقشة الحادث في الغد في دار الشورى. وبهذا الوعده غادروا مكتب البرق وتفرقوا بقلوب مفعمة بالإمسى وتوجهوا إلى ديارهم.
مقتل الحاج قاسم الأرديمي:

وفي الغد جاء نواب الجمعية ورواد الحريه أسرع من أي يوم آخر إلى مكتب البرق، واجتمعوا في غرفة انتخبوها، وتناولوا حول حادث ماكو، وكان ذلك الحادث أشد حرقة من حادث قره داغ.

في تلك الأثناء وقع حادث عجيب خارج فناء مكتب البرق، حادث لم يكن يتوقع قط. وكيفية ذلك أن احتشد الأهالي اليوم في مكتب البرق كان يفوق احتشادهم في الأيام الأخرى. ففضلًا عن الجلبية والضجة حول المطالبة بالقانون، وكما ذكرنا، قل الخبز بشدة في تبريز في تلك الآونة، وكان هذا معاناة أخرى للأسر القيارة، فذا اتجهت جماعات منهم إلى مكتب البرق وميدان المدفعية كي يبحثوا عن حل، ولم تكن نساء تبريز قد شاركن من قبل في النضجية المطالبة بالحرية، لكن وضع الخبز السيئ في هذه الأيام حث جماعة منهم على المشاركة في الثورة.

واليوم كان احتشد هذه الطائفة أكثر من الأيام الأخرى، هذا وقد جاء الحاج قاسم الأرديمي - وهو أحد التجار الأثرياء في تبريز وقد سمعته بسبب قيمته بالاحتكار - إلى مكتب البرق، وبينما يمر بين الأهالي حتى أظهرت سيدة له قطعة سوداء من الخبز كانت في يدها، وبسطت لسانها بالسبب واللعن، ولم تكتف بذلك ورفعت يدها وصفحته خلف رقبته، وما أن ارتفعت يد هذه السيدة حتى انفع الآخرون على الحاج وجعلوا يركلوه ويضربونه، ولم يقم أحد المجاهدين أو الرؤساء بمنع ذلك فقد ألحقو الأذى الشديد به.

أثناء ذلك وصل بعض المجاهدين وخلصوا الحاج قاسم من أيديهم، وحملوه وروجه كانت تزهق إلى إحدى الغرف العلوية في مكتب البرق، وأخذوه هناك، بينما خطب ميرزا غفار زنوري في الأهالي لتهدتهم، لكن الأهالي ظلوا في ثورتهم ومساعهم وكانو يطلقون بالتأمر منه، أثناء ذلك أطلق أحدهم رصاصة في
الهواء. من ناحية أخرى، كانت جماعة من النساء - ممن لم يعترن على الأخبز في الأسواق - قد اتجهت إلى مكتب البرق صانعات نانات. وأدى صوت الرصاصية ووصول هؤلاء النسوة إلى حدوث انتقاضة بين طائفة المعدمين والجوعي وكان من الصعوبة بمكان الحيلولة دون حدوثها، وسارع بعضهم إلى حجرات مكتب البرق بحثًا عن الحاج قاسم، وحينما عثروا عليه سحبوه على الفور إلى القناء وقاموا بركله وضربه، وظلوا يسببونه حتى زهقت روحه أمام باب منزل نير السلطان (بجوار مكتب البرق).

ولم يكف الأهالي عن ثورتهم، وحملوه حتى ميدان دار المدفعية وعلقوه هناك من قدميه، وبرجأ لا توصف قاموا ببتر أحد أعضائه ووضعوه في فمه، ومن بأس غضبهم وثورتهم لم يستطع شخص اعتراض طريقي، وكان كثير منهم يقومون بالبحث عن الحاج ميرزا رفيق خان - مالك ضياع محمد علي ميرزا وقراه - حتى يحملوه هو كذلك ويعلقوه بجوار الحاج قاسم.

ويوضح هذا الحادث - مثلما أوضحت الثورة الفرنسية في باريس- أن جماعة من المعدمين قد تقدمت، وكانت لها الغلبة تدريجيًا، وهذا ما يوضح أن الثورة كانت فعالة ولها سمتها الخاصة. وسما الثورة هذه هي أن مجموعة ما قد تكاثرت مع بعضها البعض، وخلصت نفسها من قبضة المستبدين ورجال البلاط، ثم تقدمت مجموعة من المعدمين والكافحين لثائر من الأثرياء والمرفهين. وفي باريس انضم دانتون وروبيسبر إلى مثل هذه الجماعة وأيضاً، وقاما بسلسلة من الأعمال التاريخية المثيرة، وفي تبريز انعدم وجود أمثال دانتون وروبيسبر وإلا لوجدت هنا أيضًا أعمال مثيرة.

على هذا النحو قضت تبريزة يومًا مشحوًا بالثورة والجلبة، وفي تلك الأثناء كانت البرقيات تصل على التوالي من ماكو تطالب بالإسفاح، وكما سنذكر، تباحثت الجمعية مع طهران بحديث حاد.
أما قره داغ فقد حقق رشيد الملك الأمن هنا، وفي يوم الاثنين التاسع عشر من خرداد (28 ربيع الآخر) وصلت منه برقية مفيدة أن أم بيوك خان وعمته وأخاه قد جاءوا إلى المعسكر يطلبون الصفح والعفو عن بيوك خان، ويعربون عن أن بيوك خان قد ندم، ويعتقد بإعادة ما سلبه إلى الأهالي ودفع دية القتلى، وأنه لن يتمد ثانية منذ الآن وصاعداً على الجمعية والشعب.

فقد رسموا هذه الخطة لإخماد غضبة المطالبين بالحياة النيابية وإطلاق سراح بيوك خان، وحقيقة الأمر أن رشيد الملك نفسه كان من عمال البلاط، ومن مؤيدي بيوك خان وأمثاله، وكان يسلك طريق النفاق مع جمعية المطالبين بالحياة النيابية.

وتباحثوا في الجمعية بشأن هذه البقرة، وأبدى بعض النواب خور عزم، وتنادوا آية (عفوا الله عما سلف)، وجعلوا يذكرون الحكايات منذ صدر الإسلام والأحداث المواكبة للرسول الكريم (صلى)، والنتيجة أنه تم قبول اقتراح رشيد الملك بشأن العفو عن بيوك خان وأتباعه، لكنهم اقترحوا أن يتم إرسال نسائه وأبنائه - المساكين - إلى تبريز، وأن يوجه بعض الرسل من تبريز إلى قره داغ للتحقيق فيما تم من تحايل وإغارات على ممتلكات القرويين، وأرسلوا أمرًا إلى رشيد الملك يفيد بذلك.

وهذا انتهى حادث قره داغ وتم إطلاق سراح بيوك خان دون أن يناله أدنى عقاب، ولم يرسل رشيد الملك نساءه إلى تبريز، ولم يستطيع الرسول - الذين غادروا تبريز - القيام بشيء، وعادوا بعد فترة. لكن ثورة تبريز وغلق الأسواق ظل قائمين لعدة أيام، وهذا الروساء من ردع الأهالي وحثهم على فتح الأسواق، وتعتبر هذه الثورة - التي أطلقنا عليها اسم ثورة أردبهشت - وكما سنرى استمرت أكثر من شهر - من الأحداث العظيمة في تاريخ الحياة النيابية. فهي مثال يوضح إلى أي مدى كان تعلق الأهالي بالحياة النيابية، وكيف تحملوا الصعاب والمضرات في طريقها.
إن هذا الحادث - فضلاً عن نتائجه الأخرى - يتضمن فائدة، حيث عمل على ازدياد قوة طائفة المجاهدين. وكما رأينا، إنه بعد حادث إغارة ابن رحيم خان، وذلك الحديث الذي دار في المدينة، تعهد هؤلاء بالدفاع عن المدينة، وكانوا بطفون في الضواحي ليلاً في جماعات ويقومون بالحراسة. فضلاً عن هذا فقد استطاعوا القضاء على حالة الهلع التي انتشرت في المدينة بامتلاكهم البنادق والذخيرة، ولما كان الرؤساء من ذوى العقول السديدة، لذا سعوا للاستفادة من كل حادث لتقدم أمرهم.

وإلى هنا نختتم هذا المقال حتى نورد قصة انفصال رجال الدين عن الشعب - وهي القصة التي حدثت في تلك الأثناء في طهران - في مقال منفصل.
"المقال السابع"

إلام انتهى الصراع حول النيابية والشرعية؟

يدور الحديث في هذا المقال حول صمود رجال الدين إزاء المطالبين بالحياة النيابية، وغير ذلك من الأحداث التي تمت منذ انفصالهم عن مجتمع الشعب وحتى مقتل ميرزا على أصغر خان الأتباك.

تضامن المجتمعيين الثلاثة:

كما ذكرنا سالفًا، انتهت نهضة طهران لمؤازرة تبريزة بظفر الشعب وزيادة قوة المجالس. وثمة نتيجة أخرى لتلك النهضة وهي أن الثورة المطالبة بالحرية قد استمدت قوتها ثانية في قلوب أهل طهران، وزال ذلك الوهن الذي ظهر نتيجة الصراع بين الشرعية والقانون.

والجدير بالذكر أن الأتباك لم يقوموا بانتفاضة في خضم الصراع بين القانون والشرعية لعدم معرفتهم بضلوغ البلاط في هذا الأمر، لكن حينما وقع حادث ابن رحيم خان وظهرت يد البلاط في تلك الأعمال، كان هذا أساسًا لحركتهم ونشبت الثورات ثانية، وكانت هذه النهضة ذات فائدة للأحرار من كل جهة وانتهت بانتصارهم.

ووقع الحال أن هذا الانتصار لم ينه الصراع بل جعله أكثر ضراوة حيث وضحت يد البلاط في هذه المرة أكثر من غيرها. وكما ذكرنا، لم يكن ابن رحيم خان قد رحل حتى حل محله إقبال السلطنة. وهذه المرة قام من كان يطلق عليهم

97
المطالبون بالشريعة، بالقتال وإظهار العراق بدلاً من التباحث والجدال، وأقضى ذلك إلى انفصال رجال الدين عن الشعب.

فضلًا عن ذلك ظهرت مشاكل أخرى للمجلس والمطالبين بالحياة النيابية، كما سنوردها من بعد، فقد تقرب الشيخ فضل الله بشكل أكثر إلى البلاط طوعًا أو كرها بسبب مطالبته بالشريعة ودعاته للحياة النيابية، ثم جاءت نهضة طهران التي زادت من نفوذه وسعته وأنضم دفعة واحدة إلى البلاط. وكما قيل، فقد حصل على سبعة آلاف طومان من البلاط كي ينفقها في هذا الطريق، والحقيقة أنهم أشاعوا أنه كان يستدعى إلى منزله كل يوم ما يقرب من ثمانين طالبًا ويبسط لهم الموانئ ثم يدعو للإساءة إلى الحياة النيابية وينقل كلاً منهم قرائنه وتوجههم إلى ما يريد.

من ناحية أخرى، حينما وصل حاجي ميرزا حسن المجتمد التبريزى - الذي أشرنا سابقًا إلى قصة طرده من تبريز - إلى طهران، توجه على الفور إلى عيد العظيم وأقام هناك، وكان من المتوقع أن يذهب الأهالي في جماعات لزيارته إلا أن هذا لم يحدث، وتوجه إليه رجال الدين فقط، كما أرسل محمد على ميرزا إلى حاجي سعد الملك. وبعد عدة أيام غادر عبد العظيم متهما إلى المدينة وتوجه حاجي محمد اسماعيل ومرتضى إليه من قبل دار الشورى، وحملا إليه رسالة مفادها أن يكف عن الإساءة إلى الحياة النيابية وإلى أهالي تبريز، ورد قائلاً:

أي مجنون لا شعور له يستطيع أن ينظر الحياة النيابية؟ حقًا إنني لسعيد بجمعية تبريز، لكن ما صدر عنها من أقوال أو أفعال لا يمكن تحمله فقط. فعلى سبيل المثال إنهم يقولون بأنهم سيبنون المنازل من مال ذلك السيد ولا يقدرون الضرائب ويتفنون على ذلك من أموال أحد المصانع. كما أن قراءة الروضة قد أوقفت، لقد شهدت ذلك الشعب بطفول يضعون في يده أشرقاً (عملة مالية) ولا يدرى ماذا يفعل به....

لكن ما بدر منه لم يكن سوى حديث من اللسان، فقلبه كان مفعماً بالغضب إزاء الحياة النيابية، إذا كان ائتاله حاجي الشيخ فضل الله وانضمائه إليه. وقد
شاهدنا قبل قدمت مسيرة حثا على شيخ فضله الله، ويتزعم طهران في موضوع طرحه من تبريز في رسالة إلى ابنه، كيف أيد المواساة له، ومع كل هذه المواساة لم يكونوا على اتصال في ذلك الوقت.

ومنا اثناه خاصا من أحداث رحلة جهان إلى طهران، اتصل هو الآخر بحاجي الشيخ فضله الله وولعه إليه، وتأثر المجتهدون الثلاثة وعندما تجاوزنا فيما بينهم، وانتضم إليهم بعض رجال الدين غير الراغبين في الحياة النيابية من أمثال الشيخ عبد الله وعلي محمد وحاجي ميرزا لطف الله - قارئ الروضة - وآخرون، والنفت حولهم كذلك جماعة من الطلاب. وعلى هذا النحو ظهرت طائفة كبيرة في مواجهة الحياة النيابية والمجتمع، وظل هذا التجمع سريا لفترة حتى اكتشف أمره.

ويشير كاتب حاجي الشيخ فضله الله في الرسالة التي كتبها إلى ابنه في النجف إلى هذا الأمر، قائلاً:

"شكوناق في تلك الأونة جمعية من العلماء، انتظم إليها حتى الآن جناح المستطاب حجة الإسلام آقا مجتهد تبريز، وجناب خامس، وجناب آخوند ملا حمد أملى، و... وكانوا يعقدون الاجتماعات في جلسات خاصة كل يوم في منزل أحدهم، والحق أن العلماء والطلاب كانوا يجتمعون بشكل جيد، وتجمع ما يقرب من ألف شخص من العلماء الأعلام والطلاب الكرام ولا يزالون يجتمعون، وأسس هذه الجمعية هو الحفاظ على بيئة الإسلام ورد ما يوجب مخالفة الشريعة والأحكام الموضوعة للمجلس الوطني المقدس.

وهكذا وعلائي الدين وجههم عن الشعب في طهران، واتحدوا فيما بينهم لمقاومة الحياة النيابية، وتمكن هذا الاتحاد من إلحاق الأذى الشديد على الحياة النيابية، وتمكن من أن يجتهد من جذورها، خاصة مع ذلك الاتحاد الذي تم بين هذه الطائفة وبين السيد كاظم البزرى في النجف، حيث تألفت جماعة قوية بشكل سري.

انضم إليها الجميع من بعد.

99
والكثير الذي كان للأهلية تجاه الدين، ومع ما كانوا يتعهدون به إزا مبدأ التقليد بشكل لم يحدث من قبل، وضع في حديثهم وأفعالهم أتباعهم للرجال الدين وعداؤهم للحياة النباتية. ولا شك أن شأن المطالبين بالشريعة قد علا بهذا الاتحاد، ولا شك أن ثمة إرادة دماء قد تمت، ولما لم يكن للحياة النباتية في ذلك العهد أساس محكم فقد سقطت بسهولة وانحلت.

وما كان يحمي الحياة النباتية هو صمود السبدين وأخوئن خراساني وحجى الشيخ مازندراني، ومع ما حل عليهم من ضغوط وما عانوه من أذى كانوا أيدوه عن تأبيد المجلس والحياة النباتية. وما أن اكتمل الاتحاد حتى قام رجال الدين بالعمل، فها هو حاجي شيخ فضل الله يسرى إلى المجلس والقانون دومًا في حلقات درسه. وكان حاجي ميرزا لطف الله ينظم الحياة النباتية ببلوعة من فوق المنابر، ويتهم المطالبين بها بالكركر والإلهام. كما قدمت طائفة من البلاط إلى بخارستان، ووقفت أمام المجلس حتى إذا ما دار الحديث حول الدستور، أو تحدث شخص من نواب آخرين أجانب أو غيرهم بحديث يخالف الشريعة، يتدفعون، ويسحبونه خارجًا ويضرونوه.

وكان وقع سلوكهم المتهور هذا تأثراً على الأحرار، لذا ظهرت حركات منوبة، واستعدت جماعة للمقاومة، وتردد اسم حاجي الشيخ فضل الله بأنه يبالغ في الإساءة لدرجة تأذى لها ابنه الشيخ مهدى. أما حاجي ميرزا حسن - الذي استأجر منزلًا للإقامة فيه - فقد أرسل الجيران إليه يطالبونه بالرحيل من المكان.

وذلك القدر الذي أشرنا إلى تدوين الحاج الشيخ فضل الله نور على إضافته إلى الدستور تم تطبيقه وتوزيعه على الأهالي في تلك الأيام، كما نشرته صحيفة "الصريح الصادق" في أحد أعدادها، لكن الناس استأذوا من هذا العمل السيء، واندفعوا إلى إدارة الصحيفة، وزمروا كل ما عثروا عليه من ذلك العدد.

وعلى هذا انحوه ظهرت ثورة أخرى في طهران، ولكن نقدم نموذجًا لتأثير تلك التجمعات ومدى خشية الأحرار، نورد في هذا المقام البرقية التي تم إرسالها في نفس هذه الأيام من طهران إلى النجف:

100
"النجب - إلى حجة الإسلام خراساني روحنا فداه، لقد ضحينا بأرواحنا وأموالنا أوعواً طوالاً كالصرع تحيا نير الظلم، والآن مضينا كنا نحياً قليلاً في ظلم البداع، وقد جمعت الدولة العلماء في طهران حتى يشتبه الأمر على حجج الإسلام والعلمان والأجلاء أن النيابية تعارض المصلحة، لحق كم من حبل المستديدين، نستحلفكم بالصديقة الظاهرة أن تتصلوا بسائر حجج الإسلام في النجب وكربلاء وكاظمين وسماراء - روحنا فداهم - ولتأمروا بالعلاج... ولما كان من المحتمل ألا تتم المواصلة من طهران فقد تمت من باد كويه.

(الشعب)

لقد كانت تلك الاستفسارات المنتهية التي كان يبعث بها الأفراد إلى علماء النجيب إحدى النتائج الوخيمة لهذه الأحداث، إنهم كانوا سعداء بتزايد الانضمام إلى الدين والشريعة، ومستمرون عبر الرسائل والبرقيات عما إذا كانت الحياة النبامية شرعية، وحينما وصل الرد جعلوا يقولونه هنا وهناك، وسوف نرى النتيجة التي انتهت إليها هذه الاستفسارات.

هادات ماكو:

أما حادث ماكو، فكما أشرنا، حينما راحتد الثورة المطالبة بالحرية في أذربيجان، وظهرت تلك الثورة والحركة في تبريز وغيرها من المدن، ذاع صيت تلك الأحداث في ماكو وما حولها، وانتفعت الأهالي هناك، ورغبوا في إقامة جمعية في ماكو إلا أن إقبال السلطنة - الذي كان يتولى أزمة الأمور هناك وكان من عملاء جهاز الملك - لم يرض ذلك، وظهر الصراع بينه وبين المطالبين بالحرية، وتم إرسال ميرزا جواد ناطر من قبل المجلس المحلي للتواصل معه وإقامة الجمعية، وتوجه ميرزا جواد إلى ماكو وتباحث مع إقبال السلطنة وأقام جمعية هناك.

بعد ذلك زاد الأهالي من ثورتهم وانتفاضتهم، ولمعا كان عزت الله خان - ابن أخت إقبال السلطنة - يبدى تضامناً مع المطالبين بالحياة النبائية، فقد حث
الأهالي على رفض بقاء إقبال السلطنة على أرض ماكو، فطردوه إلى القوقاز. وأبداً التباحث مع المجلس المحلي عبر البرقيات والرسائل يطلبون الحكم هناك لعزت الله، وأحذرت الحركة الثورية، وتم افتتاح الجمعيات في معظم القرى، وأرسلوا الرسائل إلى تيريز، مفادها: "وقدما يرغب المستبدون - لاقت الله - في القضاء على هذه النخبة، وإلقاء القيدة بين أفراد الشعب، فيجب بداية قتل جميع أهالي ماكو والمطالبين بالنيابية كي يبلغوا مقصدهم....".

وبعد فترة لم يمهلوا عزت الله خان، وكفوا يده عن الأعمال هناك، وأقامت طائفة من مؤيدي إقبال السلطنة في محلة دزى بالقرب من ماكو، فانقضوا عليهم ودار بين الجانبين قتال وعراب.

في تلك الأثناء كان إقبال السلطنة يقيم في إيران وأضحى يتابع الأحداث، وتم الاتصال بينه وبين محمد علي ميرزا والأتابك، وحينما سمع بقصة الحرب ضد مؤيديه أسرع بالتوجه إلى إيران واصطحب معه المئات من فرسان أكراد جلالي ووصل لنجدة أتباعه، وليلاً، أقام الأكراد الاستحكامات لمقاومة المطالبين بالحياة النيابية، ومع حلول الفجر هبو للقتال، وتغلبوا عليهم، وقتلوا العديد منهم ثم استولوا على المدينة وقبضوا على نواب الجمعية ورود الحرية وألحوا الأذى البالغ بالمطالبين بالنيابية. بعد ذلك توجه الأكراد المغورون إلى القرى وقاموا بأعمال السلب والقتل.

وهذا وقد قامت صحيفة "الجبيل المتن" الصادرة في طهران بترجمة أحد المقالات نقلًا عن صحيفة "كاسي" الصادرة باللغة الروسية في باكو ونشرته في أحد أعدادها، وكان يجب أن يكون هذا المقال أساسًا لخزى كل إيراني. يقول صحفي "كاسي" عن طهران بعد ذكره ل اسم ثلاث عشرة قرية تم تدميرها:

"إن المظلوم التي لحقت بأهالي هذه الأماكن خارجة عن نطاق التحمل، فقد قسموا الرجال نصفين، وفصلوا عن النساء أثنيتين، وألقوا بالأطفال في مجرى الماء، وكانوا يبتروون لسان كل من بورد اسم الجمعية على لسانه."
ويقول:

"كانت توجد أعداد غفيرة من مبتهري اللغة هؤلاء".

ورغم ما انسوت عليه هذه الجملة من مبالغة لكن لا يمكن القول بأنها كانت محض افتراء، فظل هؤلاء الأكراد وسلوكيون الألطيخ لا حدود له. وحينما فلت لجامهم لم يضنا قط عن ارتكاب المظالم بشكل يفوق الحد، خاصة عندما أطلقوا اسم "البابية" على المطالبين بالنازي، فهم بذلك قد منحوا سفانا الدماء هؤلاء الذريعة الجيدة في أيديهم.

وكما ذكرنا، كانت ليلة الأربعاء الرابع عشر من خرداد، هي تلك الليلة التي وصلت فيها الأنباء من خوي إلى المجلس المحلي بشأن هذه القصة الدامية، وفي نفس الليلة استدعت الجمعية نواب آذربيجان في طهران إلى مكتب البرق، وأوقفهم على حقيقة الأمر، وقدم هؤلاء الوعود بنذل السعي.

لكن أي مساع كانوا يريدونه سوى ذكر ذلك الحادث في المجلس وإيداع المواساة والتأس، أو أنهم سيكتبون بكيفية الحاد إلى الأتاك ويطلبون منه الحل.

وأي نتيجة يمكن الحصول عليها من هذه الأعمال؟!

في ذلك العهد كان البلاط يبدى عداءه علانية ويقوم بالنزاع مع المجلس والنيابة عبر عدة طرق، فمن ناحية – كما ذكرنا – تضامن المجتهدين الثلاثة وسعوا إلىتكوين تحالف، وقام ملا محمد أمين بدم المجلس والنواب من فوق المنبر علانية. ومن ناحية أخرى، أظهر نقيب السادات – أحد الإقطاعيين – الاعداء، ونصب خيمة في منزله لقراءة الروضة كان يجمع فيها غيره من الإقطاعيين والمستفيدين للمجلس، ومن ناحية ثالثة، احتجت الثورة في المدن، وقام كل من قوات الملك في شيراز وحاجي آقا محسن في العراق، وأدى كل من مظفر الدولة في زنجان وعميد السلطة في طالش التابعة لهما. وكان محتجين السلطة – مندوب الأتاك – يقدم ردودا عاجبة في المجلس على شكوى النواب، وكان واضحًا أن ما
من رغبة لهم سوى محاربة المجلس، ومثال على ذلك ما ورد في جلسة يوم السبت السابع عشر من خرداد (٢٣ ربيع الآخر) حينما دار حديث حول قصة سلال الدولة وقتنتا كرمانشاه وتشكي حاجي ميرزا إبراهيم آقا مما يقوم به ملا محمد آل من ذم، حيث رد محتشم السلطة بقوله:

"يجب النظر إلى المسائل بشكل عام كي يتم القضاء على كل المفسد لا أن تحولوا دون حدوث بعضها ولا تحولوا دون حدوث البعض الآخر، فهما يسيرون إلى الأهالي أسفل حجرتكم، وسيادتكم لا تحقق النظام الداخلي وتوقع عندئذ ألا يتناولون ذلك من فوق المنابر!؟

 فقال حاجي ميرزا إبراهيم آقا:

"ماذا نفعل في موضوع ماكو؟... فهم مشغولون منذ أيام بأعمال القتال والإغارة."

فرد:

"يجب أن يكون لكم تصوير واحد لكل المملكة وأن تعمم الإجراءات لإزالة المفسد."

هذه هي الردود التي قدمها مندوب الحكومة إزاء إرادة الدماء التي يقوم بها إقبال السلطات ومطالبية جمعية تبريز بالإنصاف. لقد دمر الأكراد القرى وبرد مندوب الحكومة - التي عليها تحقيق الأمن في الدولة - بمثل هذه الحجج أمام المجلس.

وقد حدث عن إقامة نقية السادات للخيام، وقال أحد النواب:

"عجبًا، فبدلاً من أن تحول الحكومة دون ذلك ترسل الفراشين للمساعدة في إقامة الخيام."

وقال آخر:
ينبغي طرد المفسد، لم لا يمنعون صاحب الخيمة ويزيلونها؟!

وحتجج محترم السلطنة بإقامة أهل شيراز للخيام أمام بهارستان، وأجاب:

قائلًا:

" لقد ذكرت سالفًا أن الحكم يجب أن يكون عامًا... لو ينبغي إزالة الخيام فيجب بداية إزالة تلك الخيام الموجودة أمام الباب في الطريق العام، قبل أن تزيلوا تلك التي أقيمت في منزله."

فقال أحد النواب:

" إن نواب شيراز مستعدون الآن لإزالة الخيام شريطة أن يتم إزالة كل خيمة تم نصبها.

فرد محترم السلطنة:

" إنك يا السادرة تشتون في سلوككم، أولاً، ووفقًا للسنة النبوية، لا يمكن شخص أن يدخل منزل شخص آخر نصب في منزله خيمة، لكن أولئك الذين نصبوها على قارعة الطريق العام يعتبر عملهم هذا غير مستحب في الشرع."

ودار حديث عن الأمن داخل الدولة، وفي البرلمان الذي أُنشئ على النمط الأوروبي لسن القوانين الأوروبية، يتحدث مندوب إحدى الحكومات الجائزة حول " المسائل الشرعية " وكأنه أحد رجال الدين!!

ودارت مناقشات عديدة على هذا النحو، وفي النهاية اقترحوا تشكيل لجنة من العلماء وبعض النواب والوزراء، ودار حديث مفصل بشأن الميلولة دون نشوب الفتنة، وهذا الهدف الواضح أنهى المجلس أعماله. وتبين المجلس المحلي بتبريز الحادث، وكان يستدعى نواب أذرعيان على التوالي إلى مكتب البرق ويشتد معهم، ووصل الأمر إلى قولهم علانية:
إن الباعث على هذه الفتنة هو الحكومة نفسها، لا يقتصر عملكم في طهران، فتعالوا وتضافروا في آذربيجان ونسعى لحل المشاكل.

كما أرسلوا البرقية التالية إلى الأتراك:

من نواب آذربيجان المبجلين إلى جناب الأشرف الأتراك الأعظم، لقد عرض أهالي آذربيجان مطالبهم علانية، وحقيقة الحال أنه منذ قدم جناب الأشرف وقد وقعت كل آذربيجان، بل كل بقاع إيران، تحت وطأة كافة أنواع الشدائد والفتنة. ومع الآمال التي كانت تحددهم تجاه جناب الأشرف إلا أنه خيب ظنهم، بل كان داعيًا لظهور الشبهات لدى العامة بشكل تدريجي، لذا نذكر من باب النية الحسنة وجواب أن تطلعوا العزل الوري لإقبال السلطنة من الجهاز الملكي إرساء الشعوب وعملاً على تهدئة الخواطر، وأن تعرضوا برقبة خوف على صاحب الجلالة، ولتلاحظوا أن كل يستطيع أن يرتدى تلك الفاجعة. لا يجب أن يكون من نتائج توقف جناب الأشرف في الممالك المتمنية لمدة أربعة عشر عامًا هو ظهور تلك الأمور غير المتوقعة، والأمل ينحصر في العزل الوري لإقبال السلطنة وتعيين أحد المسؤولين الوطنيين الأكفاء من قبل جناب الأشرف.

(عامة الشعب)

وفي كل يوم كان يصل خبر آخر عن ماكو بدعو إلى الحرقة والإسق وأبدت جمعية خوي صمودًا وكانت تتطلب بالرد. أما المجاهدون وغيرهم فكانونون بالجلبة والضحية في مكتب البرق ويشتدون مع القادة، لكن لم يعود ذلك إلى دائرة، ولم تتأت نتيجة من طهران سوى قولهم بأن المبادئ جارية مع الحكومة يوسف يتم القيام بإجراء. كما رد الأتراك على تلك البرقية مبادئًا نفسه وأرسل - من قبل التفاقي - أمرًا إلى نظام الملك يفيد بإتمام التحقق في أحداث ماكو والسعى إلى الإصلاح.
قصة سلار الدولة:

وأما زاد من وقاحة البلاط في ذلك العهد تلك الأديباء التي كانت تصل حول هزيمة سلار الدولة وهروبه، وما كانوا يأملون جابته زادوا من عدائعهم للمجلس ومؤيديه. وكما ذكرنا، إنه في الأعوام الأخيرة من حياة مظفر الدين شاه حيث كان عين الدولة يرغب في خلع محمد على ميرزا من ولاية العهد، كان أحد أبنائه الشاه من كان يأملون في العرش، يقوم بالمساعي، وهذا الشخص هو أبو الفتح ميرزا سلار الدولة نفسه. لقد كان يحكم في ولاية كردستان ويعيش هناك، لكن أعوانه كانوا يسعون في طهران لصالحه، وكان حاجي ميرزا نصر الله ملك المتكملين - الذي غادر كردستان متجهاً إلى طهران - أحد أعوانه، لكن كما ذكرنا، لم يتحقق رغبة عين الدولة، وظل محمد على ميرزا في ولاية العهد، وانتهى الحدث عن تلك الأقاويل، وانضم ملك المتكملين كذلك إلى الأحرار وصار من الخطباء ذائعين الصيت.

إلا أن فكرة اعتلاء العرش كانت لا تنزال تراود سلار الدولة، وحينما شاهد صراع الشعب مع محمد على ميرزا قوى الأمل بداخله. هذا وقد رفع الحجاب عن الأمر تدريجيًا وأعلن تمرده علانية وأغار على بروجرد وما حولها بمساعدة طائفة من المغيرة تتمنى إلى أكراد وولان، وقام بأعمال السلب والإغارة وعمل هذا الشاب المتمرد على استياء الأهلائي منه بدلاً من العمل على تعاطفهم معه.

وكانت إحدى أدواته اختلاط الأكاذيب على لسان المجلس والمطالبين بالحياة النمائية ونشرها، فقد أرسل إلى العديد من رؤساء العشائر وقادة الفرسان قائلاً إن استدعاءه قد تم من قبل المجلس لمساندة النمائية، وأنه اتجه إلى طهران بناءً على رغبة الأحرار.

في تلك الأثناء نشبت الفتنة ثانية في كرمانشاه، وقام الأهلائي هناك - وكانوا منقسمين إلى فريقين، أحدهما يؤيد النمائية والآخر يسيء إليها - بالنزاع ثانية وقتل
البعض منهم. واستدعا أقا محمد مهدي قائد الأحرار من طهران وأعلن عن تمرده واعتصم مع أتباعه داخل الفصيلية الإنجليزية. وفي تلك الأثناء وقعت في يده رسالة من سلالار الدولة كان قد أرسلها إليه كتب فيها:

وفقاً لما أفاد به الأبناء فإن بضعة أشخاص من نواب البرلمان تم قتلهم في طهران، وطهران مضمرة، و قد وجهوا بطاقة أيضًا من آربايانج، والآن لو لديكم حس الإسلام فلتباو تضامنك، وسوف أعد العزم على الرحيل أيضًا هذا الأيام."

وحصل الفصل الإنجليزى على هذه الرسالة وأرسلها إلى طهران، وانكشف الأمر وعلم أن شمل تضامنًا بين أقا محمد المهدي وسلاسار الدولة، وأن الأخير يريد أن يجتذب الأهالي إليه باسم تأييد التباهية.

وكثرًا ما دار حديث عن المجلس حول هذا الشأن، و لما كان الحادث يبدو من بعيد عظيمًا، رغب نواب المجلس في إظهار التضامن مع محمد على ميرزا، وأبدوا في تلك الأثناء تأييدهم له وتعلقهم معه، وأعربوا عن استيائهم من سلالار الدولة وأرسلوا برقية من قبل المجلس في ذمه وإحياء الاستياء منه، كما أشاروا إلى القادة الذين أبدوا خور عزم في المبادرة لقتاله. لكن الحادث كان أقل بكثير مما كانوا يظلون، ووصل النبا ليلة الأحد 18 خرداد (27 ربيع الآخر) بأن حربًا حامية الوطيس قد نشبت ليلة الأمس بين سلالار الدولة وجندو وبين قادة الدولة (يقال إنها كانت بالقرب من نهاوند) وفر سلالار الدولة بعد فترة وجيزة من العراق وتجرعت جيوشه الهزيمة وفر أفراده من الميدان.

على هذا النحو انتهى الصراع على الوعر، و خمد الحديث الذي كان يدور بين الناس في هذا الشأن، ووقع الجميع في الدهشة من تهور سلالار الدولة وعدم حسناته. وزادت هذه الدهشة حينما سمع أن هذا الشاب الأحمق قد اتجه إلى كرمانشاه ولجأ هناك إلى القنصلية الإنجليزية وحث حكومة إنجلترا على الوساطة.
واضطر محمد علي ميرزا لأن يغاضي عن ذنبه، واستدعاه إلى طهران بعد فترة مع طائفة من الفوؤاق ومنه مقرًا في حديقة الأتابك وظل هناك إلى أن توجه إلى أوروبا بعد فترة.

وكما شاهدنا، كانت نهضة سالار الدولة تلك أحد البواث التي حالت دون تنفيذ محمد علي ميرزا لمخططه بشأن المجلس والنيابية، لكن حينما غلّ ضعف شأن سالار الدولة ووصلت الأنباء تفيد بانتصار أتباع الدولة، استعاد البلاط قوته ثانية وزاد من تجاهله للمجلس، واتخذ الأهلية ذريعة، وقالوا:

ما الذي حدث حتى يحولوا دون تقدم سالار الدولة مع كان يتمتع به من قوة في حين أنهم لم يمنعوا حاجي آغا محمد الذي لا يزيد عن كونه أحد رجال الدين ويقوم بتلك المظالم والمتمرد منذ عدة أشهر؟ ولم لم يضطروا لإحضار قوام الملك الذي تجاهل برقيه الحكومة ورفض القدوم إلى طهران؟! ولم لم يجدوا حلاً لإقالة السلطنة الذي دمر القرى على هذا النحو؟! لقد رفع النقاب عن الأمر وعلم كل شخص أن ما من رغبة للدولة سوى العداء للنيابية والقضاء عليها.

وفي يوم الاثنين التاسع عشر من خرداد (من غد ذلك اليوم الذي وصلت فيه الأنباء تفيد بهزيمة سالار الدولة) جاء الأتابك والوزراء إلى المجلس للتماحث بشأن اضطراب الأوضاع في المدن وإيجاد الحل، وحينما حل ذلك اليوم وانعقدت الجلسة، ساق النواب الأحاديث حول تدهور الأوضاع في المدن ومظالم المتمردين، وحملوا مسؤولية الوقوف أمامهم على عاتق الدولة، وترفع الأتابك قائلاً:

"إنه ما كان يجب القيام به لم يتم حتى الآن بسبيع أمرين، أحدهما: عدم إتمام لوحات الحكام، والثاني: فالحكم يعترض أنفسهم اليوم بلا مسئولية. والآخر: عدم تهيئة أدوات التنفيذ".

وأحصب فرمان فرما - وزير العدل - الفتنة التي نشبت في إيران منذ عشرين عامًا قائلاً:

"لقد نشبت هذه الفتنة لأسباب مختلفة في أراضي آذربيجان وشيراز".
وغيرهما ولم تختص بالشهور الأخيرة فقط.

وتدفع حاجي مخبر السلطنة - وزير العلوم - بحجة أخرى قائلًا:

"إن جميع هذه العيوب والمساهمات التي تذكر ناجمة عن افتراض المال جميعاً يعود إلى عهد سابق، وهي نتائج أعمال تمت منذ أربعين عامًا حتى الآن... يجب الإعداد على الفور لتوفير الأموال والتفكير في حل عاجل...".

وهذه الأفكار مؤيدًا له، وقال:

"طالما أن الإصلاح لن يتم بدون المال، فما من شك أننا نحتاج في هذه الحالة إلى الاستدانة، وينبغي أن تكون من الخارج أو من الداخل، وقد عاهدت الله في الكعبة ألا أستدين من الخارج قط، وعليه يجب الاستدانة من الداخل، والوضع في الداخل مرهون بالأمور المصرفية. حينما كنت في أوروبا، لم أفكر في إنشاء المصرف الوطني في إيران، وتم تأسيسه هنا وصار باعثًا لفخر الإيرانيين، لكن بعد عودتي إلى إيران رأيت أن ما من خبر عن هذا الأمر هنا. والآن من الأفضل أن يسعى حجج الإسلام والنواب العظام لتشجيع الأهالي على إتمام إنشاء البنك.

وهكذا دار الحديث حول موضوع البنك الوطني الذي كان أحد شروط منح ذلك القرض إلى الدولة وباعثًا على تهدئة الأهالي، ولم يتم إنجازه منذ فترة. وبهذا الحديث أنهى المجلس أعماله دون أن تتأت نتيجة. وفي تلك الأثناء أبدى أهالي تبريز حدة، وأيرقوا إلى النواب قائلين:

"لولا يقدم الأمر هناك، فلنأتوا ولننتظافروا هنا ونسعى لإيجاد الحل.

أو كانوا يقولون:

"إن العجب الشديد لمن شعور وزير الداخلة، حيث أبرقنا إليه نطالب الدولة...".

110
بخلاص مسلمي ماكرو، فرد علينا بأنه قد تم إرسال الأحكام اللازمة في هذا الشأن.
ووضوح من حديثه هذا أن إرلاق دماء المسلمين من أسباب متعته...

تحقق أحد مطالب رجال الدين:

في تلك الأثناء، دار حديث في جلسات المجلس حول الدستور، وذكر هذا
الحديث بداية في جلسة يوم السبت العاشر من خرداد (19 ربيع الآخر) حيث قال
صبحي الدولة رئيس المجلس:

"جميعكم يعلم أن هذا النوع من الموضوعات المهمة من قبل اللوائح
الدستورية يتطلب البيت فيه لعدة مرات، بل وربما تحتاج بعض الموضوعات إلى
إطلاع علماء النجف الأشرف عليها".

ووهذا الحديث من قبل صنيع الدولة لا يكون فهمه بالشيء البسيط. وفي جلسة
يوم الثلاثاء العشرين من خرداد (29 ربيع الآخر) بدأوا في تلاؤته وتباحثوا بشأنه،
ودار حديث في البداية حول البند الذي اقترحه حاجي الشيخ فضل الله بشأن رقابة
العلماء على القوانين، وطالب بإضافته إلى الدستور، ورأى معظم النواب ضرورة
وجود مثل هذا البند في الدستور، إما بسبب مطالبتهم بالشريعة، أو من قبل التمليك،
أو خشية من تجمع الطلاب في بهارستان، وتباحثوا فيمن سيقوم بانتخاب لجنة
العلماء تلك، أو الشعوب أم المجلس؟ أم العلماء؟ ودار حديث طويل في هذا
الشأن. وذكر السيد تقي زاده البند السابع والعشرين الذي ينص على:

"إن استقرار القانون مرهون بعدم معارضته للموازين الشرعية".

وقال:

مع وجود مثل هذا البند لا تمس الحاجة إلى ذلك البند (المقترح).

وكان يقول:

يجب على العلماء كافة الحفاظ على القوانين، وأنتم بهذا البند (المقترح)
تعهدون بذلك المهمة إلى بعض منهم".

111
وتحدث حاجي ميرزا علي التبريزي - أحد نواب خراسان - عن

اصطلاحات البنود، وقال:

"إن الأحكام الشرعية على نوعين، النوع الأول هو الأحكام الأولية الواقعة،
وهي الأحكام الشاذية..... والنوع الآخر هو الأحكام الثانوية الظاهرة، وهي
الأحكام الفعلية والموضوعة، وما يقع على المكلف هو ذلك النوع الأخير. وسيكون
ذلك متبينا وفقا لتبان الموضوع والمختلف حول المكلف، وتحديد الموضوعات على
أمل العرف وليس على العلماء. فما يبدير عن العلماء هو بيان الأحكام الكلية، مثلما
يخصص طبيبان ماهرين عادلان حالة أحد المرضى وينصحانه بضرورة احتماء
الخمر، ففي هذه الحالة يكون ارتكاب هذا الإثم جائز على المكلف، ويرفع عنه
العقاب. وعلى فإن تشخيص .. صحة حال المريضة أو قاساه - وهو موضوع نقاش
المجلس .. يكون من قبل أطباء ماهرين هم النواب، وكل موضوع يتحدد من قبلهم
يكون لهم في الحكم الكلي. وفي هذه الحالة لا تمس الحاجة لوجهة نظر العلماء".

وليس معلوما ما الذي فهمه مشهدى بادر القال والسيد غلام رضا صاغ

اللّج من حديثه هذا.

كذلك دار حديث في جلسات يومي الخميس والسبت ... الثاني والعشرين
والرابع والعشرين من شهر خرداد (1371) ، ارتضى الجميع البنود
المقترحة، وجعلوه البنود الثاني من الدستور على النحو التالي:

"إن مجلس الشورى الوطني المقدس - الذي تم تأسيسه بتأليف حضرت إمام
العصر عجل الله فرجه ورعايته، وبرجع صاحب الجلالة ملك الإسلام خليفة
سلطانه، وإشراف حجج الإسلام أكثر الله من أمثالهم، وعامة شعب إيران - لا
يجب أن تكون بنود دستوره في أي عهد من العهود مخالفة لقواعد الإسلام المقدسة
والقوانين الموضوعة لحضرت خير الأنام صلى الله عليه وعلى آل وسلم. وقد تقرر
أن تضع مسئولية تحديد معارضة القوانين الموضوعة لقواعد الإسلام على عاتق
العلماء الأعلام آدام الله بركات وجودهم. إذا تقرر رسميا أن تشكل لجنة في عصر
كل من العصور لا يقل عددها عن خمسة أشخاص من المجتهدين والفقهاء
المتدينين المطلعين على مقتضيات العصر على النحو التالي، حيث يقدم العلماء الأعلام وحجج الإسلام مراجع تقليد الشيعة اسماء عشرين شخصًا من العلماء ممن يمثلون بالصفات المذكورة إلى مجلس الشورى الوطني، ويُعين خمسة منهم أو أكثر وفقًا لما يقتضيه العصر من قبل أعضاء مجلس الشورى الوطني بالاتفاق أو بالقرعة، ويتمونهم على أنهم أعضاء بالمجلس حتى يتم النظر بدقة في المواد التي تقدم في المجلسين، ويتم التباحث فيها، ويتم رفض أي مادة مقدمة تعارض قوانين الإسلام المقدسة، ولا يكون لها صفة قانونية، وسوف يكون رأى لجنة العلماء هذه في هذا الشأن مطاعًا ومتبغًا، ولن يتم تغيير هذا البند حتى ظهور حضره حجة العصر عجل الله فرجه.

وكان هذا انتصارًا للطالبين بالشريعة، وسُر من كانوا يعتبرون ذلك أمرًا عظيمًا، ورغب البعض في أن ينسب إلى نفسه شرف اقتراح هذا البند، ودار صراع في هذا الشأن، وأعد أتباع الحاج الشيخ فضل الله صورة من الاقتراح الذي دوَّته بخطه، وزعى عليه مخالفين يُعلم أنه مقترح هذا البند. وراح الظآن بأن قبول ذلك البند الموافق لرغبة رجال الدين سيعيد العداء تجاه المجلس والنيابية ثانية.

في تلك الأثناء كان يدور حديث في الخارج بين السيدين وحاكى الشيخ فضل الله. لقد كانوا يحاولان إثباته عن العداء للنيابية، ويقال إن نائبة جلالة العهد في المحترم والعزيزي من خرداد (أول ربيع الآخر) في منزل السيد طباطساني وفي حضور السيد بهبهاني واقد حسين القمي (أحد علماء اللجنة التي تطالب القانون مع الشريعة) والسيد جمال الدين افجه ام ونصف نواب المجلس، وحضرها كذلك الشيخ فضل الله. وبعد المناقشات حول عدم ملائمة قوانين المجلس مع الشريعة، وتقدم السيدين الورود في هذا الشأن، وعد الحاج الشيخ فضل الله كذلك أنه لن يعادي المجلس ثانية وأن يجمع الأهالي حوله ولن ينصب الخيام، وأقسم على ذلك بناء على طلب السيدين، وكتب رسالة في هذا الشأن عهد بها إلى السيد طباطساني وعلى هذا النحو انتهت الجلسة بالرضاء والسعادة، وأحضروا الحلوى وقاموا بتناولها معًا.
ووجد صورة لدينا الآن لأحد الأساتذة والرئيد عليها بشأن المجلس وعما إذا كانت قوانينه لا تتوافق مع الشريعة، وقد كتب ذلك في بداية ربيع الآخر ووضع عليه كل من السيدين وافجع اى وآتى حسن القمي وحاجي الشيخ فضل الله وصدر العلماء وذلٌ بخاتهم. ويجب القول إنه تذكَّر عن تلك الجلسة.

لقد كان السيدان يرغبان في تصحيح كل شيء بالنسان والنصيحة، ولم يجدوا الحاجة ماسة في تلك الثورات التي قامت في إيران خلال تلك الأعوام إلى العراق وإراقة الدماء، وكان فكرهما هذا حجر عثره في سبيل تقدم أمر الحياة النبِيَّة. نعم، لم يكن لنعيمهم أيَّة فائدة، ولم يراجع الحاج فضل الله وأعوانه، الذين كانوا جماعة تحصل على المال من الدولة - ورغم تلك الرسالة التي كتبها، وذلك النصر الذي تحقق في المجلس وقبول اقتراعه في الدستور، إلا أنه أعرب عن غضبه ثانٍ ولم يكفر هو أتباعه عن مسامعهم السيئة. ففضلًا عن حاجي شيخ فضل الله وملا محمد أمالي، كان حاجي ميرزا لطف الله قارئ الروضة - يسِيء في تلك الأيام إلى النبِيَّة والمجلس من فوق المنابر.

إن المطالبة بالشريعة لم تكن هي المشكلة الوحيدة فقط، فحاجي ميرزا حسن وحاجي خمسي اللذان ابتعدا عن مدينتيهما ولم يتم الترحيب بهما في طهران أيضًا، وكذلك كثير من رجال الدين الذين كانوا برون مصالحهم في خطر، لم يجدوا حلاً سوى التضامن مع البلاط والسعي لإبطاحه أساس الحياة النبِيَّة.

ومن العجائب أن شقيق السيد طباطباي - السيد أحمد - كان يجسد أخاه على المكانة التي بلغها، ولم يتوان عن إسقاطه وأظهر عداءه للنبيَّة، وعليه كان انضمامه إليهم. كذلك كان ابن حاجي آقا محسن العراقي متضامنًا معهم، فكان الأدب في العراق يقوم بأعمال القتل والإغارة على القرى بمساءدة قبائل له. وجدنا الشاهسون، والإبن في طهران يقوم بالدفاع عن الشريعة.

وكما ذكرنا، أن ثمة تضامناً تم بينهم وبين السيد كاظم الزيدي، وسوف نرى أن أحد أبنائه في عبد العظيم قد انضم إليهم، وعن طريقه وصلت إليهم رسائل.
السيد كاظم. إنهم كانوا يرون أن المجال مهياً من كل ناحية للعداء للمجلس، ففتحوا أيديهم وقاموا بمساعيهم. ومن أعمالهم أنهم اختاروا بعض الأشخاص (وفقًا لما كتبته صحيفة الاتحاد أنهم كانوا سبعة عشر فردًا) ووجهوا بهم إلى المدن إذاعة الأهالي. وفي يوم الخميس التاسع والعشرين من خرداد (8 جمادي الأولى) ترددوا بأن يوم الثالث عشر من جمادى الأولى يوافق ذكرى وفاة أبنة الرسول ﷺ وينبغي قراءة الروضة، فأرسلوا خيمة كبيرة جداً (تفوق الخيام الحكومية في حجمها) إلى مسجد آدنه كي تنصب هناك، وكانوا يريدون أن يجعلوا لهم مقراً هناك تحت مسمى "قراءة الروضة". ومن ناحية أخرى، حينما علم المطالبون بالنهجية بذلك، أسرع الآلاف منهم إلى المسجد للحيلولة دون ذلك، ولما كانوا هم الأكثر عددًا كانت لهم الغاية.

تقول صحفة "الحلب المتين":

"صباح أحد عملاء الاستبداد; ما من هدف لنا سوى قراءة الروضة. قطبه الأهالي عليه وفسوه ووجدوا بحوزته سلاحًا وبعض الذخيرة، فقالوا له: أيها الغادر، ما كان السلاح مستخدمًا في قراءة الروضة؟".

وتقول كذلك:

"أدى قادة الشعب المضحي بروحه في سبيل الوطن أديب كرمانى خدمات جليلة في ذلك اليوم لن تنساه القلوب لمائات السنين".

وتعتبر:

"وفي النهاية أزالوا الخيمة، بل قاموا بتمزيقها وتوجهوا بهم إلى إمام زاده واعتقلهم".

وهكذا انتهى الصراع بانتصار الأحرار، وفي اللحظات الأخيرة من غد ذلك اليوم اجتمعت الحشود من جمعيات طهران في مدرسة صدر (وكانت مقرًا لجمعية اتحاد الطلاب) وذكرت حادث Hammond وقاموا بجلبة، واتجه بعضهم إلى منزل
طقطابتائي وإمام الجمعة وصدر العلماء وغيرهم، وأحضروهم إلى المدرسة. وكان
السيد ببهائي يعاني من ألم بالعين وكان خارج طهران، وذكرنا حديثًا حول ملك
المكلمين والسيد جمال والشيخ على الزرئني، وقيل إنهم سينسكون بهذه الحشود
إلى منازل حاجي الشيخ فضل الله وغيره وبطردونهم جميعًا من المدينة، واعتقى
المغفور له السيد طباطبائي المنبر، وقال:

"لقد تعود حاجي الشيخ فضل الله أمامي منذ أيام بأنه لن يعادى النيابية ثانية
وأنه لن يجمع الأهالي حوله، وكتب ذلك وقته له.

قال هذا وأخرج الرسالة وأظهرها للجميع ثم أخذ الجلبة بالنصيحة والرجاء.

وقدم رسالة إلى الأهالي من فوق المنبر على النحو التالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم. إذا ما تصرف جناب الشيخ فضل الله يعكس ما
عاهدني به، فإني أتئه بالقيام بطرده من طهران، ويجب أن يمضى ملا محمد
آلمي وحاجي ميرزا لطف الله."

(شهر جمادي الأول، محمد بن محمد صادق طباطبائي)

لجوء المطالبين بالشريعة إلى عبد العظيم:

على هذا النحو انتهت الجلسة، وتفريق الأهالي وتوجهوا إلى دورهم، ورأى
المطالبون بالشريعة أن الميدان قد ضاق بهم، وفي الليلة نفسها عزم ملا محمد آلمي
وحاجي ميرزا لطف الله على الخروج من المدينة وتوجها إلى عبد العظيم، كما
رحل كذلك حاجي الشيخ فضل الله وحاجي ميرزا حسن وغيرهما مع أنجابهما.
والوحيد الذي بقي هو حاجي خماسي الذي اقتضى عليهم، وقد تحدث بهبهائي منذ
عدة أيام عنه في المجلس وأثنى عليه، وكان هذا أساسًا لانقشاله عن الآخرين.
وعلى هذا النحو انتخلت طائفة من العلماء عن الشعب، وأوجدوا مقرًا لهم،
وأظهروا صراعهم وراءهم تجاه النيابية علانية وكان هذا أحد الأحداث الجسام في

116
تاريخ الحياة النيابية وظهر له تواريخ عديدة. لقد كان الصراع يدور حتى الآن بين النيابية والاستبداد، وكان رجال البلاط وأتباعهم فقط هم من يبدوان العداء للنيابية، لكن منذ ذلك الحين ظهر الصراع آخر تحت مسمى النيابية والدين، وكما سنرى إنه رغم تقدم أمرهم في البداية إلا أنهما صارما في النهاية إذا تأثير عزلتهم هذه حتى أتبعهم الأكراد وطوائف غيرة من الأهالي ومن المطالبين بالنيابية أنفسهم وأظهروا العداء للحياة النيابية والمجلس. وكما ذكرنا، انشق الشيخ زيد الدين زنجاني وغيره منذ ثلاثة أشهر واتجهوا إلى عبد العظيم. ووقع الحال أنهم لم يشعروا بمكانة بين الأهالي، ولم يتمكنوا من إنجاز عمل، لكن هذه الطائفة كانت تحتظى بمكانة بين الأهالي، وحينما أبدت الحكومة التأييد لهم كانت الخشية من الأذى والضرر.

وراج الظن في طهران بداية أن بعض الأكراد لجأوا إلى عبد العظيم خشية على أرواحهم، وأنه لم يستقروا هناك طويلاً، وسوف يتجهون إلى العراق أو شرق. ولكن علم بعد ذلك أن لهم رغبة أخرى، وعندئذ انضم إليهم طوائف أخرى من الطلاب والإخوان وبعض الأوراش. ووجه عام تجمع هناك ما يقرب من خمسة شخوص، وكان حاج الشيخ فضل الله ينفق عليهم جميعاً. وما قاموا به كان كالتالي:

في البداية أرسل ملا محمد أمالي في الثالث من شهر تير (13 جمادى الأولى) الزيارة الأولى إلى علماء النجف وكربلاء:

"بسبب طغىاني الزندقة ودعوتهم إلى الإلحاد والزنيدة من فوق المنابر وفي المجالس بشكل على، وبسبب عدم وجود راعية لهم، أقام العلماء جميعاً باستثناء اثنين أو ثلاثة - في زاوية حضرة عبد العظيم، يا الله يا الله.

روحى قائد لحفظ الإسلام، محمد أمالي"

وفي السابع من شهر تير (17 جمادى الأولى) كتب برقية أخرى وقع عليها كل أتباعه وأرسلوها إلى مدن إيران الكبرى (أربع عشرة مدينة) منادينه:
"جنب السادة حجج الإسلام دامت بركاتهم، إن البنود الخاصة بحفظ قوانين الإسلام وشيكة المجتهدين العظام وسائر الإصلاحات قد فرضت جميعًا وانكشف المكون، ووقع العامة في الحيرة، وترنمز أساس الدين، لذا وعلى غير المعهد قد هاجر معظم العلماء بحكم التكليف إلى الزاوية المقدسة متجهين إلى العتبات.

(فضل الله نوري، أحمد الحسين الطباطبائي، أحمد الحسين العراقي، على وعلى أكبر)

وكمًا يلاحظ، استخدم رجل الدين ذكاءه في هاتين البرقيتين، فقد رغب في استخدام أكثر الكلمات والجمل تأثيرًا، والعجيب أنهم قاموا بهذه الخدعة، فذلك البند الذي تم اقتراحه بشأن رقابة العلماء قد قيله المجلس - كما ذكرنا - وتم إضافته إلى الدستور، بينما يذكر هؤلاء في البرقية السابقة أنه تم رفضه.

وتقول صحيفة "تدنية":

كان مكتب البرق يقبل هذه البرقيات مجاناً بأمر الشاه.

وتقول أيضًا:

تم في نفس هؤلاء الأيام إرسال برقية إلى المدن من قبل جمعيات طهران تعارض برقية رجال الدين تلك.

ففضلًا عن تلك البرقيات التي أرسلوها إلى المدن كتبوا رسالة إلى السامان على سبيل التملق، مفادها:

"إذا سنتوجه إلى قم، وسنجمع العلماء هناك ونسعى معكم.

وكتبوا أيضًا:

إن المجلس لا يعمل بأصولنا الأربعة: التوحيد، النبوة، الإمامة والمبعاد.

وانضم الإقطاعيون إليهم، وبشكل عام كان بينهم إسحاق سيدنا النبي، يمشي سوقًا لبيع الأحلي، وقبضوا عنا الذين جاءوا من طهران للزيارة وضربوه بجريرة مطالبتهم بالحياة النواجية."
وكتبت صحيفة "الحبل المتن" وبعض الصحف الأخرى المقالات في هذا الشأن، وأقرطوا في منحة رجال الدين، كما دار حديث في المجلس حول هذا الحادث يوم الأحد الأول من شهر تير (11 جمادي الأولى)، وتحدث المفروض له السيد بهبهاني حول ذلك بحديث مفصل، وقال السيد طباطبائي:

"لم تعلمنا الصلاح لمنضمى إتمام الحجة إلى حضرة عبد العظيم ولئنا ما هو حديثهم".

إلا أن النواب لم يوافقوا على سفره.

وفي يوم الثلاثاء الثالث من شهر تير (13 جمادي الأولى) حيث كانت الأسواق مغلقة وكان يوم عزاء، قامت جلبة في مسجد السيد اللالي القديم. وكيفية ذلك أن ابن نقيب السادات قد قام إلى المدينة برفقة البعض، وأقاموا احتفالاً لقراءة الروضة في مسجد السيد اللالي. والحقيقة أنهم كانوا يرغبون إثارة الأهالي المترعين بقراءة الروضة، وعلمت بعض الجمعيات يرغبهم هذه فأرسلت مندوبين عنها إلى المسجد، واعتقى أحد رجال الدين المنبر، وبدأ حديثه قائلاً:

"كل من يلحق الإهانة بالعلماء، فهو كافر...".

ولم يمنح الفرصة لأحد الأحرار كي يرد عليه من أسفل، فالبنت إليه حاجي ملا حسن الشهير بالأصفهاني، وقال:

"إنه يقول الحق، لقد أفسد هؤلاء المفترجون الإسلام ومروا الشريعة".

فنهض أحد الأحرار من أحد الأركان وقال:

"نحن نعلم كيفية هذا الجمع ومن الذي أرسلك...".

وعلى هذا النحو قامت ضجة وجلية، وتدخل الطلاب بحقائقيهم وجعلوا يضربون بها.

119
من ناحية أخرى علم الأحرار في الخارج بهذا الأمر فعادوا لمساعدة
إبنائهم وقامت جلية شديدة، وحينما بلغ النبأ إلى وزير الداخلية أرسل بعضًا من
قوات الحراس لإخماد الفتنة وتخليص ابن النقيب - الذي قبض الأحرار عليه
ليزجوا به في السجن - من أيديهم.

وفي يوم الثلاثاء العاشر من شهر تير (20 جمادى الأولى) حينما وصلت
بريقة زنجان (سوردها فيما بعد) دار الحديث ثانية في المجلس حول رجال الدين
المعتصمين، وامتدد الحديث طويلاً، وأعرب النواب عن شكواهم بسبب عدم قيام
الدولة بالعفو دون ذلك وانتهى الحديث بقولهم:

"إما أن تصرف الدولة وإما أن تعهد بالامر إلى الشعب."  

وفي اليوم التالي قاموا بضرب ميرزا إبراهيم خان سكرتير السفارة الفرنسية
- وكان من الأحرار المشهورين وقد توجه للزيارة - في عبد العظيم، وساهم هذا
الحدث - بالإضافة إلى ذلك الحديث الذي دار في المجلس في الليلة السابقة - في
إثارة أهالي طهران، واتحدت الجمعيات معاً، واقترحوا ألا تفتح الأسواق يوم
الجمعه، وأن يجمع الأحرار كافة في مسجد الشاه ومعهم كل أنواع أدوات القتال،
وينجهون من هناك إلى عبد العظيم لإخراج رجال الدين، وأطلعوا الجميع على
فكرتهم هذه.

ورغب السيدان في القيام بالوسادة ثانية، واتجها يوم الجمعة الثاني عشر
من شهر خرداد (24 جمادى الأولى) ببرقية صدر العلماء وافقه اى وإمام الجمعه
- دون أن يعلموا بالأمر – من المجلس إلى عبد العظيم، ونزلوا في منزل حاجي
الشيخ فضل الله، وقاموا ثانية بالنصح والرجاء، وكانوا يريدون موافقة حاجي الشيخ
على العودة إلى طهران، لكن نقاشهم معه لم يثير عن نتيجة واضطرروا للعودة إلى
طهران.

وفي غد يوم الخميس دار الحديث ثانية في المجلس، ولم يرتكب النواب ما
كانت تريده الجمعيات، وبعد حديث مطول اتفقوا على إرسال بعض النواب إلى
السوق لإثاث أهل السوق عن فكرة عدم فتح الأسواق، كما كتبوا الرسائل إلى الجمعيات بطلابنها بالالتزام الهدوء والصمت.

وهكذا حالنا دون وقوع ثورة كانت ستضحي حتماً إلى إرادة الدماء. وفي غد يوم الجمعة اجتمعت جماعة في مدرسة صدر وقامت بالثورة والجلبة، لكن لما كان المجلس قد طالب بالالتزام الهدوء سعى الرؤساء لمنعهم. وفي نفس هذه الأيام أرسل المجلس البرقية التالية إلى المدن:

"جانب السادة حجي الإسلام والعلماء الأعلام وعامة الشعب المطلع على الأمور زيدت توقعاتهم، لما كان حاجي الشيخ فضل الله النوري يرى منذ البداية أن استكمال أسس الحياة الدينية يضر بمصالحنا الخاصة، وعلم أن التوسع في أسباب العدل والتحقيقات - الذي هو من بين مزايا هذا الأساس العالي - سوف يغلق طريق الاستفادة الشخصية، لم يقصر في السر أو في العلن، حينا تحت مسمى الاتفاق، وحين آخر تحت مسمى المعارضة، في إلحاق الخلل بأركان سعادة المملكة. لكن السادة حجي الإسلام المؤسس لدعا البناء السامي والمجلس الشورى الوطني المقدس قاموا باستخدام اللين والرفق لإعادته إلى جادة الصواب والحق، فأنهم أن جناح الشيخ سنديم في النهاية بسبب سيره في الطرق الضيقة المعتمدة الباطلة. لقد سعي سعيًا حثيثًا منذ فترة للأخذ دون وجه وحق، ومنح حكومة سجستان وقابين لحمست الملك، وعندما رفض المجلس حكم المشوار إليه لأسباب عديدة، أعلن تمرده على المجلس المتدس بشكل علني، وقد ضاق أهل دار الخلافة ذرعًا بسبب أعماله المخالفة فاضطر إلى مغادرة العاصمة، وفي زاوية حضرت عبد العظيم المقدسة جمع حوله بعض المفسدين والمتمردين من أمثال ابن حاجي آغا محسن العراقي الذي تم استدعاؤه إلى العراق منذ فترة بسبب تعدياته الكثيرة وتمت محاكمته. ولكي بلحق الخلل بالرأي العام ولتفضل المسلمين ويث الفتن أرسل إلى الولايات ببرقيات تحت على الفاسد.

وعلى الرغم من التوجهات الخاصة لأية الله في العتبات العالية وعامة حجي الإسلام وعلماء إيران الأعلام والموافقة التامة لأكابر الدين المبين وإرشاد علاء
المسلمين فإن الظن بإغفال هذا القسم للعلماء العاطلين لن يكون مظهراً لأي نوع من العناية والثقة. ورغم هذا، ولكي لا يقع العامة المساكين في البلاد القريبة والناينة في فخ التزوير لهؤلاء المغرضين يستلزم الأمر أن يعرَف الجميع على تفاصيل أكثر حول هذه الشخصية حتى يسود وجهه ويسير عرارة لأغيره.

(مجلس الشوري الوطني)

الفتنة في النجف:

كان حاجي الشيخ فضل الله وأعيان الدين أرسلوا تلك البقريات إلى المدن بأملون إثارة الأهالي لكن دون فائدة. ولما كانت هذه هي المرة الأولى التي سمع فيها الأهالي الإساءة إلى الحياة النباتية، فقد تحركت مشاعرهم وتم إفساح الطريق في قلوبهم وقامت الثورة في زنجان حيث تزعم ملا قربان على بذلك وأساء إلى الجمعية ونشبت الثورة كذلك في نيسابور على حاجي ميرزا حسين الذي كان يعرف بعدانه للحياة النباتية، وقام بالعراك مع الجمعية وأسفر ذلك عن جرح أحد الأشخاص.

ولم يحدث في مدن إيران أكثر مما تم ذكره خاصة بعد وصول البقريات دار الشورى التي كانت باعتاً لمواساة الأهالي، ووصلت الردود من معظم المدن تفيد بالاستعداد لإبادتي التعاون.

لكن الفتنة نشبت في النجف بسبب هذه البقريات، لأن السيد كاظم اليوزيدي - كما ذكرنا - كان يبدع العداء هناك تجاه النباتية، وحينما وصلت تلك البقريات وعلم بالحادث أبدى تعاونه معهم وقام أعوانه ببث الفتنة. وكان السيد كاظم هذا في خندق واحد مع آخرون خراساني وحاجي الشيخ مازندراني إلا أنه كان أكثر تخلفاً منهما. فعندما شاع عدم الوفاق آنذاك بين المذهب الشيعي والحياة النباتية ودار صراع بين هذين الاتجاهين وأظهر أنباع المذهب الاستياء من المجلس والحياة.
النبيّة، رأى أن العداء للنبيّة هو الطريق لتقدم أمّه، ففي حين أن أخوته خراساني وحائج الشيخ مازندراني وحائج طهران قد أبدوا بعض الشهامة وتغاضوا عن مقامهم، ولم يكونوا في قيد استرضاء الأهالي أو عدم استرضائهم ولم يكدوا عن تأييدهم للمجلس في مثل هذه الأوقات. لكن السيد كاظم لم يكن يبحث سوى عما يحققه مصلحته الخاصة، ولم يكن يغيب سوى مقام "أية الله"، ولم يكن للشعب ولا للدولة ولا لمثل هذه الأشياء قيمة له.

وكان الإيرانيون كثرة في النجف، وأبدى العديد منهم تأييده للحياة النبيّة، كما كانت طائفة كبيرة من الطلاب هناك من المطالبين بالحرية. ورغب هؤلاء في منع السيد كاظم من الإساءة وطالبه بالإبراق إلى marshal غير أنه رفض. في تلك الأثناء بدر عمل أحمق من قبل بعض الأشخاص حيث قاموا بإعداد منشور مثير للفزع مع صورة لمدفعين وقاموا بلصقهم ليلا في الساحة، وكان مثل هذا العمل يتم كثيرًا في تلك الأيام. وتذرع أتباع كاظم بذلك وقاموا بجلبة وأشاعوا أنهم يريدون قتل السيد، وجعلوا من ذلك العمل التأبه أمرًا عظيمًا وأظهروا عداءهم علانية للنبيّة والأحرار وبسطوا ألستهم باللعن والذم.

وهكذا ظهر فريقان في النجف، ولما لم تكن الدولة العثمانية ذات حكم نبيّي حتى ذلك العهد، وكان عمال السلطان عبد الحميد يبدون العداء الشديد تجاه الحياة النبيّة، لذا قام حاكم النجف بتأييده السيد كاظم، كما أعرب الطلاب العرب ومن يقيمون على حدود النجف عن تأييدهم له. في تلك الأثناء وصلت برقيّة أمّى من طهران إلى السيد كاظم وأرسل الرد التالي:

"جنايب السيد ثقة الإسلام أمّى دامت بركاته، بسبب تجرو المبتدعين وشيوخ كفر الملحدين الذي هو نتاج الحرية الراهئة نطلب من الله ألا تتم أمانيهم، وما لاشك فيه أن رد الكفر والحفاظ على العقيدة وتنفيذ القوانين القرآنية المحكمة"
والشريعة المحمدية الأبدية لهو من أهم فرائض أرباب العلماء. مع ملاحظة أن ما نُبَذل من جهد كي يتم صلاح الدين والحفاظ على دماء المسلمين.

ثم دُونت رسالة أخرى حول نفس المضمن، وبعد يومين أو ثلاثة وصلت برقة رجال الدين الثانية، ولم يعتن الأخونذ وأتباعه بها إلا أنها منحت السيد كاظم وأعوانه الذريعة، وزادوا من ضغوطهم بما يرضى أتباعه. وبعد أيام وصلت برقة المجالس وتُرسلها إلى كافة العلماء. كما وصلت برقيات مطولة من جمعيات طهران أعربت فيها عن شكواها من مساوئ المعتصم بالبلاء، وطالبت العلماء باستدعاء حاجي الشيخ فضل الله وأعوانه إلى النجف، ولم يكثر السيد بذلك، واعتبرها أعوانه دليلاً على خور المجالس، لكن الأخونذ وأعوانه ردوها بالرد التالي:

"مجلس الشورى الوطني المجل رفع الله قواعده، فقد وصلت البرقيات المذكورة للمجلس الشريف، واستناداً إلى الإسلام قاطبة بسبب مخالفة المعارضين للمجلس الوطني الإسلامي المجل، وقد أشاد عامة أهل العلم وكافة منتحلي الشريعة المطهرة خاتم الأنبياء عليه الصلاة وسلام بأهمية تقوية الإسلام والحفاظ على دماء المسلمين وإصلاح أمور العامة. وعليه فإن المجلس الذي تأسس بغية رفع الظلم وإغاثة المظلوم وإعاقة الملوّح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقوية الأمة والدولة ورفاهية الرعية وحفظ بيضة الإسلام لا شك أنه راجع عقلاً وشرعًا وعرفًا، بل وواجد، ومن خالفه أو يعارض فهو مخالف للشرع المنيز ومجال لصاحب الشريعة، وسنترك بأن ما من شخص قد خالفه حتى الآن ولي خلافه، وإننا نما إلى علمنا ما يعارض ذلك فلم يكن سوى مألوف افتراه، ولنطلبوا على واجباتكم.

(الأحمر نجل حاجي ميرزا خليل، الأحمر محمد كاظم الخراساني، الأحمر عبد الله المازندراني)"
وأدى وصول تلك البرقيات المتانتية، وتدوين تلك الردود المتناقضة إلى ظهور فتيان في النجف، واشتد الانقسام والعداء وتشابه السيد كاظم الذي كان يقوم بخدام الأهلى وإثارة العامة في الاحتفال هزة عنيفة بهم، وكانت القبائل العربية القاطنة حول النجف وكربلاء على ساحل نهر الفرات على المذهب الشيعي، فأرسل يخبرهم بأن يأتوا زرافات أسلحتهم وذخريتهم ويلتقوها حول السيد ويلتفوا بثورة، وكانوا يقومون كل يوم بالثورة على الطريقة العربية، ويبقون الأشعار في مذمة الحياة النبافية، ولم يسلم من أذاهم كل من عرفوا ميله تجاه النبافية.

كان السيد يأتي كل يوم إلى الساحة للصلاة ويؤم آلاف الأتباع من الإيرانيين والعرب، في حين لم يكن يقف خلف الآخوند أكثر من ثلاثين شخصًا، وبلغ الأمر أن رغب الآخوند وبعض أتباعه في لكف عن التوجه إلى الصلاة وكان ذلك منهم من قبل الخجل أو من الخشية. وكما ذكرنا كان للحكومة العثمانية ضعف في هذا الحادث حيث كانت تبدأ الامتناء من النبافية في إيران، وتشى بسدة من وصولها إلى الأراضي العثمانية. ولتوضيح هذه المسألة نورد في هذا المقام الرسالة التي كتبها أحد أتباع السيد كاظم في هذه الأيام ويدعى الشيخ عبد الحسين الزيدي إلى ابن السيد أحمد الذي ذكرنا أنه كان في عبد العظيم عند حاجي الشيخ فضل الله، وقد ذكر خلالها هذه الواقعة، وتم إرسالها في العشرين من شهر تير (الأول من جمادى الآخرة) إلا أنها تأخرت في الوصول إلى طهران، وطبع في إحدى صحف المعتمدين مع رسالة أخرى كانت قد وصلت من السيد على ابن السيد كاظم:

"أتمني أن يمني الله على وجود جناب السيد المبارك بالرعاية والحماية من جميع الأئمة والعلّم، وأعرض الآن شرحاً لبعض الأحداث التي قام بها السادة المفسدون في تلك الحدود، هذا وقد رغوا في الحقيقة أخذ البرقية المخزية التي تحوي ما يهم الإسلام وبطل كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) الطيبة من这种مجتعية المعاصرة."
حضرة المستطاب حجة الإسلام وآية الله في الأنام، وحينما امتعت بشدة عزم
المفسدين على إدانته بل وهدده بالقتل، ودونا ذلك المنشور الذي يفيد بذلك،
ورسموا عليه صورتين لمدفعين وأصقروه على أبواب الساحة المقدسة. واطلع أهل
النفج من العرب والhamster الذي رأوا معي هذا على بطلان هذا الأمر وأعراض
المفسدين، وعلموا بكلمة واحدة، وأقضى ذلك إلى قيام رجال الدين والعلماء وأهل
العلم بمذمة هذا الأمر الشؤم وإكاره، واستمد أهل الحق القوة بحمد الله. وظل
شيوخ العرب وعلماؤهم يستعدين دون انقطاع من جناب السيد وأصحابه حول
مرتكبي هذا الأمر الشنيع كي يلحقوا بهم العقاب ويقضوا عليهم، ولم يشعروا من
جناب السيد سوى ردا واحدا وهو أننا سلمنا أمرنا إلى الله ولم نعرف واحدا منهم.
وذات يوم اعتى السيد نفسه المنبر، وألقى درسا في حضور جميع السادة الطلاب
بأن الأمر يختص بالدين الإسلامي ويجب أن نصان نفوس المسلمين وأعراضهم
وهل ماهي ذريعة المذهب الجماعي صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرة وأبنائه
المعصومين، ولن يحدث هذا إلا بتطبيق الشريعة المطهرة، وأننا لا أهاب القتل، فلم
يبتق من العمر شيء أخف عليه كي أرفع يدي عن ديني. وصمت جناب السيد
ثانية، ولم يبقوه بشيء قط حتى وصالت من العلماء والمتنبيين في بلاد العجم وأهل
العلم ورجال الدين هناك المكاتب المشحونة تفيد بتكون تشكيلا في العادة
بسبب ظهور الفتن وشيوع البدع ونتبع الكفرة والزناقة والملاحة والمتفنجين
وانتشار كلام الكفر والتجزؤ على الأنيباء والأزمة وبخاصة على خاتم الأنيباء
وженاب ولي العصر عجل الله فرحه حتى أنهما كتبنا أن الملاحنة جاهموا بأن
الوجود المبارك لإمام الزمان عليه السلام ما هو إلا وهم، وصمت السيد ثانية حتى
وصلت منذ أيام قليلة برقية جناب ثقة الإمام السيد أخوود ألمي دامت أيام إضافته
التي يشكت فيها من شيوخ هذا الحديث ولجوء أهل العلم والأخيار إلى حضرة عبد
العظيم، وهذا ما تسبب في استياء الخاطر المبارك للسيد فأسرى الرد على
تلك البقية مشيوها أن اضطراب هؤلاء البشاطيين وشركاء الملحدين كان داعيا
لإزيد خاطره المبارك... في تلك الأثناء وصلت برقية من طبران مفادها أن شدة
ضعف الملاحنة هناك واضطرابهم مثل ضغطاً شديداً على هؤلاء المفسدين فخلعوا

126
نقاب الحياه بشكل تم وقائعا بحدث هذه الجلبة لعلهم يتمكنون بها من إدماج خاطر السيد، وأخذوا برقية تتوافق وأعراضهم الدينية، وعلم العرب والعجم في اللمج بذلك، ومن بعد تلك الليلة كان كاذبة الأهلية من الحرفيين والتجار والعرب والعجم مسلمين في مقرر صلاة الجماعة وهاجمو جناب السيد وهم يصبحون "ريد قتل مفسدي النجف" وكلما حاول السيد وأعوانه التزام الهدوء لم يتمكنوا. وقامت الحكومة بما لديها من جند يمثلون لكل ما يأمر به ويطعونه ليكون ردها "إني عاهدت بهم إلى الله وليس لي من شخص سوى الله ولن يكون". وبلغ الأمر مداه أن أطفال النجف كانوا يعنون مفسدي أهل العجم ويقولون إن الحكومة العثمانية تسعى لطرد المفسدين. وكانت أثناء فترة التوقف تلك - التي وصلت إلى العشائر والأطراف - نقل من قبل شيوخ العرب بشكل دائم إلى رسول جناب السيد ويعبون عن استعدادهم في كافة الأحوال للقدوم إلى النجف الأشرف مع قبائلوهم، ولينحن الله طول العمر إلى حضرة المستطاب حامي الشريعة السيد آفا سيد على فهم بحق غوث الشريعة وحامي الشباعة، وكان منذ ذهابه إلى النجف الأشرف يدعو بالموظفة الحسنة لنساء بلغ آيات قرآنية ويبذلهم نهج البلاغة وبدعية الصحيفة السجادية وبأخلاق آل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) في كافة المجالات والمحافل في الساحة المطهرة وحاجاج الدوس كي يكون إنجاز الأمور في إيران طبقًا للشرع المثير حتى نصان نفوذ المسلمين ودؤابهم وأمولهم وتشكل عقائد المسلمين الإسلامية، وقد استبقيت المفسدون والمدينون بفعل أحاديثه.

وببلغ الأمر هذا الحد.

(شكر الله مساعدته الجميلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السيد عبد الحسن الزيدي)
النحاف، فإن ثمة أحداثًا أخرى كانت تقع في إصفهان، وأذربيجان وزنجان وقوزوين، وكذلك في طهران نفسها، وقد دار النقاش ثانية بين طهران وتيبريز، ولما كنا نتحدث هنا عن صراع المطالبين بالشريعة فنتحتى ذلك جانبًا، لكن يجب علينا الآن العودة إلى الوراء قرابة الشهر لندون أحداث تلك الفترة الواحد تلو الآخر.

ذكرنا بداية حادث إصفهان، فكما ذكرنا سابقًا، إن الحركة المطالبة بالحياة النيابية لم تكن ذات طابع واحد في كافة المدن الإيرانية، واتخذت الحركة طابعا مميزًا في كل مدينة من حيث كثرة المعلومات حولها أو ندرتها، أو من حيث خور عزم النفس واستحکامها، أو من حيث وجود الرواد الجدیدين أو عدم وجودهم.

وفي إصفهان كانت الغالبة قبل الثورة لرجال الدين، وبخاصة لحاجي آقا نور الله وأقا نجفي، وكانوا يكتسبون رضا الأهل في كل شيء، إذا تصادمت الحياة النيابية في إصفهان برجال الدين، وقامت أهالي إصفهان - أكثر من غيرهم - بأعمال لا طالب من ورائها وعيروض هزالية.

وكما ذكرنا، لما قام ابن رحيم خان بالفترة في قره داغ وقتل بعض القرويين الأبرياء وأوجد ذلك الحدث الثورة في طهران، أقيمت مراسم ختم القرآن والعزة في العديد من المدن باسم أولئك القتلى - أو وفقًا لقولهم - باسم شهداء أذربيجان.

لكن بعد ذلك، حينما وقع حادث ماكو لم يتم إقامة هذه المراسم ثانية في أي مكان سوى في إصفهان، حيث تم إغلاق الأسواق لعدة أيام بأمر من رجال الدين، وقاموا هناك بعروض لا طالب منها، ولمباك أحد أهالي إصفهان قد دون هذه القصة وأرسلها إلى صحيفة البلدية وتم نشرها على صفحاتها، أنا رأينا من الضروري أن نورد بعضًا مما كتبه في هذا المقام، يقول:

في يوم الثلاثاء (20 خرداد) توجه الأهلية إلى الجمعية المقدسة واجتمع عدة آلاف منهم في جهن ستون وثليث البرقية التي وصلت ليلة الثلاثاء من أهالي أذربيجان الغيرين والتي تفيد بتضحيتهم في سبيل أهل الوطن وكذلك دار الحديث فيها عن شهداء ماكو الذين تم حصارهم بوساطة إقبال السلطنة في قلعة ماكو وتم قتلهم والإغارة على القلعة وإحراق أجزاء أهلها الأخبار... وطالبوا إصفهان بعد يد
العون. وحينما بلغ هذا النباء الموحش مسامع الأهالي في إصفهان على الأصوات بالنحيب والبكاء دفعة واحدة، وتجمع الأهالي كيوم الحشر وجعلوا يكون حتى فقد بعضهم الوعي... وبدر عن أهل إصفهان ما لا يخطر على بال أحد، فكان من الأفضل أن يعلم الآخرون بالخبر، ولم يكن قد تبقى على الغروب بعد تلاوة برقية أذربيجان سوى ساعتين، فأغلقوا جميع الأسواق والحوانيت، وتوجه العلماء والتجار والمدنوين عن كل طبقة إلى مكتب البرق وتلقت البرقية ثانية، وارتفعت أصوات العويل من الخلق، ثم أبرقو إلى المجلس الوطني المقدس، إلى صاحب الجلالة الملك.

وفي يوم الأربعاء (أواخر ربيع الآخر) كان الأهالي يعدين مجالس تلاوة القرآن، وفي يوم الخميس (غرة جمادى الأولى) اشتحلت الأسواق بالسواق وأقيم مجلس تلاوة القرآن في "جهيل ستون" وأعدت جميع غرف "جهيل ستون" وانشغل قارئ القرآن بالصلاة لمدة ساعة بعد الظهر، وحضر جناب السيد آية الله السيد تقة الإسلام مد ظله العالي في "جهيل ستون"، كما حضر السادة العلماء الآخرون مع التجار المجلين، واعتنوا المنبر، وتحدثوا عن حادث شهداء ماكو وقامت جلبة لا يستطيع اللفس ولا القلم وصفها.

خرجت طائفة وهي تدق الصور من المسجد الجامع بأعلام سوداء صائحين "وا شريعتاه وا شريعتاه" وخرجت طائفة أخرى من أحمد آباد وثالثة من مسجد حكيم و... و... من جميع ضواحي إصفهان. وإذا ما رغبنا أن نتحدث عن أولئك فسوف نحتاج إلى مجددات، وتم استقبال الأهالي لهم بالغليون والشاي والقهوة وغير ذلك، وظل الحال على هذا الوضع حتى الغروب.

وفي يوم الجمعة (الثاني من جمادى الأولى) غلت في البداية جميع حوانيت إصفهان باستثناء سوق شيراز، وتوجه الجميع إلى المجلس للاستماع إلى القرآن، ولو رغبت أن أتحدث عن تعداد من تواجدوا في ذلك اليوم لما استطعت، فتعدادهم كان يفوق الحصص، كانت إصفهان بأكملها في حال من الثورة، فقد خرج الأهالي اليوم.
من نواحي ره نون، دست جرّد، نصرت آباد، و... و في مجامع يحملون الأعلام السوداء والبيارق صائنين "وا إسلاما، وا إسلاما" بروس عارية وهم يدقون الصدرون، طاقة منهم مقيدة بالصلات، وأخرى تدق الصدرون، وثالثة تدق بالأحجار، ولضيق الوقت أعرض باختصار أن طائفة خرجت من مدرسة الأيتام بالأعلام السوداء ومعهم أطفال تتراوح أعمارهم ما بين السابعة والعشيرة، يشدون أشعراً بلغة فصيحة، منها البيت التالي:

أيها الشيعي، أيها غوغاء تلك، فقد صار النهار ليلًا، فلتكب دمًا بسبب عدم النشوة وغربة الإسلام.

واحتدمت ثورة الأهل، وخرجت طائفة من مدرسة السادات، وأخرى من مدرسة المعارف و... و... ومن جميع مدارس إصفهان في جماعات، وتشاهد في كل جماعة نموذجاً لثورة أهالي إصفهان الخيورين.

وفي يوم السبت كانت الأعيام الثلاثة الخاصة بتلاوة القرآن قد انتهت، وكانت جميع أسواق إصفهان لا تزال مغلقة، وبعضها قد انشق بالسواد، واليوم احتشد جمع لا حصر له من الوضيع والرفيق في "جهل ستون"، ومضت ساعة من النهار، وحضر كافة السادة العظام ورؤساء المدينة إلى المسجد وكان بعضهم من المقرنين وقاموا بقراءة الروضة، وبكي الأهالي من كافة الطوائف على شهداء تبريز.

وقامت طائفة اليهود بداية من الطفل ذى السبعة أعوام حتى الكهل ذى السبعين عامًا بإمساك الشروع، وهم يتفتحون بعض الكلمات بلتهم ويكونون، وداروا حول المجلس ثلاث مرات، وهكذا فعلت طوائف أخرى من القرى... وقامت جماعة أخرى بما يلي: أولاً قدمت وكان كلًا منها جندي وطني، إذ كانوا يحملون البنادق على أكتافهم والذخيرة حول خصورهم بسيف مسئلة وأكفار حول أعناقهم يشدون بصوت عالٍ:

نحن عبيد الله، أروا لنا الليبية فداء.

وكان الأهالي يكون بحرية دون وعي عند رؤيتهم لهذا المشهد، وكان بعضهم ينشد وهم عراة الرؤوس يدقون الصدرون:
- قتلوا بسبب الإسلام مثلما حدث في قلعة ماكو، يا ملك النجف، يا أسد الله، يا صاحب ماكو.

وكان يوجد كذلك ثلاثة آلاف شخص من بضريون أنفسهم بالخناجر والمدى، ومن كثرة ضربهم على رؤوسهم صاروا كثلا من الدماء وقد بعضهم طاقته وعجز عن الوقوف وحملوا بعضهم على حوامل والبعض الآخر فوق الرؤوس وجعلوا يدورون. والخلاص، إنه في هذه الأيام، وبخاصة في اليوم الثالث، اجتمعت حشود غفيرة بعد الظهر بساعة، وأنهى المجلس ثلوزة القرآن وعدت الجمعية جلساتها.

وفي يوم الأحد فتحت أربعة حوانيت وأنهمك الأهالي في أعمالهم. ليدم الله هذا الاتحاد والانتماء فيما بين المسلمين بحق محمد وآلله الطاهرين!!

هذا نموذج من هدافي رجال الدين لشعب إيران وليكونوا يرغبون إنهاء أو نسيان هذه العروض الحمائية.

سوء الظن في تبريز:

أما ما كان يدور بين طهران وتبريز آنذاك فهو ذويك أكذوبة في طهران فيما يتعلق بتبريز، فحواها أن أهالي تبريز رغبوا في الانفصال عن طهران وإعلان الجمهورية بعدما يسوا من محمد على ميرزا، إذا استدعوا نوابهم من البرلمان، إلا أن مثل هذا الحدث لم يرد في تبريز ولم يفكر أحد هناك في مثل هذه الفكرة. لقد اختلقوها في طهران، وردوها على الألسنة، وما تسبب في ذلك هو البرقية التي ذكروا سالفًا أن أهالي تبريز قد أرسلوها إلى نواب أذربيجان يعبرون فيها عن شكوكهم من إقبال السلطة، وقالوا فيها:

"لأ مو يقدم أمر هناك فتتأت纹 ولننتصاب سويًا هنا، وننسى لإيجاد الحل".

ومن هذه الجملة اختلقو تلك الأكاذيب، وزادوا عليها تدريجيًا بأن البعض يخشى الرواد، فأرسل السيدان برقية مطولة إلى علماء تبريز ورد فيها:
"إن مدينة آذربايجان هي الراكن الركين لليز، وكل ما يدور منها سواء
أكان سيئاً أم حسنًا له عميق الأثر في تأمين سعادة إيران أو فسادها، وذلك الحديث
الذي يتردد على السنة أهلآ آذربايجان هو في الحقيقة سهم زعاق قضى على
استقلال إيران، ويتعارض تمامًا مع الوطنية والحرية القومية التي هي من سمات
أهل آذربايجان، وعلىه ما يمكن أن نصدق قط أن شخصنا ذا معرفة ولو بسيطة عن
سياسات الدول وأوضاع الأمم محباً لوطنه يرتجي أن يخطر على الأذهان ولو
للحظة تهيأة أسباب انقسام إيران.

وفي تبريزي أحضر المغفور له ثقة الإسلام هذه البرقية، وتلاؤها في الجمعية,
وأرسل نسخًا منها إلى رجال الدين ودار نقاش طويل في هذا الشأن، وكما ذكرنا،
لم يكن في تبريزي علم بهذا الأمر، لذا لم تتأت نتيجة من النقاش، وفي النهاية ردوا
برقية مطولة أعروها فيها بداية عن شكاوىهم من عدم اكتراش البلاط بمطالب
الشعب، وكذلك من الحيل التي يقوم بها، ورد فيها:

حينما بلغ إقبال السلطة في الظلم مداه، وتمرد رحيم خان، وقام بأعمال
وحشية بتحريض من إكرام السلطان في عاصمة آذربايجان ومكتب البرق حيث
مقر اعتصار العام والرعية للمطالبة بالإصلاح، هل يمكن بعد ذلك أن يعاقب
الشعب؟! ثم فيما يتعلق بتلك المذكرة التي ورد فيها: ذلك الحديث الذي يتردد على
السنة أهل آذربايجان، ويتعارض تمامًا مع الوطنية والحرية القومية هو سم
زعاق قضى على استقلال إيران... فما كان موجودًا في قلوب أهل آذربايجان
وعلى ألسنتهم، وما هو موجود حتى الآن هو الرغبة في الحياة النيابية والقانون ولا
شيء سوى ذلك.

لكن ثمة حدث مخزي وقع في تبريزي في تلك الآونة كان بانتها آخر على
سوء الظان، ألا وهو انقسام المجاهدين وصراعهم مع بعضهم البعض. هذا وقد
ذكرنا سالفاً قصة ظهور المجاهدين، وتذكرها ثانية في هذا المقام في شيء من
الاختصار.

132
في البداية، وقبل الثورة المطالبة بالحياة النقابية عام واحد، أُسّس إيرانيو القوقاز في باكو جماعة باسم "الاجتماعيون العاميون". تأثّر من لائحة " مرام نامه" وجماعة "الاشتراكي الديمقراطي" في روسيا، وكان رئيسها هو ديميتري نيمانوف. بعد ذلك، حينما قامت الثورة المطلّبة بالدستور في إيران، قام المغفور له على مسير والحاج على دوفروش والحاج رسول صديقاني وغيرهم بتجمّع لائحة "مرام نامه" إلى الفارسية، وأسسوا جماعة المجاهدين، وأقاموا جمعية سريّة تحت مسمى "المركز الغربي" كانت تتولى أزمة الأمور.

وفي الفترة نفسها قدم آخرون من إيرانيي القوقاز إلى تبريز وغيرها من المدن. وعلى هذا النحو سار المجاهدون في تبريز على طاقتهن، إحداهما تتألف من قدموا من القوقاز، وأخرى تتألف من نهوضها من تبريز نفسها. وذلك الانقسام لم يشمل أهالي تبريز فقط، ولم كانوا قد قدموا من القوقاز، ويرتبطون الزئبق القوقازى كان يطلق عليهم اسم "القوميين"، وكانوا أكثر حركة ووباحة، ولم يكتبروا بارجال الدين ولا بالبرفس، إذا كان نحو الأهل منهم. ولم كانوا يعتبرون أنفسهم منتمين إلى جمعية باكو فلما يكن من الواجب لديهم إظهار الولاء والطاعة للمهرة الغربي، وكانوا يفكرون في تقصير يد على مسبي وأعانه وتولى زمام الأمور بأنفسهم، لذا نشأ الصراع والعداء الشديد، وكان الأهالي يترقبون الأوضاع من كل جانب دون أن يدركوا ما ياهة ذلك الصراع، وكانت الخشية في كل لحظة من التعبئة العامة وإيقاف الدماء، وأدى ذلك إلى عدم فتح الأسواق في أيام الخميس والجمعة والسبت 29-30-31 خرداد (8-9-10 جمادى الأولى)، ولم تعقد مجالس الجمعية، وظل الناس يعيشون في خشية وقلق.

لكن لما كان رؤساء كلا الطرفين ممن ينتمون بالخبرة والحكمة، فقد حاولا دون إراقة الدماء وتصالحوا معًا دون أن يعلم أحد في الخارج. وفي غداة يوم الأحد تم فتح الأسواق ثانية، وانهمك الأهالي في أعمالهم، ولم يحدث شيء، ولم ينشر خبر في هذا الشأن على صفحات الجرائد، وقد أبدى على مسبي وأتباعه الكياسة والفطنة في هذا المقام.
ورغم كل ذلك، طرحت هذه القصة في طهران على نحو آخر، وكان ذلك - كما ذكرنا - باعثًا آخر لسوء الظن. حقيقة أن بعض الأحداث التي تمت في تبريز في ذلك العهد كانت تتقلل من قيمة أهلية تبريز في طهران وتسببت أسلحة النقد والدم تجاههم، وأحد هذه الأحداث ذلك الاستقبال الحافل الذي لا محل له لميرزا آقا الإصفهاني، والحدث الآخر هو مقتل الحاج قاسم الأرديبيلي، والحدث الثالث هو قصة الانفصال عن طهران وفكرة إقامة الجمهورية التي ذكرنا أنها ذاعت كتبًا واقتراءً، وحينما وقع هذا الحدث الأخير، وبلغت أثاثه طهران زاد الانتقاد وسوء الظن واتخذوا ذلك دليلاً على غلبة الأوباش، وتم انتقاد نواب آذرباجان أكثر من غيرهم.

في ذلك العهد لم يعلموا قيمة المجاهدين، ولم يقتروا النتيجة التي حصلوا عليها بفضل ظهورهم، وما حدد أنهم سموا بينهم وبين جمعية طهران التي لا طائل من ورائها، ودونوا رسالة إلى أهلية تبريز، ورد فيها:

"يوجد في طهران ما يربو عن العشر جماعات وهي منفصلة عن بعضها البعض في الظهر، إلا أنها في حال من الإتفاق والوحدة في الباطن.

فبدلاً من أن يعلموا تعلموا الحرب، فإعادة عدة آلاف من الأشخاص والحافظ عليهم أمر جد صعب، ومن هذه المساءلة قدرنا حق المركز الغيبي، وعلى هذا النحو أبدو سوء الظن والمذمة. حقيقة أن نواب آذرباجان وغيرهم من ذوى القدر محببوا تقدم أمر المجاهدين - وكان أكثرهم من القراء - لذا كان السائد - وهم من مؤسسي الحياة النبلية - يرغبان في الحصول على القيادة بالحوار والطرق السلمية، وتقدم أمرهما عبر ذلك الطريق، وعلى له لم يرضيا الاستعدادات الحربية أو المساعي الأخرى، وكان هذا أمرًا مثيرًا منها. من ناحية أخرى كان ضلوع عملاء البلاط في نشر هذه الأكاذيب واستمالة القلوب من أهلية تبريز واضحًا، وكذلك كانوا يرون مصلحتهم في هذا، ومن الحبيب أن السيدين ما بيديان حسن الظن دونًا تجاه البلاط، وكانا ينذخعان دومًا بجيل محمد على ميرزا.

ولم يكن نظام الملك - الذي كان يعيش في تبريز - من مهمة سوى إرسال
التقارير الكاذبة حول جمعية تيريز والمжаدين إلى محمد على ميرزا وكان يشكو كذلك إلى السيدين.

والخلاصة: ازداد سوء الظن، ويبلغ الأمر أن استدعى نواب أذربيجان رؤساء تيريز ونواب الجمعية إلى مكتب البرق في يوم الاثنين التالي من شهر تير (12 جمادى الأولى) وقاموا بالتفاحش معهم، وتم تبادل الرسائل بينهم، ووصلت برقية مطولة من طهران يقولون فيها:

"لقد بلغت مظاهر الفوضى والفتن مداها في تيريز هذه الأيام، وتردد ذلك على الألسنة، ويبلغ الأمر أن تسبب ذلك في قلقنا واضطرابنا واستيابنا ليل نهار."

ولما ذاع في طهران أن أهالي تيريز لا يبالون بدار الشورى ولا يطيعون أورام جمعيتهم، لذا تساءلوا:

"بداية نود أن نعرف هل قصة ونفوذ هذه الجمعية المبجلة كاف كي تقوموا بإصلاح واف في ظل هذا الخل و bè تفوضي في الولاية؟ وهل ما نقولونه إلى أولئك الأهلى صحيح؟ أم أنه غير كاف - لا كاف - لا كاف - وينبغي اليأس من هذه الولاية المتكونة؟ ثانيًا: هل في عقيدة أهل هذه المدينة في عاصمة دولة الإسلام هذه وإمبراطورية إيران التي هي مركز السلطة ومقر مجلس دار الشورى الوطني المبجل ومقر حميج الإسلام حماة الحرية والندبابة يوجد شيء أو شخص أو نقطة أو إدارة تعتبر واجبة الطاعة وفقًا للعقيدة الإسلامية والقومية الإيرانية أم لا؟ ولو كان ذلك موجودا، فلتقولوا حتى تقدم العرائض.

وردوا من تيريز على هذين الاستفسارين الغريبين:

" فيما يتعلق بالسؤال الأول الذي طرحتموه، فإن العلماء والعلماء والفضلاء في هذه الولاية مشغولون بالإصلاح هذه الأيام بشكل جاد وواضح... وردًا على الاستفسار الثاني، فإن أذربيجان جزء من إيران، ومن الناحية الدينية فهي مسلمة تتبع الشريعة الغراء، ومن الناحية الاجتماعية فهي خاضعة لأوامر الملك ودار الشورى."
ثم قالوا:
"لا وقت الآن للشكوى، لو لديك شيء فلا تقولوه.
 فأرسلوا برقية مطولية مرة أخرى من طهران، وردوا عليها من تيريز، ولما كان أساس هذه الواقعة منعمة، لم نر الحاجة ماسة لذكرها في هذا المقام.

تبادل الزيارات بين الضواحي:

كما ذكرنا سابقاً، لم يكن سوء الظن هذا تجاه تيريز أي أساس من الصحة، لكن ثمة حدث آخر كان يقع في تيريز. فقد كانت هذة المدينة منقسمة إلى ثمان عشرة ضاحية كانت المناقبة تدور بينها في الفترة السابقة على ظهور الحياة النوبية، وكان فتوات كل حي يضمنون الحق والعداء تجار الآخرين. من ناحية أخرى، فقد انضم معظم هؤلاء القروات خلال تلك الفترة إلى المجاهدين، وصارت البنادق والذخيرة في حوزتهم، ومن هنا كانت الخشية من قيامهم ببعض الأعمال غير اللائقة، وأحيانًا ما كان يحدث شجار بين الجانبين.

من ناحية أخرى، حينما وصلت البرقيات الشاكية من طهران، رأى ثقة الإسلام وغيره ضرورة عقد المجالس للقضاء على تلك الأحقيات والمناقصات، فكتبوا منشورًا إلى البلدية وطلبوا من كل ضاحية استدعاء الشيوخ والرؤساء يوم الأربعاء الرابع من شهر تير (14 جمادي الأولى) إلى الجمعية، ليدور النقاش فيما بينهم.

ونظرًا لعدم حضور الرؤساء جميعهم في اليوم المحدد قامنا بتأجيل الجلسة إلى اليوم التالي. ورغم ذلك، حضر الجميع في اليوم التالي دار نقاش طويل فيما بينهم وحوثوا المجاهدين على التضامن والاتحاد مع بعضهم البعض، واقتراحوا أن يجتمعوا كل ليلة في إحدى الضواحي قبل الغروب لثلاث ساعات لتتوطيد أواصر الصداقة والوئام بينهم، وأظهر هذا الحدث (إلى تبادل الزيارات بين الضواحي) أحد الأحداث العظيمة ذات الثقل في تاريخ الحياة النوبية.

وبداية توجهوا إلى ضاحية "خيانان"، وهي إحدى الضواحي الكبرى والشهيرة في تيريز، وأهلاً مشهورون بالثراء والحماية كانوا ضمن الرواد
المطالبين بالنيابية، واجتمع الأحرار والمجاهدون هناك يوم الجمعة السادس من شهر تير (11 جمادى الأولى) عصرًا، وقام أهلية الضاحية ب זהוهم، واعتنى المغفور له الشيخ سليم المنبر، وخطب بالأحاديث تدعو إلى التضامن والأخوة وذكر فونادهما، وحرك القلوب بلغته التروية.

وفي نهاية ذلك اليوم حل الدور على ضاحية "توبير"، وهي إحدى ضواحي تيرز التي تتمتع بالقوة والثراء، واتجه الأهالي إليها قبل العشاء بثلاث ساعات، وجاء المجاهدون في أفواج وقدون الأرض بأقدامهم، وفلا دينان، ومصموديه ومسجده، وبعد استقبالهم، اعتلى الشيخ سليم المنبر ثم تبع السيد ميرهام، وتحدثا كذلك عن التضامن والأخوة وفونادها، وانتهى اليوم على هذا النحو، وعاد الأهالي إلى ذورهم سعداء مسراً.

وفي يوم السبت، حل الدور على ضاحية "وجيهية" وهي من الضواحي المهمة في مدينة تيرز، ولما كان الطريق إليها طويلًا، فقد اشتكى المجاهدون، فتقدم علماء كل حي وساداته الفوج الخاص بهم، وسلكوا طريقهم بالطبول والدفوف والبيارق الملونة. كما قدمت في هذا اليوم أفواج الأطفال وقد أمسكوا بنادق خشبية، واحتفل أهالي "وجيهية" بالضيوف، وقاموا برش الضحاوي بالماء، ومع وصول كل طائفة كانوا يستقبلونها بالمشروبات والشاي، وبلغت صيحات "تحيا الحياة النيابية" المساحب من كل ناحية، وجمع الأهالي حتى امتلأ مسجد "سقية" - مقر الاستقبال - والمناطق من حوله.

وفي نهاية يوم الأحد حل الدور على "دوتشي" على نحو ما ذكرنا، حيث تدفقت الأفواج الواحد تلو الآخر، وسعى أهالي "دوتشي" العظامه للاحتقاء بهم بكل ما لديهم، ووقفًا لما نشر على صفحات جريدة "الجمان": أضاعوا عين الأصدقاء وأعموا عين الأعداء، وهنا أيضًا اعتلى الوعاظ المنبر، وألقوا الخطاب، وقاموا بإبداء النصح.

وفي يوم الاثنين رغبوا في التوجه إلى ضاحية "سرخاب"، ولم يضن الأهالي هنا أيضًا بما لديهم احتفاء بالمجاهدين، وعلقوا الزينات والمصابيح في سويفة
سراخب - وكانت على الطريق - ووقف مجاودو تلك الضاحيه عبر الطريق لاستقبال الضيوف والاحتفاء بهم، ووصلت الأفواج زرافات زرافات في عظمة وجلال، ومع وصول كل فوج ينال نصيبه من الترحيب والاحتفاء، واعتق هذا أيضاً كل من السيد ميرهاشم ثم الشيخ سليم ثم ثقة الإسلام - كل في دوره - المثير، وخطبوا في الأهالي.

وفي يوم الثلاثاء حل الدور على ضاحية "باغمشه", وكانت الزينات ومظاهر الاحتفاء والترحيب تزداد يوما بعد يوم، فمن ناحية كان كل حي يقوم في دوره بالاستقبال والاحتفاء، ومن ناحية أخرى كان تعداد الضيوف في ازدياد، ومع تزايد أفواج المجاهدين كانت تزداد مظاهر الاحتفاء والزينات، لذا بالله أهالي باغمشه اليوم كذلك في احتفالهم، وعلقوا الزينات على طول الطريق بداية من البوابة وحتى مقار الشرطة، واصطفف مجاهدو الحدود عبر الطريق، وكانوا يؤدون النحية العسكرية لكل فوج يصل إليهم.

من ناحية أخرى تدفقت أفواج الأهالي هناك رغم بعد الطريق حتى اعتلأت الشوارع عن آخرها بالبشر.

وفي يوم الأربعاء حل الدور على ضاحية "يامير خيز", وأقام الأهالي هناك أيضاً الزينات على طول الطريق، ووقفوا على امتداد الطريق للاستقبال، وكانت الأفواج تصل في هشود غيرة، ومعهم العلماء والسادة ورواد الحرية، كذلك كان المشاهدون يصلون في جماعات من كل صوب وحبيب، واعتق الوعاظ المنير هنا أيضاً، وألقوا الخطب في الحضور.

وفي يوم الخميس رغبوا في التوجه إلى الأحياء الغربية من المدينة - أي ليلاوا، والأهراب وجرنداب - وأقاموا الزينات عبر طرقاتها، وبين المسافة والأخرى وضعوا أريكة ومقعدا وأعدوا الشاي والمشروبات والغليون، وقاموا بتثبيت السجني الباشعة الثمن ووضعوا المزهريات على الطريق. ولما كان حي أرمستران يتصل بهذه الضواحي، لذا انضم الأرمنة إليهم، وتعاونوا معهم في استقبال الفاودين وتعلق الزينات.
وقبل العشاء بخمس ساعات ازدادت وقود المجاهدين وجماعات المشاهدين، ومع هذا الاحتشاد بدأ المكان ضيقًا، ورغم هذا الزحام الشديد لم يشاهد أي شخص سوى الحب والودة من الآخرين. ولم يحدث قت أن نشب صراع أو عراك بين الحشد. ومع نهاية اليوم، اعتلى الشيخ سليم والسيد ميرهاشم المنبر، وقاما بالوعظ كما خطب الشيخ على أصغر ليلوئ في الحضور.

وفي يوم الجمعة الثالث عشر من شهر تير (32 جمادي الأولى) حل الدور على ضاحية "هكماوار"، ولما كانت هذه الضاحية بعيدة وتعتبر من منتزهات المدينة، لذا بدأ توافد الأهالي إليها منذ الظهيرة، وقام أهلها كذلك - رغم قرهم - بكنس الأحياء وشربها بالمياه وتزيبتها بداية من البوابات وحتى ميدان "حاجي حيدر" - مقر الاستقبال - وأعدت غرفة كانوا يحضرون فيها الشاي والمشروبات والغلبون من كل ناحية. وكان هذا دليلاً على مروعة الأحرار، حيث إنهم لم يتناسوا هذا المكان رغم بعده وصغر مساحته، ولم يخرجوه من حساباتهم.

ومع حلول الليل زاد احتشاد الأهالي حتى امتلت الأحياء عن أخرها بالبشر، واعتيى هنا أيضًا كل من الشيخ سليم والسيد ميرهاشم وحاجي الشيخ على أصغر - كل في دوره - المنبر وقاموا بالوعظ.

ومع نهاية يوم السبت رغوا في التوجه نحو "ششكاين"، وتعتبر هذه الضاحية من أغرى الضواحي في تيريز، ومعظم أهلها من الأعيان وأفرطوا في استقبالهم واحتفائهم بالضيوف وإقامتهم للزينة، لقد علقوا الزينات على طوال الطريق بداية من ملجأ الملك وحتى مسافة بعيدة وبسطوا الفرش والأورود، وزيروا جميع الحوايت، ونصروا الخيام أمام المنازل واستعدوا لاستقبال الضيوف وأعدوا غرفة لذلك، وكتبوا أشعارًا في مدح النبات والثمار على الحري بأحرف عريضة وواضحة على لافتات علوها على الجدران.

وقبل العشاء بثلاث ساعات حيث بدأ ذهاب الأفواج ويبانهم امتلاء "ششكاين" بأصوات الطبول والدفوف، وسُمعت صيحات "1 2" من كل ناحية، واصطبف فوج مجاحد "ششكاين" عبر الطريق بدون التحية العسكرية للضيوف.
وعلى هذا النحو من التبجيل والتعظيم انتهى الاستقبال دون أن يضمن الأهالي عن إبداء أي نوع من أنواع الاحتفاء. وارتفعت الصيحات اليوم أكثر من أي يوم آخر بحياة أهل طهران والنيابية ومجاهدي إيران.

وفي عصر يوم الأحد رغب قادة الدولة ورجال المدفعية في استقبال أفواج المجاهدين والأحرار في ميدان المدفعية، وعلقوا الزينات كذلك عبر الطرق بداية من بوابة السوق والمنازل حتى ميدان المدفعية، وأعدت طائفة من القادة مكانًا لاستقبال الضيوف والاحتفاء بهم، وقبل العشاء بساعتين بدأ نقل الأفواج ومجاميع الأهالي وتم الاحتفاء بهم، وتأثر المجاهدون والأحرار من هذا الاستقبال الحار ومن ذلك الاحتفاء الأخرى.

على هذا النحو انتهى تبادل الزوارات بين الضحايا، وكانت العشرة أيام تلك من أكثر أيام تبرييز سعادة وحماية. وكما ذكرنا، لم يكن المجاهدون بمفردهم في تبادل الزيارات هذا، فقد شاركهم الأهالي كذلك. ومن رأى تلك الأيام مرأى العين يعلم أية سعادة ونشاشة بدت على وجه الأهالي آنذاك، وكيف كانوا يتواصلون معًا بمحبة وود. وكان العلماء والرواد - الذين اقتربوا هذا - يرغبون في زيارات بسيطة، وكما رأيناه، بدأت بسيطة، لكن نظرًا لأن كرم الضيافة هو أحد سمات الإيرانيين، ولاهالي تبريز الريادة في ذلك الكرم، إذا كانت كل ضاحية تضاعف مظاهر الاستقبال والاحتفاء، وتدرجياً ازدادت مظاهر الزيينة والتعظيم، وانبسطت مواند الاستقبال بشكل أكثر. من ناحية أخرى، كان تعداد الأهالي، وكذلك الحمية والثورة في ازدياد يومًا بعد يوم، وكانت الأسواق تغلق كل يوم بعد المغرب، ويتوجه الأهالي إلى الضاحية التي يجل عليها الدور في الاستقبال، كأنه العيد الكبير، وعاش الأهالي جميعًا في سعادة وسرور.

وفضلاً عن المارة ذهابًا وإيابًا عبر الطرق، امتلأت سطح المنازل بالمشاهدين من النساء والرجال، والأكثر عجباً في ذلك كله هو نقل أفواج المجاهدين وأصوات طبلهم ودفوفهم. لقد أفضت جهود بضعة أشخاص من أهل السوق خلال عدة أشهر إلى ظهور هذه الجماعات الحربية المنسقة.
وكان يشاهد خلال عمليات الذهاب والإياب تلك إلى أي حد نمت هذه المجموعات خلال شهر واحد. حقيقة إن واقعة إغارة ابن رحيم خان والخشية التي عمت المدينة بسبب ذلك حلت العديد من أهل تبرييز على شراء البنادق والذخيرة والانضمام إلى المجاهدين، لكن ما حث العديد منهم الآن هو ذلك الاحتراء وذلك الصمود، وكان تعداد هذه المجموعات وتلك الحشود في ازدياد يومًا بعد الآخر.

هكذا استلأت القلوب بالأمل والأمان، وظن كل فرد أن الحق والعرفة قد زال عن تبرييز، وما من أحد كان يعلم أية أيام محزنة في الطريق، ولم يفكر شخص فقط أن يومًا سيأتي يحل فيه العراق وإزالة الدماء محل هذه الأحواز وذلك التضامن، وأن هذه الضواحي التي تصالحت وتعاضدت سياسة بعضها البعض العداء، وأن هذه المنازل وتلك الجدران المزدانة الآن سوف تدور بطلقات المدافع والبنادق.

ويقال إن أقا مبرتي نوبرى - وهو رجل بسيط حسن الطريقة - لقب أثناء تبادل الزيارات هذا بـ "قلج أقا " - أي سيف أغا - حيث كان يمسك سيفًا مستلًا في بده دومًا وهو بذلك الرداء الطويل وتلك العمامة السوداء ويفق أمام فوج مجاهدي نوبر ويدعى كثيرًا من الحمية والتأثر.

الاضطرابات في مدن أذربيجان:

في تلك الفترة التي عمت فيها مظاهر الاحتفال والسعادة في تبرييز، عمت الاضطرابات العديد من مدن أذربيجان كماكو، وأرومي وأردبيل. ففي ماكو، كان الأكراد - كما ذكرنا سابقاً - يغرون على القرى، وبدلاً ما في وسعهم لإلحاق الأذى بالأهالي، وفي كل لحظة كانت الأنباء المحزنة تصل متتالية من هناك، وكم شاهدنا، كثيرًا ما أقررت جمعية تبرييز إلى طهران في هذا الشأن دون جدوى، وأثر ذلك في النهاية عن صدور الأوامر من طهران بأن يقوم نظام الملك بإرسال إجلاء الملك إلى ماكو للتحقيق معه في الحادث وأن يتم التباحث مع إقبال السلطنة، ولم ما يكن هناك سوى هذا الحل، فقد ارتضته الجمعية، وأرسلت السيد تقي شجاع

141
الملك - أحد التجار المطالبين بالنيابية - برفقة إجلاس الملك ليكون مندوبيًّا عنها.

وفي أرومية، كانت المباحثات حول الحدود تدور مع العثمانيين، وكانت بعض الكتائب العثمانية العسكرية قد تجاوزت الحدود الإيرانية (سنورد قصة ذلك فيما بعد) لذا انتهت الأكراد الفرصة، وقاموا بأعمال السلب والإغارة، وهاجموا القرى، وأقاموا المذابح، وألحقوا الأذى بالقرود والمساكين. ولما كان اليأس من الدولة، جهز مجد السلطنة - أحد قادة جيش الدولة، وكان من المؤثرين في الثورات الشعبية - جيشًا بنفسه يبادر هو بسحقهم، وطلب العون من جمعية تبريز، وأرسلت الجمعية بدورها فريقًا من المجاهدين وبعض المعدات الحربية.

أما عن أردبيل، فكما أسلفنا الذكر، فضلاً عن الانقسام هناك بين الحيدرية والعمتية، كان إثنا من كبار رجال الدين يعيشان في تلك المدينة، هما: أقا ميرزا على أكبر وحاجي ميرزا إبراهيم، وكان النزاع والتنافس بينهما مستمراً. كان أقا ميرزا على أكبر هذا من رجال الدين غربي الأطراف حيث كان يبدأ انتهاجه التام إلى المذهب الشيعي (أي إلى الشريعة) وتحدث قدر استطاعته عن الحكومة الشرعية، وكان يحصل الزكاة والخمس من أتباعه.وكما كان يقول الأهالي، كان يقوم بالبت في الشكاوى وإصدار القوانين، ولم يكترث بالدولة ولا بالحكومة ولا بالشعب وما أشبه. لقد كان أحد رجال الدين المقاتلين للحاج الشيخ فضل الله والسيد كاظم البزردي، والخلاف بينه وبينهما أنه لم يبقيه حب الله والعظمة كالحاج الشيخ فضل الله ولا خداع السيد كاظم بل كان رجلاً بعيدًا حسن الطوية، وما كان يحصل عليه من الأهل كان يستخدمه لتحقيق مصالحهم.

لقد كان نموذجًا آخر من المطالبين بالنيابية، فلم يعرف سوى طريقه، ولم يبد تضامناً بالنيابية وأسس الجمعية وفق رغبة الأحرار وهو جاهل بمعنى النيابية. فكما ذكرنا، لم يكن لهؤلاء مفهوم واضح تجاه الثورة سوى أنها صراع مع الحكومة، ولم يروا نتيجة لها سوى رواج الشريعة. وحينها قامت الثورة المطالبة بالحياة النيابية وتأسست الجمعيات في المدن كافة، قام هؤلاء الرجال أيضًا في
أردبيل وأنشأ كل منهما جمعية، ودار الصراع بين الحيدرية والنعمتية، واستدعى كلاهما إحدى طوائف الشاوشون المغايرة لمؤازرتهم، وأضحت المجال في المدينة للنزاع.

وكما ذكرنا، أرسلت جمعية تبريزي آنذاك نوابًا لإغلاق كلتا الجمعيتين وتم تأسيس جمعية أخرى لأهالي المدينة كافحة. وعلى هذا النحو خمدت نار الفتنة، وعدم الهدوء وبخاصة في فضل الحركة التي أداها رشيد الملك حاكم أردبيل. لكن لما كان رشيد الملك آنذاك في فرح داغ وجد رجال الدين الميدان فسخًا له، وأظهروا العداء بينهم ثانة ودار التنافس فيما بينهم واستدعى كل منهم إحدى طوائف الشاوشون إلى المدينة لمؤازرتهم، وصار هذا باعتباره تدحر الأوضاع، وانتشارت الاضطرابات سواء داخل المدينة أو خارجها.

وبإثر الأحداث في دار الشورى وإلى جمعية تبريزي يطالبون بالإنساح وبادرت الجمعية على الفور لإيجاد الحل، وأصدرت أمرًا بعودة رشيد الملك إلى أردبيل، كما انتخبت النواب التالي ذكرهم إرسالهم إلى هناك، وهم: الشيخ إسماعيل الهشتوريدي، شريف العلماء، الحاج سطوة السلطنة، الحاج معتمد همبوون والحاج إسماعيل أمير خيزي. وبادرنا بالتوجه إلى أردبيل، ووصلنا إليها قبل عودة رشيد الملك وأنهوا النزاع عن طريق الوساطة والمباحثات. وبعد فترة وصلت برقمية من قبل آقا ميرزا على أكبر واحاجي ميرزا إبراهيم، ورد فيها:

"تعد تم تهيئة أسباب الود والمحبة وإزالة الخلافات بشكل تام ببركة الأنساق المقدسة لجنب المستطاب صاحب الشريعة آقا شيخ إسماعيل آقا سلمه الله تعالى، وكذلك بفضل إجراءات الوفد المبعوث واهتمامه البالغ دامت توفيقاته.

مقال سعد السلطنة في زنjan:

أما مدينة زنجان فقد نشبت فيها ثورة دامية، وكانت زنجان إحدى المدن التي تقتضي أمس الحاجة انتهازية، ولم تتردد الحركة المطالبة بالحرية فيها، لقد أقيمت الجمعية هناك إلا أنها كانت غاية في الضعف، وكما ذكرنا، لقد ظهر التمرد
والطغبان في العديد من المدن نتيجة لمساواة البلاط، وهذا أيضًا قام مظرف السلطنة — وكان رئيسًا ل/var/page/144/144-1/
والظلم بالله، وكان تجار زنجان يجلسون في مكتب البرق لفترات متأخرة من الليل ويطلبون طهران بالإنصاف. من ناحية أخرى، فإن ثمة رجاءً غريب الأطوار كان يوجد هنا أيضًا ويدعى آخوند ملا قربان علي، كان يتولى أزمة الأمر وينفع الأهالي عن تأييد الحياة العبادية، وكان من مؤيدي الحكومة الشرعية وكان له الحكم على زنجان وما حولها ويخاف في الدعاوى وبصدد الفتاوى ويدفع بالقصاص وإقامة الحد ويفطر الزكاة ومال الإمام. لقد كان ملكًا يحكم دون ناج أو عرش، وكان كذلك من رجال الدين الذين لا يتأذون بالدولة ولا بالشعب ولا بالوطن وما أشبه، لقد كان بعيدًا عن مثل هذه المفاهيم، ولم يكن يتقن أثر شيء سوى بلغ الزعامة الدينية، كان يشبه ميرزا على أكبر الدربلي في عدم اكتشافه للأموال، ويعيش في حالة من الفقر لذا حظي بالسمعة الطيبة والمكانة الريفية بين أتباعه، وبلغ صيته معظم المدن.

لقد كانت قوة ميرزا على أكبر تفوق علمه، لذا لم ينل المكانة بين رجال الدين أنفسهم، ولكن آخوند كان يعتبر أحد العلماء والمجتهدين ذوي الصيت، ولما كان هذا الرجل وقصته نموذجًا جيدًا لثقة العلم والمطوية المعروفة في بعض رجال الدين، لذا نتحدث عنه في هذا المقام، لقد كانت إحدى سماته قسوة القلب، كان يعشق إراقة الدماء، ويقال إنه أصدر فتوى ذات مرة تقضي بقتل أحد الأشخاص ثم أمر بفصل رأسه عن جسده في الميدان العام.

وعلى أوقات متقاربة وجد مثل هذا النوع من رجال الدين في زنجان، فتميز شخص يدعى ملا محمد علي قد تمرد على الحكومة في عهد محمد شاه، ثم جاء بالعراق في عهد ناصر الدين شاه تحت مسمى العبادية، وهذه القصة توضح أحد الأحداث التاريخية العجيبة. أما الشخص الثاني فكان ملا قربان على هذا الذي أوردنا ذكره. وجدنا بالذكر أن ملا محمد مع ذلك العمل الأحمق الذي بذر منه إلا أنه اختتم حياته بشكل أفضل من نظيره السابق.
كان ذلك الرجل يبلغ قرابة التسعين من عمره آنذاك، ورغم كهولته إلا أنه لم يبد خورعزم، ولم يحل من يديه زمام الحكم وكان يتحول دون ميل الأهالي إلى الحياة النيابية.

في تلك الأثناء، كان سعد السلطنة يحكم في زنجان - وكان يحكم في قزوين في عهد ناصر الدين شاه، ومكث بها ستة أعوام وسعى كثيرًا لإعمار تلك المدينة، وبصفة عامة كان يسمى بحسن السمعة - وقد أبدى في تلك الفترة سلوكًا طيبًا في هذه المدينة، ومع كثرة أتباع ملا قربان على إلا أنهم لم يثبوه عن عزمه فاستمروا منه.

وفي الثالث من شهر تير (31 جمادى الأولى) رغب أحد خدام الحكومة في إحضار الشيخ عبد الله إلى إدارة الحاكم ففر الشيخ عبد الله واتجه إلى منزل ملا قربان على واعتصم فيه، ولما علم أتباع ملا قربان على - ومعظمهم من الأبواب والفتوتات - بحقيقة ما حدث، تتبعوا أثر الخادم، وأمسكوا به وفرطوا في ضربه وجرحوه ثم قصوا له شاربه، وقالوا له:

"امض واخبر سعد السلطنة.

وفي ذلك اليوم قابل سعد السلطنة بأحد هؤلاء الأبواب ويدعى السيد بشير وذلك أثناء مروره من ميدان سيزه، وأمر باعتقاله، وضربوه ضربًا مبرخًا في إدارة الحكومة، ثم أطلقو سراحه، ولما بلغ بناء ذلك إلى ملا قربان على، قال:

"يجب أن تنفى الحكومة في الغد.

وليلاً أطلع عملاءه الطلاب وغيرهم بالأمر، واستدعوا الأهالي من الأماكن المعمورة القريبة من المدينة. ومع بزوغ النهار في غد ذلك اليوم اجتمع أتباعه - قرابة فئة عشيرة شخص - حول منزل الأخوند. ولما شاع أن الأخوند سوف يصدر حكمًا بالجهاد، حمل معظمهم الأسلحة والمدى والذخائر، وامتلأت أديان أرديه.
بعض بالأحجار، واندفعوا بداية إلى السوق برسالة من الآخونود، وقاموا بإغلاق الحوانيت التي كانت مفتوحة ثم وقفوا في وضع الاستعداد يترقبون تلقى الأوامر.

وصدر أمر الآخونود:

"امضوا تجاه ميدان المدفعية."

وانساع الجميع، واصطفوا في أحد أركان الميدان أمام مبنى الحكومة، وعين سعد السلطنة بعض الضباط للحراسة أمام البابيات، لكنهم لم يطلقوا طلقة واحدة. لذا انسابطة الأئمة بالمذمة ولم يرد الجند، فتشجعوا وأطلقوا عدة طلقات.

في تلك الأثناء وصل واحد من أهل السوق يدعى نصر الله مع شخص آخر من المطلقيين بالتأثير إلى الميدان، فأطلق رجال الآخونود وآلاً من الرصاص عليهما، وسلم نصر الله الروح بعد نصف الساعة. وبعد ساعة اعتلى جند الحكومة أحد الأسطح وأطلقوا عدة طلقات في الهواء لإدخال الرعب في نفس الأهالي، ووجد رجال الآخونود الفرصة مؤقتة، وقام بعضهم - ممن لديهم بناء - بالمرتكب، واندفع الأهالي نحو مبنى الحكومة، وقاموا بأعمال السلب والنهب، وحملوا معهم كل ما وجدوا في طريقهم، وخلّعوا الأبواب والنوافذ. وحمل سيدان واثنان من رجال المدفعية سعد السلطنة إلى إحدى الحجرات الداخلية وألقوه بو الأذى ثم جرحوا بالدمى والخناجر، كما جرحوا الخادم كذلك. وحمل نبي الخادم سعد السلطنة على كتفيه وذهب به إلى ميرزا حاجي وزير - أحد أثرياء زنجان - كي يضمده جراحه هناك.

ولا سمع ملا قربان على بذلك أمر بالإمضى إليه وإخراجه من هناك، واتجه الأبواب إلى منزل حاجي وزير ورغبوا في الإغارة عليه، فتقدم أسعد الدولة وغيره وحالوا دون ذلك. واضطر حاجي وزير إلى إخراج سعد السلطنة، فأخذته جماعة من الأهالي بجراحه تلك، وأجلسوه في إحدى العربات، وحينما بلغوا به خارج المدينة أطلقوا سراحه، فتوجه ذلك المسكن الكهلى إلى سلطانية وتوفي هناك.
بعد فترة وجيزة متأنئا بجراحه.

وكان هذا نموذجا لحكم رجال الدين بالجهاد، وسوف نرى مثل هذا السلوك المعوج من ملا قربان على في حادث عظيم زاده.

وأما يثير الدهشة، أنهم عندما قاموا بذلك، أبرقوه في حبك إلى دار الشورى على لسان الآتى، يقولون:

"لقد تجاوزت تعديات سعد السلطنة كل الحدود، لقد ألقى أحد الأشخاص في جبهة، وأراد أن يغتصب فتاة وتوجه إلى منزل السيد وتخصين فيه، ولم يكن للسيد يعقب أية مستحقات ضريبية إلا أنه حصل منه على مبلغ ثلاثمائة إطماع دون وجه حق.

من ناحية أخرى أرسل ابن شقيق الأخوند برقيه إلى محمد على ميرزا

تقترب في مضمونها من التالي:

"كان سعد السلطنة من المطالبين بالنيابة، ورغب في تأسيس النيابة هنا أيضًا، فطردواه من المدينة.

وتم مناقشة هذه البرقية في المجلس إلا أن محمد على ميرزا لم يكثر

بالبرقية الأولى وأخفى البرقية الثانية، وبعد يومين من هذا الحادث، وصلت برقية حاجي الشيخ فضل الله وأتباعه - وقد ذكرنا أنهم أرسلوها إلى جميع المدن - إلى زنجان، وسر ملا قربان على منها، وتوجه إلى المسجد وجمع حوله الأتباع، وجعل يدم الحياة النيابية والمطالبين بها.

وبشكل عام، لم تصمد النيابة في هذه المدينة، ومنذ ذلك الحين كانت زنجان في يد ملا قربان على وأتباعه. ودار نقاش في المجلس في جلسة يوم الثلاثاء العاشر من شهر تير (20 جمادى الأولى) بعدما وصلت برقية جمعية زنجان، وأبدى المغني له طباطبائي - كعادته - تأييده إلى ملا قربان على، قائلاً:

"لا يخرج جناب الأخوند في أي وقت قط من منزله، ولم يقم بشيء، إن هذه الأعمال من فعل رجاله."
ولم يكن هذا الحديث مستبعدًا، فلم يكن لملا قربان على وهو في هذه المرحلة العمرية القدرة على القيام بمثل هذه الأعمال، وكان ابن أخيه وغيره هم الذين يقومون بمثل هذه الأعمال باسمه، لكن هذا لا يعني أنه كان يجهل ما يحدث تمامًا.

وفي فترة مقاربة لذلك الحدث وقع حدث آخر في قزوين تلك المدينة المجاورة لزنوجان، فكما ذكرنا، أرسل حاجي الشيخ فضل الله وأتباعه بعض الأشخاص لإثارة الفتنة في المدن، وذلك قبل أن يخرجوا من طهران، وكان أحد هؤلاء هو ميرزا على تقي ابن السيد أحمد طباطبائي حيث اتجه إلى قزوين. وفي هذه المدينة كان يوجد السيد جمال وهو أحد رجال الدين المعاصرين للحياة النشيطة، وكان أحد المسئلين مثيري الفتنة، وقد حل ميرزا على تقي ضيفًا عليه في منزله، وبعد النقاش، اتفقا على السعي لإثارة الفتنة في المدينة. وليلة اسْتَدْعِي السيد جمال فتوت المدينة وأوَباَشُها إلى منزله وقام يتقسيمهم إلى مجموعات، وأرسل كل مجموعة إلى منزل أحد رواد الحرية كي يقبضوا عليه ويقتلوه.

في تلك الأثناء، حيث كانت كل مجموعة في طريقها المحدد لها وصل فجأة شخص من مكتب الهاتف وذكر حادث مسجد الجمعة، حيث نصب أتباع حاجي الشيخ فضل الله الخياط وتم عرقلة الأهالي لهم وتم الظهور في النهاية للأحرار. فخشي السيد جمال الدين عند سماع تلك الأنباء وأرسل البعض لإعادة تلك المجموعات، ولم يبق منها سوى واحدة كانت قد انتهت بالفعل إلى منزل ميرزا غفار، ودار عراك بين أفرادها وبين أتباع ميرزا وتم جرح البعض منهم.

وفي الغد تأثر المجاهدون حينما علموا بذلك الحادث وكاد الأمر يفضي إلى إرقة الدماء في قزوين، وقد حاول الشيخ الإسلام وابنه ميرزا حسن رئيس المجاهدين دون ذلك، وتم نشر هذا الحادث في صحيفة 'الاتحاد'.
الاحتفال بالذكرى السنوية للسيد عبد الحميد والسيد حسين:

نعود الآن إلى طهران، فقد وقعت هنا أيضًا بعض الأحداث أثناء الصراع الذي دار بين النابليون والشريعة، أحد هذه الأحداث هو التحقيق في موضوع بيع فتيات القوتشي. فكما ذكرنا، كان هذا الموضوع محل نقاش منذ افتتاح المجلس، ورغب المجلس في إعادة تلك الفتيات إلى دورهن والتحقيق مع المتورطين في هذا الأمر ومحاكمتهم؛ لذا استدعى أصف الدولة - وإلى خراسان - وسُلُل مغفرة البارودي - قائد الفرسان هناك - إلى طهران، وألقى على التحقيقات معهما ومحاكمتهما. وتم انتخاب ستة من النواب - وكان السيد تقي زايدة من بينهم - للإشراف على هذا الأمر. هذا وتم عقد الجلسات في المحكمة في حضور وزير العدل وآخرين، ودارت التحقيقات في هذا الصدد، وقامت صحيفة المجلس وكذلك صحيفة الحبل المتين بتدوير تلك الاستجوابات ونشرها على الأهالي.

أما الحدث الآخر فهو خلع كاميران ميرزا من وزارة الحربية. فكما ذكرنا، قبض هذا الرجل على وزارة الحربية بكل تأية، ولم يكن على استعداد قطع للتخلي عنها، رغم كونه أحد الوزراء إلا أنه لم يخط خطوة إلى المجلس، بل كان يبدي عداءه الشديد له، وكان كالعهود السابقة، يبدى غطرسة وكبراء، وفي يوم الخميس الخامس من شهر تير (15 جمادى الأولى) دار حديث في المجلس حول مسأله، ووصفت النواب لخلعه من الوزارة.

والحدث الثالث هو إقامة الذكرى السنوية للسيد عبد الحميد والحاج السيد حسين وها من أوائل ضحايا الحربية، ولم ما كان يوم الثامن عشر من جمادى الأولى يوافق ذكرى مقتل السيد عبد الحميد، ويوم الثلاثين من جمادى الأولى يوافق ذكرى مقتل حاجي السيد حسين، لذا عزمت جمعية اتحاد الطلاب على إقامة مراسم فخمة تخليداً لذكراهما في الثامن عشر من جمادى الأولى (8 تير)، واستعدوا لهذا الأمر منذ عدة أيام، حيث غطوا شاهد قبر السيد عبد الحميد في مسجد الجامعة بقطع القماش السوداء وباقات الورد، كما غطوا ساحة المسجد بقطع
القماش السوداء، وأعدوا مراسيم ختم القرآن والعزاء. ولما حل اليوم المحدد كان الآخرون يتظاهرون في جماعات ويتلونون المنازل على طريقة المسلمين، ثم يضعون بقات الزهور فوق قبر الامام في بلاد الرافدين، ثم يخرجون من البوابات الأخرى. كما جاءت جماعات من لواء الشيراز وقوات حرس الحدود لوضع بقات الزهور ثم رحلته. وفي نهاية اليوم، اجتمع هناك جميع الوزراء مع العلماء ونواب المجلس وغيرهم، وزاد التجمع حيث امتلت أسطح المنازل، وفي البداية، تلى القرآن ثم اعتلى الحاج الشيخ محمد الوعظ المنبر، وقص حكاية إطلاق الرصاصات على السيد عبد الحميد بالنحو الذي شاهده نفسه، قصته على طريقة قراءة الروضة وأبكي الأهالي. بعد ذلك قدم تلاميذ المدارس بملابس الحداد بينيرس السوداء وهم يشدون، وقامت كل جماعة منهم في دورها بإلقاء خطبة أمام الامام، ثم قاموا بوضع بقات الزهور ثم رحلوا. وأثناء رحلتهم كانت النساء تتم باللقاء الأزهر فوقع رؤوسهم من فوق الأسطح.

بعد ذلك قدم مددبو جمعيات طهران لوضع بقات الزهور ثم خرجوا. وألقى السيد جمال الوعظ وملك المكلمين وغيرهما الخطاب، وظلت الجلسة متعددة حتى قبل العشاء بنصف الساعة واستمر ذهب الأهالي وإيابهم إلى هذا المكان حتى مرور ثلاث ساعات من الليل، وقامت طهران ليلة بديعة.

وأتت هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها إقامة مراسيم العزاء في إيران وفقاً للأسلوبين الإيراني والأوروبي، وسوف نرى أن هذا المكان كان ضمن الانتقادات التي أبداه المحاربون في حضرتهم الشاه عبد العظيم نجاح المطالبين بالحياة النبوية. هذا وقد دونوا أشعارًا في صحيفة جمعية تبريز وكانت تتلى في هذه الجلسة أمام السيد عبد الحميد، ونوردها في هذا المقام:

- منذ ذلك اليوم الذي خلعت فيه الرداء عن دار الفناء، تخلينا عن أرواحنا ولم نتخلى عن دمك.
- كل قطرة دماء سالت من جسدك، حملناها ومزجناها بدماء قلوبنا.
كل ما أخفوه ولم يتفوهوا به في طريق الوطن، نقرؤنا به ودوناه على قارعة الطريق.

حمداً لله أتتنا لم نمت ونشاهدنا اخضار كل بذرة بذرناها منذ حين.

على ذكرى تلك اللحظة التي واريناك فيها التراب، نضع باقة الزهور على مزارك.

في نفس الأيام ازدادت الشكاوى من حاجي آقا محسن، وفي جلسة الرابع عشر من شهر تير (٢٤ جمادي الأولی) تلقت في المجلس برقمية وصلت من العراق، مفادها:

"لقد دخل صمصم المالك – المسؤول عن تحرك حاجي آقا محسن- المدينة، وقال أن يقوم بأمر أرسل حاجي آقاهحسن الأشرار وغلقوا الحوانيت، والبارحة اشتعلت جماعة بإطلاق الرصاص من فوق أسطح الأسواق، وسلموا المدينة الأمن والأمان، فلتبادروا بعلاج الأمر." (جمعية العراق المحلية)

وأدى هذا الحادث إلى قيام بعض النواب بتقديم الأتراك. حقيقة أن حبل الأتراك وخدعه كانت شائعة في ذلك العهد، وكان كل شخص يعلم أن نشوب الفتنة وإراق الدماء في هذه الناحية أو تلك من الدولة لم تكن تتوقف إلا بتحريض منه، وقد شاع هذا الحديث منذ فترة وكتبت صحيفة الحبل المتين مقالات مهمة في هذا الشأن، حيث قالت:

"إن الدولة كانت تعيش في آمان حتى شهر مضى، وكان مؤيد الاستبداد عاجزين، لكن الفتنة نشبت خلال هذا الشهر في العديد من أطراف الدولة، ويشاهد مؤيد الاستبداد وقد صاروا أكثر جرأة وقوة."
وقامت الصحيفة بإحصاء الفتن التي نشبت، ثم تساعلت:

"حسنًا، ما الذي حدث في هذا الشهر؟... هل تغيرت هيئة النواب؟... هل قدم شخص جديد؟..."

وتركت الإجابة على هذه الاستفسارات في قريحة القراء.

لقد كان الأتراك يسعون قدر طاقته للتحكم في الأمور، وكان مؤيدوها يحاولون قدر طاقتهم التستر على الأمور، سواء في المجلس أو في غيره من الأماكن، لكن الحقيقة لم تعتمد مستترًا، وكان لزماً أن تظهر إن جلًا أم عاجلًا، وازدادت نسبة من يشكون وظائفهم بعد يوم، وبلغ الأمر اليوم أن أداروا الحديث في المجلس بشأنه، وأطلقوا عليه علامة لفظ "الخائن".

تدوين لائحة المعتصمين:

والآن نعود ثانية إلى قصة المعتصمين. فكما ذكرنا، أنهم أرسلوا البرقيات بداية إلى المدن، ولم يأتوا بإملاءات في نتيجة فقد ظلوا على حالتهم تلك. هذا وقد أقاموا مجلسًا دينيًا عجيبًا، وكان الحاج الشيخ فضل الله يؤمهم للصلاة كل ليلة في الساحة ثم يعتلى المنبر ويقوم بدح الحياة النباتية والمجلس.

وقد رغبوا أثناء ذلك في توزيع المنتشرات بين الأهالي، لكن ما من مطعمة في طهران واقتضى على طباعة تلك المنتشرات، لذا لاجأوا في البداية إلى تدوينها بخط جيد وطبعوا نسخًا منها ووزعوا بين الأهالي. لكن بدأ واضحاً أن هذا الأمر يستلزم الكثير من النفقات، فاضطرروا إلى إنشاء مطبعة خاصة بهم، وقاموا بشراء الحجر الخاص بذلك مع المعدات اللازمة من السيد مرتضى برغاني بمبلغ مائة وثلاثين طومان، وحملوا تلك المعدات ليلاً إلى حضرة الشيخ عبد العظيم وقاموا بعملهم هناك، وهذا ما أوجد افتتاحًا في عملهم، وفي أواخر شهر تب تأبوا بالانتهاء.
من إعداد اللوائح الخاصة بهم، وتوجد نسخ عديدة منها لدينا، وقد كتبت بخط جميل بعضها بخط المستقل والآخر بخط النسخ وت fertطعهما (1).

إنهُم لم يستطيعوا تدوين صحيفة، أو لم يكونوا راغبين في ذلك، إذا أطلقوا على كتاباتهم اسم "اللائحة"، وأخرجوها على نحو آخر، فلم يسقون الحدث فيها حول أكثر من موضوع مثلما تفعل الصحف، واختصت كل لائحة بموضوع محدد. على سبيل المثال، اختصة إحداهما بمطالبهم التي انحصرت في ثلاثة أمور، واختصت أخرى بما ورد على لسان حاجي الشيخ فضل الله من أفكار وانتقادات موجهة إلى المجلس، واختصت ثالثة بما ورد على لسان السيد أحمد طباطبائي حول بواعث إعراضه عن النيابة، واختصت رابعة بنشر برقيات آخوند خراساني وحاجي الشيخ مازنداني إلى المجلس التي قامت الصحف بنشرها (وهي نفس البرقية التي أوردناها)، وكانوا يعلقون عليها بقولهم:

"نحن كذلك نريد مجلسا بالشروط التي ذكرها المجتهدان، لكن المجلس الموجود حاليا لا يتوفر فيه هذه الشروط." 

ودار نقاش في إحدى هذه اللوائح حول البرقية التي أرسلها آخوند خراساني وحاجي الشيخ فضل المازنداني بوساطة حاجي الشيخ فضل الله إلى المجلس، ويقول حاجي الشيخ فضل الله أنه قد أرسلها إلى رئيس المجلس قبل خروجه من طهران، ونتيجة لانعدام وجود هذه البرقية في أي موضوع آخر، فإننا نوردها في هذا المقام:

"من النجف الأشرف، بوساطة جناب حجة الإسلام النوري دامت بركاته، إلى مجلس الشورى الوطني المجلد شيد الله تعالى أركانه، إن البند الشريف الأبدى" 

(1) قام ميرزا محمد علي خان تربيت بنشرها في كتاب فتح نصف إيران كما ترجيها البوسسور بيدور براون إلى الإنجليز، وقيل إن هذه اللوائح صدرت حتى العدد التاسع عشر، لكن هذا يخالف الواقع حيث إن أعدادها تفوق هذا الرقم. لقد دونوها بداية بخط المستقل ووضعا التاريخ أو العدد على بعض منها، هذا وقد رأيت بعض هذه اللوائح حتى العدد (16)، وقيل إن الكاتب تغير بعد ذلك، ودونت هذه المرة بخط النسخ، بدأ الإحصاء من جديد واستمر حتى العدد (19).
الذي أدرج في الدستور بموجب الأنباء الواردة، وكذلك قانونية البنود السياسية وما
أشبه بتوقيع موافقتها للشريعة المطهرة، وهي من أهم البنود اللازمة والحافظة
الإسلامية لهذا الأساس. ولما اعتنمت زنادقة العصر الفرصة لإقصاد الحرية ونشر
الزنادقة والإلحان، وأساؤوا إلى هذا الأساس القوي، لذا يلزم أن يُدرج بند آخر
للرد على هؤلاء الزنادقة وتنفيذ أحكام الله عز اسمه، ولعدم شيوخ المنكرات. هذا
وقد عرض أتباع الله تعالى النتيجة المرجوة على المجلس المبجل، وأدخلوا اليأس
في قلوب الفرقة الضالة، ولن تحدث أي مشاكل بإذن الله تعالى.

(الأحقر محمد كاظم الخراساني، الأحقر عبد الله
المزندراني، في السابع من جمادى الأولى)

ولم تكن هذه البرقية محظى افتقاء، فكما ذكرنا من قبل، لم يسي الأخوند
وحاجي الشيخ النزن في البداية حاجي الشيخ فضل الله، وكان يبدوا هذا التضامن
معه وهما بعيدان، وكتبت هذه البرقية من هذا المنطلق. إنهما كانا يسيحان بشتى
الطرق لإعراض الأهل على الحياة النبوية، وكانا يطلقان على المطالبين بها في
كل مكان اسم "البابية" و"الطبية" وكانا يوضحان أن رغبتهما هي "نشر مذهبهم" أو
"التحرر من قيد الدين"، وإثارة عامة الشعب قاما بذكره بالحرية والمساواة التي
تم منحها إلى اليهود، كما قاما باختلاق بعض الأكاذيب الخبيثة. والأكثر من هذا
أنهما تعيقوا الصحفيين، وكانا يشككين لهم، والكلام الذي لم نجده قط في صحف تلك
الفترة قد كتباه باسمهما، وكل شيء وصل حديثا من أوروبا وشاع بين الأهللين
كفرات وجعلوا بندقته. وصفة عامة، فذا كله يوضح أنهما كانا يسكون طريق
الإجاح والتعدى والتحجج بالمعانير وكان الباعث على أعمالهما هو مصلحتهما
الشخصية أكثر من أي شيء آخر. ومن الأفضل أن يرى القراء بعض تلك اللوائح
وبقراها حتى يعلموا أي الأشياء كانا يريدان وأية معانير تسركوا بها، وبأية
عناوين لا جدوى منها كانا يبدوان صمودهما وتمدهما إزاء مساعي الأحرار
الحماسية.

وكما ذكرنا أنهم دونوا العديد من اللوائح بخط التسليط الجميل.

154
الاحتفال بفرضان الحكم النيابي:

أثناء ذلك، ونظرًا لاقتراب يوم الأربعين، اقترحت دار الشرور أن يكون ذلك اليوم عيدًا تحت مسمى "الذكرى الأولى للحكم النيابي"، وأن تقام الاحتفالات في ذلك اليوم في أرجاء إيران كافة، وأرسلت مقترحها هذا بريًا إلى كل الأرجاء، قام الأهالي بدورهم بالإعداد للاحتفال، وفي طهران نفسها أقاموا حفلًا عظيمًا، وقامت الجمعيات وغيرها بالإعداد لهذا الأمر، وسعى أهل طهران أكثر من غيرهم، فخلال تلك الفترة كان يوجد ما يقرب من أربعين جمعية في طهران، وقد شكلوا لجنة لهذا الأمر، واختار أقا ميرزا محسن كذلك من قبل المجلس، وفي البداية أعدوا حجرة أمام الباب الرئيسي للمجلس لجلوس السيدين وعيسى من العلماء، وعلى جانبه أعدوا حجارة لجلوس الوزراء والنواب من خارج المدينة، ثم قسموا الجانبين أمام المجلس بين الجمعيات وأعدوا لكل منها حجرة بارزة، كما أعدوا للأرمن واليهود والزرادشت لكل منهم حجرة خاصة. فضلاً عن ذلك، أعد كل من صدر السلطنة ومشير الدولة ومعين السلطان - وكانت منازلهم قريبة من ذلك المكان - حجرة، كما أعد ظل السلطان - الذي كان ي/book/مل المطالبين بالحكم النيابي منذ فترة - حجرة أمام منزله، وذهب جماعة للاستقبال، كما أعدت حجرة لكل إدارة حكومية في كل مكان، ولم يضمنوا في كل حجرة أعدوها بحولتها بتزيينها وبسط الفرش الثمين فيها ووضع باقات الزهور وتعليق المصاصيح، وأقاموا في كل حجرة جهازًا منفصلًا للاستقبال، وشوهدت هذه المساعي من الأهالي في أقل حركة.

وفي الثاني من مرداد (14 جمادى الآخرة) بدأت الاحتفالات واستمرت يومين بليتمهما. وذلك الرجل الأذربيجاني العاقل الذي ذكرنا أنه دُون رسالة إلى حاجي مهدى أبا قد امتدح في رسالته تلك هذا الحفل، وسُوف أورد بعضًا مما قاله في هذا المقام:

"لقد زينوا المكان أمام قصر بهارستان - وهو ميدان فضيج - بإعداد الحجارة وتعليق الزينات والمصابيح والورود وفرش البسط الثمينة، وكانت هناك ثمانين حجرة كل منها تختص بإحدى جمعيات طهران أو أحد التجار، وجعلوا
يُستقبلون الوفدين بفخامة بالغة، ويقدمون إليهم أنواع الشراب والليمون والفاكهة والحلوى، وكان امتداد الألعاب النارية الحديثة الصنع يكفي لاستقبال الأهالي بمشاهدة تها على مدى ساعتين. كما أُعدوا الحجارة في صحن باربستان وعلقوا الزينات والمصابيح ووزعوا الحلوى والفاكهة، وكان مقهى باربستان وكأنه صورة فوتوغرافية لنجلة العلا.

وحضر سفراء الدول الأجنبية بموجب دعوات رسمية، كذلك حضر تلاميذ المدارس في جمعات واحتفالات الوزارة والعظام ورجال الدولة ونواب المجلس بالاستقبال. وفضلًا على باربستان وميدانه والمكان الواقع أمامه، فرش ظل السلطان البسيط أمام منزله، ومسافة عدة آلاف قد من اليمن ومن اليسار، كما علق المصابيح وقامت زوجته بتزيين واجهة المنزل والحلي والجزر والأسطح وتعليم المصابيح.

وأما ما أردنا الحديث عن ذلك الاحتفال من حيث الكم والكيف فلن يوجد في هذه العملية الحسابية مكان لخانات الأحاد والعشرات والمائات، فقل عدد وأناشد في هذا الشأن يقدر بالآلاف. على سبيل المثال، يجدر بنا القول بأنهم علقوا في باربستان ألف مصيب بالآلاف من المصابيح المضيئة، وفي كل شارع من شوارع باربستان تم وضع ألف مقعد وألف منضدة، كان يوجد في كل حجرة ألف مصيب مضيء على الأقل، كان يستهلك عدة آلاف من زجاجات الشراب والليمون كل بضعة ساعات، وبلغت نفقات هذا الاحتفال ما يربو على العشرين ألف طومان، وارتفعت صيحة "تحيا الحياة الليبية" دفعة واحدة من أسلية خمسة آلاف شخص.

ولما كان السادة حجاج الإسلام وكذلك القهاء حاضرين، فقد تم منع الموسيقى وألات الطررب، وفي المقابل كان لدينا نغمات عذبة الألحان أجمل من كل النغمات، حيث كان الأهالي يصطفون كافة دون استثناء وهم يصبحون "تحيا الحياة الليبية". وكان من العسير على السيد عبد الله السيد محمد والسيد جمال أسفه اى وسائر العلماء أن يجلسوا في كل حجرة لتقدم التهاني، بل كانوا يقفون أمام الحجرات وتقدم الجمعيات التهاني لهم.
وفي الليلة التالية تبادل أعضاء الجمعيات والتجار الزوار بما بينهم وكان آهالي أنترباجان قد أعدوا حجرتين، وكانوا يمتازون عن غيرهم في أن مصابيحهم وأزهارهم وكتيباتهم كانت قرمزيّة اللون.

كان هذا في طهران، وفي تبرييز أعدوا كذلك لهذا الاحتفال منذ ثلاثة أيام، فقد زينوا بمنبر الجمعية وسوق صفي وما حوله، كما رفعوا الأعلام في السوق، وقام كل شخص بتزيين المكان بقدر استطاعته. ولما حل يوم الرابع عشر تجمع العلماء والرؤساء في الجمعية وأقاموا الاحتفالات العظيمة. ومن غد يوم الخميس، تحركت أفواج المجاهدين من كل ضاحية، وكان كل فوج يتجه نحو الجمعية بملابسهم وعلاماتهم المميزة، وكان العلماء والسادات والرؤساء في المقدمة، يليهم المدرسيون ومن ي تكون الأرض بأقدامهم تصبحهم الأعلام والفرق الموسيقية. كان كل فريق يأتي ويمضى في دوره، كما حضر الناس زرافات زرافات، وكانوا يعودون بعد تناول الشاي والحلوى. وقدم الأرمن في جماعة، وتلا البارون هامازاسب خطبة نيةة عنهم، كما تحدث كل من صاحب الشيخ على أصغر وأقامير هاشم.

وعلى هذا النحو انتهى الاحتفال والاستقبال بتلك الحفاوة البالغة.

ومن الأعمال الطيبة التي وقعت في طهران في تلك الأونة والتي تظهر قدر الأحرار، أنه في اللحظات الأخيرة من يوم الجمعية الثالث من مرداد (15 جمادى الآخرة) تجهت جماعة تتألف من نواب الجمعيات ودار الشورى بالمظلات والأعلام إلى تكية الدولة وتنوا للخطب هناك فوق ثرى مظهر الدين شاه ووضعوا باقات الزهور على قبره، وطلبوا له المغفرة والرحمة نظرًا لكونه "ملك الحكم النبائي".

إحدى لوائح المعتصم:

أما المعتصمون فكانوا حتى الآن في أماكنهم يصدرون اللوائح، ولما كانت هناك لائحة من بينها تتفق غيرها من حيث الأهمية، فقد أصدرواها في نفس هذه الأيام (6 مرداد - 18 جمادى الآخرة) لذا نوردها في هذا المقام:
إن شرح أهداف السيد الحاج الشيخ فضل الله وسائر المهاجرين إلى الزاوية المقدسة من العلماء العظام وغيرهم أنه قد تسرح إلى مملكتنا في العام الماضي حديث من قبل الغرب يفيد بأن كل حكومة تتعامل فيها الملك والوزراء والحكم وفق أهوائهم مع الرعاية فإن تلك الحكومة هي منبع الظلم والتعدى والتطاول، والمملكة التي يفتح فيها أبواب الظلم والتعدي والتطاول لا تجد طريقها إلى العمران، ويزداد فيها أسوأ الرعاية وسوء حال الأمال حتى يزول عنها الاستقلال تمامًا وتتبع في أجنحة الحيوانات أكلة البشر. وقالوا إن عاجل هذا المرض العضال المفتي هو أن يجمع الناس ويطلبوا الملك بتغيير السلطة التي تسير حسب الأهواء، وأن يقرروا مهام الدولة والخدمات الدبئية وواجبات البلاط بحيث لا تتجاوز سلوك الملك وأفعاله وكذلك طبقات خدمه وحشمه هذه القوانين في أي وقت قط، وأن يتم تنفيذ هذه القرارات عن طريق إنسان من الرعاية يتسمون بالعقل والأمانة والصحة ويوقع الشاه عليها وينشرونها في المملكة. وقالوا إن اسم ذلك الحكم السائر حسب الأهواء بلغة هذا العصر هو "الحكم الاستبدادي"، أما اسم هذا الحكم بهذه القرارات، فهو "الحكم النيابي"، واسم وضعي القرارات هو "النواب أو المبعوثين"، واسم مقر مباحثاتهم هو "مجلس الشورى الوطني"، واسم قرارته هو "القانون" واسم الكتب الذي يدونون فيه هذه القرارات هو "اللائحة".

إذا أدرك العلماء العظام وحجج الإسلام هذا التقرير وذلك النظام إدراكًا تمامًا وتألقوا مع بعضهم البعض ويتلون المقالات، فإنهم يقررون جميعهم على أن هذا الخراب الذي لحق بململكة إيران إنما هو نابع من عدم وجود القانون وعدم محاسبة الدولة. ولابد أن ي التعليم مجلس الشورى الوطني الدولة بأن مهام الوكالات الحكومية محددة وأن تصرفاتها محدودة، حتى يلحق التوفيق بحمد الله تعالى بالمملكة المرحوم، وتحمد مساعي العلماء العظام، وينفي مجلس دار الشورى الإسلامية الكبرى، ويشكر صاحب الجلالة ملك الملوك خذ الله سلطاته بالسعادة لما يبذله في هذا المجال.

إذن فإن عنوان الحديث ومبدأ المشاورات هو عدم وجود قوانين في الدوائر الحكومية، وتتحصر حاجتنا نحن شعب إيران في وضع الأصول والقوانين لواجبات
البلاط والمعاملات الديوانية، وبعد ذلك، بمجرد أن تبدأ مباحثات المجلس وتطرح فيها الشؤون المتعلقة بالحكم النبوي وحدوده تظهر أثناء الحديث والمناقشة أمور لم يتوقعها أحد، وتصبر أساسًا لحظة رؤساء رجال الدين وأئمة الجماعة وكافة المقدسين والمتكينين وحيرتهم.

ومن تلك الجملة التي دونت في المنشور الملكي فقد منحنا مجلس الشوري الوطني الإسلامي ضعاع لحفظ الإسلام، وفعننا أيضًا، ولهذه الفترة سند صحيح، وهذا مشهور ومعروف وقائمه نص الحاجة إليه.

والأمر الآخر أنه في أثناء صدور الأمر بالحكم النبوي من قبل صاحب الجلالة ملك عالم الألف العصر المقدس أدام الله ظله الممدود في المجلس وفي حضور ما يربو على آلاف شخص، قالوا صراحة: نحن لا نريد الشريعة.

والامر الثالث رأيناه جميعًا مرأى العين ولا نزال نراه، وهو أنه منذ بداية افتتاح هذا المجلس تحركت جمعة من اللامبالين الملحدين ممن عرفوا مسبقًا باسم البابية، وكذلك أشخاص ممن أكروا الشريعة وكانوا اعتقادهم في الطبيعة، وألقوا بالأحجار حتى الأفلاك ودقو الصدور وتعاركوا مع خلق الله.

والامر الرابع هو ظهور الصحف والمنشورات السرية والتي استقبل معظمها على سب العلماء والطعن في أحكام الإسلام وما ينبغي أن يسلك في هذه الشريعة، وغيروا من فروعها على أنهم يجعلونها على نحو أفضل وأناس، وذلك القوانين التي كانت قد وضعها منذ ألف وثلاثمائة عام كان ينبغي أن تكون موافقة للأوضاع الراهنة ومقتضيات العصر من قبيل إبادة المساجد وانتشار بيوت الفاحشة وافتتاح مدارس تربية النساء وأخرى لتعليم الفتيات، وصرف موارد قراءة الروضة وزيارة الأمكن المقدسة والسعي في إنشاء المصانع وتعبيد الطرق والشارع ومد السكك الحديدية واستيراد المنتجات الأجنبية، ومن قبل الاستهلاك المسلمون قالوا بأنهم يسلمون أمرهم إلى سيف أبي الفضل وإلى رأس الصراب المستقيم، كما قالوا إن أفكار الرسول المختار وافعه كانت نتصاعد والعباد
باشم - من بخار طعام البدو كلين الناقة وفحم الضب وأن فلاسفة أوروبا اليوم هم أعلم وأعقل وأعظم من الأنباء والمرسلين. ونستدير باشم، لقد أطلقوا على الإمام ابن الحسن - عجل الله تعالى فرجه - اسم الإمام الموبوء، واستخدموا صفحات القرآن الكريم في أوراق لعب الميسر، ومزقو الصفحات التي تشمل على لفظ الجلالة في فناء مجلس الشورى، وكتبا أن أهل إيران الجهال ينفقون في العام عشرة ملايين طومان، مقابل أن يحضروا قليلاً من الماء - ماء زمزم - وقيدًا من الثرى - من المقبرة - ولو لم يكن هؤلاء القوم متوحشين براءة لما قتلوا كل تلك الأغنياء والبر ما انتهى إلى أمثال ذلك في إنشاء الكبارى وتعبيد الطريق. هذا وينبغي أن تكون جميع الدول على قدم المساواة وأن تسوى أهل الذمة مع المسلمين في الدم، وأن يختطفوا معًا ويتم التزاوج بينهم (تحيا المساواة).

الأمر الخامس هو ظهور تلك الفوضى في أرجاء المملكة وعدم الألماء والاضطراب، وتنوع سلف الدماء والإغارة وإثارة اللفت والمصادم في شتى البياع والانتشار التخصص والتنافس والعداء بين أهل المدنيات الكبرى، خاصة تلك الأحداث التي وقعت في أذربيجان وعلى حدودها، وتلك المذاهب التي تمت في كرمانشاه وفارس وحدود نهاوند وغيرها.

والامر السادس هو تجرؤ طبقات الشعب في القيام بأعمال الفسق والفجور والمنكرات، وما كنا نحن وأنت معا في طهران، فسوف أسألكم عن طهران فقط إلى أي حد بلغ ضعف عقيدة الأهالي وإزداد التهريج والجروة منذ أن شاع في هذه المدينة اسم الحرية؟ هل مر بسمعكم خط أن بهودي مارس اللواط مع طفل مسلم؟ أسألوا صالح عن هذا اللوطي. هل رأيتم خط أن بهودي اعتدى على فتاة مسلمة على روح الأشهادة؟ لقد رأيتم جميعًا في هذا العام وعرفتم أن الذاكرين والوعاظ يقولون إن مجالس قراءة الروضة وتكايا العزاء واهتمام الناس بهذه العادات - وهي من شعائر الشيعة - كأن يتعطل ويترك. هل انظروكم مثل هذه السنة؟ هل مر بسمعكم خط أن أحد قال أو كتب أو نشر أن الألوهية هي الحكم النبي؟ لقد
قالوا كلمة الكفر. هل سمعتم قط في الألف والثلاثمائة ونيف هذه التي مرت من عمر الإسلام - أي الله أنصهور - أن صورة أحد المجددين في الدين في عداد كليتي وعلم الهدى ومحقق وشهدين، وقد رسموها بشكل دابة تحمل حملاً وشهراءً به.

والأمر السابع هو عدم الإشارة إلى التاريخ الهجري كما يجري في بلاد الكفر. لقد أقاموا في البلاد الإسلامية المائتين ومجلس ختم القرآن طبقًا لأوامر الإفرنج، وتم قراءة الفاتحة على الصديقة الطاهرة - سلام الله عليها - في المسجد الجديد عاصمة الإسلام بوضع أكاليل الزهور كما يفعل الأوروبيون، ويضعون المناديل المطرزة بالمسك على سواهد مجامع الأطفال المسلمين، وتدخل طائفة الزرادشت بيت الله، ويقرون الفاتحة في ذلك المجلس ومعهم الأجانب وعبداً باريس، ويجه إلى ذلك المجلس أرباب العالمين وكبار رجال الشرع طوغًا أو كرهاً.1

1. يا أتباع الدين الإسلامي، هل رأيتَ مجلسًا ختم القرآن على هذا النحو؟ هل مرسَبُكما أو شاهدتم قط اجتماع رؤساء رجال الدين في مجلس يحضره نساء الإفرنج وحضورون معهن في الزحام على الرغم من إسلاميتهم؟ وذلك السوق الليلي، والدق بالطبول للتهجية، وتلك الألعاب النارية، وقذور السفراء، وتلك العادات الأجنبية، وتلك الزيزات، وتلك الكتب التي تدعو بالحياة (تحيا المسافرة) و(تحيا الأخوة) 2.

كنتم تريدون أن تكتبوا شيئاً آخر، (تحيا الشريعة)، (بيّنا القرآن)، (بيّنا الإسلام). حقيقة، لقد أثيرت عين خاتم الأنبياء، وسُر خاطر خاتم الأوصياء، قررت الأعيين وسرت الأفراح، نسماكم أيها المسلمين، يا أهل طهران، بالقرآن المجيد، بأمير المؤمنين يبيد الشهداء وبابام الزمان - أرواحنا لهم فداء - لو أن رسولكم كان حاضراً الآن، ورأى تلك الجلية، ماذا كان يقول؟ هل كان يقوم بالعنام أم بتجديد التهاني؟ هل كان يقول: ما أبهى ذلك الحفل الذي أقتموه من أجل المجلس؟ ألم

---

1. في مراسم ختم القرآن في الذكرى السنوية للسيد عبد الحليم وال الحاج السيد حسن.
2. في احتفال الذكرى السنوية للحياة النبوية.
كان يقول: ما أجمل مراسم الختم التي عقدتها من أجل الإسلام!! هل كان يقول:
تجي الحياة النبئية؟ أم كان يقول: أهذا تخليلون محمدًا في أمتي؟!!

"لهم أنعم على مجلس الشورى الوطنى الإسلامي عود الكفار." 

ويعلم من قبل مجلس المهاجرين إلى الله إلى الجماعة المطالبة بالحرية: إذا
قمتم بآلاف من الأعمال الحمقي، فإن تصلوا إلى نتيجة قط، ولن يأتي السحر
بالمجازات، ولن نخضع لضعف الإسلام وحرف الأحكام ما دامت الروح في
الجثمان.

وثمث أمور أخرى تشبه ذلك، بل هي أكثر من ذلك، فهذا الطفل الذي بلغ
عمره الأول سلك طريق مائة عام، لكن يخشى تذكارها وإحصاءها.

والآن نطرح سؤالًا على الأخوة الذين طهرت نفوذهم وعلى أبناء دينا من
الإيرانيين: هل حدثت هذه الفتنة العجيبة وهذه المفاسد العظيمة في هذه المملكة أم
لا؟ وهل هذه الحوادث الخاصة قد وقعت بعد تأسيس هذا الوضع الجديد أم لا؟ نحن
نحترم المجالس، ولا نقول إن هذه الشرور وذلك المفاسد حلت بسببه أو إنها وليده،
إنها مولودة معه. ومع وجود مجلس دار الشورى الإسلامية الكبرى، ونظرًا لأن
كل شخص لا علم ولا دراية له بشؤون العصر وأوضاعه، فينبغي علينا أن نشرح
له السبب والدليل وفق التكليف، لأنهم قالوا: حينما تظهر البعد على العالم أن يظهر
علمه.

(إخواننا في الدين) لقد ظهرت في عصرنا هذا فرق أكردت الأديان بشكل
قطعي، كما أنكرت الحدود والحقوق، ولهذ الفرق - على تفاوت أعراضها -
أسماء شتى مثل: (الفوضويون)، (المحويون)، (الاشتراكيون)، (الطبيعون)
والبابيون) ولهما نشاط ملحوظ وقهرة في إثارة الفتنة ونشر الفساد، وباستثناء ما
تعرضوا عليه من تدريبات في يثورون الفتنة والاضطرابات أيهما كابنوا، ومنذ
أعوام، ظهرت الفرقتان الأخريتان في إيران وأفرادهما كالمثاليين مشغولون
بالوسومة والسرقة وخداع العوام الأصل من الأئمة، إحداها تسمى بالبابية
والإخري تدعى الطبيعية.
وهاتان الفرقتان تختلفان في الاسم وتتفقان في حقيقتيهما ومقصديهما:

الأساسي حول إيران، وتهديفان إلى أمرين عظيمين، أولهما: تغيير الدين. والآخر: تبديل نظام الحكم. وفي هذه الفترة دخل أفراد من هاتين الفرقتين إلى المجلس النباوي وسيطروا عليه، وهم يعوقون بشكل جاد إسلامية المجلس النباوي الإيراني، ويريدون أن يجعلوا منهما ما يشبه برلمان باريس، هذا وقد وقع الشيخ الحاج فضل الله طرفًا لهذه الجماعة دون إرادة منه، وأدى ذلك إلى أن سبوع ونمور في الصحف والمنشورات السرية ومن فوق المنابر، ونبحت عليه كلاب جهنم، ولا شك أن البابية يخافون ولذلك فقد صمد البعض أمام هاتين الفرقتين النجستين لتطهير المجلس، وإن يقصروا - بموافقة من الله - وإن يضروا في بذل الأرواح والأموال في هذا السبيل حتى يحققوا أهداف جميع علماء المذهب الجعفرى من العرب والعجم، وبذلك يوفروا بجميع هذه التكاليف الحتمية، ولا يهددون هذه الحضرة بفترة السفارة والأركان، ولا يتلقون الأموال الباهظة من إحدى السفارات أو من إحدى الدول أو غير ذلك، إلا فكل شخص يعلم أن خراسان أكبر من قاين، وأن وزارة الحرية أهم من حكومة سيستان، وأن أعضاء المجلس هم أبناء الشعب، وهذه البقية وهي محض افتقاء وقبض لا تلبق من أبناء الشعب، و مثل هذا الخلاف مع القسم والخبائنة للأعضاء يوجب العزل من عضوية المجلس بإثناء الأشخاص الذين لا علم لهم، وهم الأكثرون.

والخلاص، إن جميع هذه المفاسد ظهرت من هنا حيث إن المجلس النباوي مختلف فقط بشؤون البارط والحكومة والدويل وبالبلط الذي يديره وفق هواه، والمجلس يصدر القوانين التي يحد بها من حكم الملك والحكومة، ويست طرق الظلم والتعدي والتطاول، واليوم نراه وقد أحضروا الكتب الخاصة بقوانين البرلمان الأوروبي إلى المجلس، وإذا مس ت حاجته توسعوا في هذه القوانين غافلين عن أن شعوب أوروبا لم يكن لها شريعة مدونة، لذا قاموا بتوبيق لائحة لكل موضوع ونفروها في حينه. أما نحن أهل الإسلام فلنا شريعة سماوية خالدة لا تقبل النسخ لما
لها من قوة وثبات وأصالة. وقررت هذه الشريعة الحكم في كل موضوع، وعينت التكليف في كل موقع، إذن فاجهة إيران تتحصر في سن قانون خاص بالشيوخ الملكية يسن من قبل أحد العلماء وفقاً للشريعة، ويتم تنفيذه على الدولة والساحة فيها.

نعم بعد صحة الحضارات مؤسس مجلس من حجج الإسلام وسائر المسلمين اتضح أن كل هذه المفاسم التي ظهرت كانت من جراء طبقات وادي أعداء الدين والدولة، وما طائفة البيبة وطائفة الطبيعية. وقد وضع القرار الحاسم الخاص بالحيلولة دون تصرفات اللادينيين في هذا الأساس المثير، ودون القرار الخاص بمنع تدخل مثل هذه الفرق الفاسدة وتماشي عدد بنود في اللائحة الأساسية للمجلس. في أحد هذه البنود كتب كلمة الشريعة بعد كلمة النبابة، وثمة بد أخر يختص ببراعة اللوائح والقوانين الخاصة بالمجلس مع الشرع المقدس، ومراعاة هيئة تتألف من عدول المجتهدين في كل عصر في المجلس النبي والسيش، ومراعاة العبارة التي دومنا وأضيفت إلى بنود اللائحة، والذين يكون لمجلس الشوري نفسه، أي حق في التدخل في تعين تلك الهيئة من عدول المجتهدين ويكون اختيار تلك الهيئة من قبل العلماء مرجع التقليد في كل عصر.

وثمة بد آخر يختص بالوقوف في وجه الفرق الملحمة خاصة المرتكبين عن الدين كفرة البيبة وما أشبه. وقد أمر أبوهود ملا محمد كاظم بإضافة هذا البنود وحكمه معلوم، ولابد من إطاعته، خاصة تلك الفرق التي أدرجت في اللائحة والخاصة بتنفيذ الأحكام الشرعية تجاه الفرق البيبة وسائر الزنادة والملاحة.

وثمة أمر آخر وهو أنهم حينما دونوا لائحة مجلس الأساسي وفق قوانين تتعارض مع ديننا، فقد عرض بعض ما كان متبايناً مع ديننا في حضور جميع حجج الإسلام، وكان ينبغي أن يضاف هذه البنود بنفست الإصلاحات والتصحيحات التي أمرها الجميع على ألا يلحق بها أي تغيير، ولنورد مثلًا على هذه التصحيحات حتى يعلم جميع إخوانا في الدين ما الذي وقع في أول الأمر وما آل إليه بعد ذلك.
من بين ذلك أنهم ترجموا بدلاً من القوانين الأجنبية يفيد بحرية الصحافة المطلوبة
(أي أن كل شخص لا تتهم مساعدة عن أي شيء يقوم بكتابته ونشره) وهذا القانون
لا يتفق وشريعتنا، لذا قام العلماء العظام بالتغري وصححهم، لأن نشر الكتب
الضالة وإشاعة الفاحشة أمر ممنوع في الدين الإسلامي. فليس لكان الحق في أن
يكون كتابًا يضع الناس به أو يفن فيه المسلمين أو يقول هراءً في حقهم ثم ينشره
ويقدمه إلى الناس، وعليه، فإن طبع كتب والتر الفرنسي - وجميعها في ذم الأنباء
عليهم السلام - وكتاب البيان لسيدنا محمد باب الشيرازى وكتابات الحاج ميرزا
حسين على تاكرى وكتابات أخيه وأبنائه - وهم كالإله والأنبياء والأنتمة للبابية
وذلك الصحف واللوائح التي تضم كثيرة وسبأ للعلماء المسلمين، هذا كله ممنوع
في قانون القرآن ومحرم دون شك.

إن هؤلاء الملاحدة يريدون فتح هذا الباب حتى يتمكنوا من القيام بهذه
الأعمال.

نعم، لم يكن للمهاجرين إلى هذه الازدواج المقدسة من هدف سوى تنفيذ هذه
الفقرات التي لم تدون سوى لحراسة الإسلام وحفظ شريعة خير الأنام عليه وعلى
آلنا الصلاة والسلام.

وفي كل وقت كان النواب المبخلون يتحدثون عن الإسلام والتدين والثواب،
وممتعوا عن التعبير عن ضيقهم من هذه البنود الأربعة ونقبلوها، ولن يكون لأحد
العلماء حديث معهم في هذا الشأن، سوف يصبح المجلس النبي الإبرامي جديراً
بأن يلقب بـ "المقدس" وبأن يدعو له الداعون بقولهم "سيد الله أركانه".
"إن فالأ ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد".

الصراع على الحدود مع الدولة العثمانية:
في خضم هذه الأحداث وقعت أزمة سياسية لإيران على حدود أذربيجان
كما وقعت بعض الأحداث الأخرى. وكيفية ذلك أن العثمانيين دخلاً أراضي إيران
بحجة النزاع على الحدود، ولم ي تركوا الأكراد آمنين، وكانوا يحثونهم على الفتنة
وأعمال الإغارة والسلب والنهب، لذا ومنذ فترة، كانت الفتن وعدم الاستقرار يعمان المنطقة حول أرومي، وقام الأكراد كذلك بانتفاضة بالقرب من ساووجاغلاغ، لذا نشب القتال فيما حول أرومي مع العثمانيين.

وقد بدأ هذا الحدث مع العثمانيين منذ عامين، وتقدمت فرقة من جيوشه من ناحية العراق تجاه بيشت كوه، وتقدمت فرقة أخرى من ناحية كردستان تجاه أذربايجان، وكان ذلك في غضون عام 1284 ق (1283 هـ). وفي بيشت كوه قام الوالي هناك بالقتل ولم يحل شيئاً. وفي أذربايجان وصل جيش من تبريز وقام بمنعهم، لكن أثناء ذلك قام نواب من الروس والإنجليز بالوساطة في طهران وإسطنبول، ونتيجة ذلك اقترح أن تشكل لجنة في الحدود من نواب إيران والعثمانيين مع وجود نواب من كلفا الدولتين الاستقلاليتين، وتم التباحث في ذلك.

كان هذا يحدث بينما كان السيدان وآخرينهما في صدام وصراع مع عين الدولة في طهران بطالبين بالحكم الفيالي، وكان احتشام السلطة يبدأ تأبيدها لهم، ولم كان عين الدولة يريد أن يبعده عن طهران، انتهى هذا الحادث فأرسله إلى كردستان لتمثيل إيران، وظل احتشام السلطة هناك فترة طويلة لكنه لم يحصل على نتيجة.

وعاد إلى طهران.

من ناحية أخرى، أثار العثمانيون الأكراد القاطنين على الحدود كي يدفعوا إلى المناطق العامة ويقوموا بأعمال السلب والقتل، ولم يترك الأكراد - الذين كانوا راغبين في مثل هذه الأعمال دومًا - الفرصة تغلب من أيديهم، خاصة وأن نتيجة الحركة المطالبة بالحرية هي وقوع العداء بين الحكومة والدولة، لذا ضعف الأمن وانعدمت الطمأنينة.

ومنذ شهر تبر أخذت الشكاوى تتوالى من أرومي وسار جبلاغ إلى جمعية تبريز ومجلس الشورى، وفي أرومي قام مجد السلطة - أحد القادة هناك - بجمع الجيش بعلم من جمعية تبريز، وأرسلت الجمعية الأسلحة والآلات إليه. ولما لم يذكر اسم تركيا، وما حدث كان يحدث باسم إغارة الأكراد، لم يهتم كثيراً بالحدث وتهانوه في تعامله مع الأمر.

وخرج مجد السلطة مع الجيش الذي أعده من المدينة، وأقام حياماً على بعد
عِدة فراسخ، وفي فترة قليلة أبدع المغيرين ونشر الأمن، لكن في فجر التاسع من مركب (21 جمادى الآخرة) ظهرت فجأة الجيوش العثمانية على قمم الجبال والتلات، وقاموا دون إنذار بالقصف بالمدافع والرصاص، ولم يصدق مجد السلطنة أنها الجيوش العثمانية وكان يظن أن الأكراد هم الذين قاموا ثانية بالقتال، وأصدر أمر القتال من هذا المنطلق وحاول منعهم.

لكن لما وصلت رصاصات المدافع وصار مؤكدًا أنها الجيوش العثمانية ولما لم يصدر مجد السلطنة أمر القتال معهم، ولم يكونوا في تكافؤ من حيث عدد الجيوش والآلات الحربية، أرسل شخصًا إلى القائد العثماني يفيد بأننا لسنا في حالة حرب محكم. فأجاب: "لكننا لم نأت إلا لمحاربكم، وينبغي الآن كما يقولون إن تجمع جندكم خلف ساكنين وتعودوا إلى المدينة.

فتح مجد السلطنة بوق العودة، واتجه إلى المدينة خجلاً، وظل في هذه الحرب عدد كبير من الجند، وسالت خيام ومعدات كثيرة، وما اضطرب الجند ولحقت بهم الهزيمة عادوا إلى المدينة، وكان هذا باعتباره استياء الناس.

من ناحية أخرى، وجد الأكراد الميدان مفتوحًا أمامهم وازدادوا جرأة في أعمال السلب والنهب، فكان يرتفع أعين المظلومين كل يوم في ناحية، وكانت النساء والأطفال يأتون إلى المدينة باكين نائحين، وكان إسماعيل آقا شكاك (سيمكو) أحد القائمين بأعمال الإغارة تلك، يلث يديه بدماء الأبرياء اعتناقاً لمثل أخيه جعفر آقا، وكان البعض ممن يسكن القرية فيما حول أرومي من الشيعة والبعض الآخر من الأشوريين، ولم كان الأكراد يعانون الطائفين كثيرون بسبب المذهب، كان يرثون الدماء فيها دون ورع قط. فضلاً عن ذلك، كان العثمانيون يحرونهم، وكان العديد من هؤلاء الأكراد من الأراضي العثمانية. وتقول جمعية أرومي في برقبة لها كانت قد أرسلتها إلى جمعية نبريز بعد عدة أيام من هزيمة مجد السلطنة: "... قد أغير على جميع قرى المدينة، ونهبت ذخائر المعسكر وأسلحته، وبوجود الآن ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين قتيلاً من المسلمين ولا تستطيع دفن
جئت إخوتنا خارج المدينة، وجميع أهالي المدينة مضطربون، ونحن لا نعلم الليلة إذا كنا سنحيا أم لا! فجميع المسلمين ينتظرون الموت والقتل... ولم يبق مكان في القرى دون أعمال القتل والإغارة فيه....

وكما رأينا، كانت الفتنة وعدم الأمن في هذه الأيام فيما حول سارجيلاغ أيضًا، وقد تقدم الأكراد العشائنيون من هذه الناحية، وقاموا بأعمال القتل والإغارة في تلك المناطق. وأبلغت جمعيتا تبريز وأرومي دار الشورى بكيفية ما حدث، ولما كان اليأس من محمد علي ميرزا والأتراك دار حديث في هذا الشأن في جلسات دار الشورى يومي الحادي عشر والثاني عشر من شهر مرداد، وأبدى النواب ثورتهم وحماستهم. وانتهز البعض الحادث وتحدثوا عن الأتراك وعن عدم مبالائه، واقترح البعض وجوب منع الزيارة إلى العراق عقبًا على هذا التصرف من قبل العشائنيين، وأن يكتب إلى العلماء في النجف كي يهاجروا من هناك ويأتوا إلى إيران. وقال أحد النواب: "إنهم قدموا من بوابة آذریاباد، ونحن نمضي من بوابة العراق، وهذا هو حكمه.

واقترح السيد بهبهاني أن يبرقوا إلى السلطان العشائني أولاً، وبعد ذلك إذا لم تكن هناك نتيجة، يقومون هم بالعمل. لكن لم تتم الموافقة على هذا الاقتراح، وألح المجلس على أن يرسل جيش، لكن محمد علي ميرزا لم يكترث ولم يفعل أكثر من أنه جعل فرمان فرماً واليًا على آذریاباد، كي يمضي إلى هناك وبحاول البحث عن حل. وكانت ولاية فرمان فرماً على آذریاباد منذ عهد بعيد لكن جمعية تبريز لم ترتض ذلك وأبدت مقاومتها، وانتهت الفرصة في تلك الأثناء وأظهرت تلك الثنية.

وفي يوم السبت الثامن عشر من شهر مرداد (٣٠ جمادى الآخرة) حيث كانت البرقيات الشاكية تسأل ثانية من أرومي ودار حديث حول ذلك في المجلس، قال فرمان فرماً:

"لقد جئت وأخذت الإذن من المجلس وأمضي رسولًا."
كان يقول كذلك إنهم أرسلوا الأوامر برقيًا في تلك الأيام إلى فرسان آذربايجان وجدناه كي يستعدوا ويتوجهوا إلى أرومي. ولهذا الحديث أخذ غضب أعضاء المجلس.

وللحق إنه اتجه مسرعًا إلى آذربايجان، وفي الثلاثين من شهر مرداد (12
رجب) دخل تبريز، ولم تستطع جمعية الولاية والأحرار عن استقباله مع عدم الرضا الذي كان لديهم من ولايته، لكن لم يظهر دليل على إرسال الجيش إلى أرومي، ولما كان محمد على ميرزا غير راغب في ذلك في داخله لم يستطع فرمان فرما فعل شيء.

ومن أرومي كانوا يستغيثون مطالبين بالإنصاف، وانتهى الأمر في دار الشورى إلى أن قال بعض النواب:

"إما أن تقوم الدولة بالحل وتمتع الأعداء وإما أن نتحدث بوضوح حتى يفكر الأهالي أنفسهم في الحل."

كان مثل هذا النوع من المناقشات الحادّة يدور كثيرًا، لكن لم تشاهد أية نتيجة، ولم يكتب محمد على ميرزا عن التصلب والعناد في حادث مثل هذا، وكان يتذرع بقوله:

"لقد بدنا المبادرات مع الحكومة العثمانية وسوف ننهي الأمر بالتشاور."

كشف النقاب عن خدع الأتراك:

بدأ فرمان فرما بمسلك جيد في آذربايجان مع كل الخشية التي كانت لهم من سوء سلوكه، وأظهر نفسه من مؤيدي الحكم النيابي، ولم يساهم في أي عمل يكون باعتِا لأذى الأحرار، ولكن في هذه الأيام وقع حادث في خوئي كشف النقاب دفعة واحدة عن سوء طويعة الأتراك. 
وقد أوردنا قصة إقبال السلطنة ومظالم أكراد ماكو في تلك النواحي، وكما ذكرنا، اختار الأتراك إجلال الملك من قبل الحكومة حيث مضى إليه في ماكو، وأعاده عن مسلكه هذا بالنقاش، ولم لم تر جمعية الولاية حال أخر، جعلت بصحبته آفا نقى ممثلاً عنها، وذهبها إلى ماكو وقابلأ إقبال السلطنة وتباحثا معه، لكنهما عادا دون الوصول إلى نتيجة.

في تلك الأيام وقع هناك حادث أخر، وهو أنهم أرسلوا من خويا طائفة من المجاهدين مع الجنود لرعاية القرى هناك، وأغار الأكراد عليهم فجأة وقتلوا بعضًا منهم وتشتت البقاون، وأشاروا على قريتي كلوانس وزور أوا، ولم يكروا عن القيام بأعمال القتل والإغارة، وفر الفلاحون المسكان، ووصلوا إلى المدينة، وقد أثيرت وقع هذا الحادث على أهلاء خوي، ومضاي حاجي حيدر خان أمير طمان - الذي كان هو نفسه قادة الحكومة وصاحب قرية زور أوا - من المدينة إلى هناك حتى يشكل قوة مرة أخرى من الجند والمجاهدين ويشابه مع الأكراد، وعلم إقبال السلطنة بهبه، فأرسل إليه يقول:

"إني أقوم بهذه الأعمال بأمر من الأتراك.

أرسل أمير طمان البرقية إلى المدينة لدى الحاكم كي يحققوا بشأنها في مكتب البرق، وأثارت هذه البرقية المجاهدين في المدينة، وانتهت جماعة منهم إلى مكتب البرق واجتمعوا فيه، واستفسروا عن رئيس البرق، وكان الرئيس لا يبغي رد، وعيل صبر البعض وقاموا بجلبة، وأثناء ذلك انتقلت رصاصات المسدسات فجأة وقتل أحد الأحرار وجرح اثنان، كما جرح رئيس البرق(1)، وبهذه الضجة أخذوا نسخة البرقية، وتحركوا من حقيقة الحال، وها نحن نوردها فيما يلي:

"إلى جميل أمراء العظام إقبال السلطنة زيد مجد، لقد وصلت برقيك...

فيما يختص ببعض المفسدين... وينبغي أن تعلموا أولاً أن خدمائكم تحت النظر على الدوام، ونحن نحن لكم كمال المحجة، وإنني لأتوجب من تلك الأفعال الوحشية،

(1) ذكرت جريدة الجبل المتين أنه قتل.
فقد أكدت على إجلال الملك وعلى الحكومة أن يلاحظوا هذه المسائل، وأن يعدلوا من إجراءاتهم، وأن يتجرحوا نظامًا يراعي فيه راحته، وقد عين حضرته المستعبث الأشرف الأقدم الأمير الأكرم فرمان فرماً دام إقباله لحكم أذربيجان وقيادتها، وسوف يتحركون خلال هذه الأيام، وقد قدم إليه نظام العمل في هذا الشأن، ورسلوا الجيوش والاستعدادات اللازمة، وإن شاء الله سوف ترفع بعض الأحداث وتوقف بعض الأحوال كلية، ولا ينبغي عليكم أن تناشوا من مثل هذه الأحداث، ولا ريب أن الدولة سوف تقوم ببعض الإجراءات في إصلاح أموركم، ولتطلمنا من كل ناحية، ونريغي أن تتشغلوا بالخدمة في تلك الحدود بكل الحماسة والخبرة.

(الأتياك)

ويضح من هذه البرقية أن جميع المذابح التي قام بها إقبال السلطنة وأكراده كانت برضا البلاط بل وتحريض منه، واضطراب مجاهر خورب كثيرًا من هذه البرقية، ولمما حصلوا على هذا السند القوى لم يكفوا عن مذمة الأتياك علانية، ولمما أرسلوا نسخة منه إلى تبريز تم طباعتها في جريدة الجمعية، قام الأحراز هنا أيضًا بحركة وثورة.

وقع هذا في الأيام التي كان ينتقل فيها فرمان ما بين طهران وتبريز، وكما ذكرنا، لما وصل إلى تبريز، فلم كان يبدع الأحراز من استياء تهج الأتياك وإقبال السلطنة في الأيام الأولى، ومع ما أبدوه من جليه وصخب، اضطر إلى المجن، لذا لم يقع سوء الظن به، وأرسل البرقية التالية كرها أو طوعًا إلى إقبال السلطنة:

من خواى إلى جناب إقبال السلطنة القائد العجيب، منذ أمرت بحكم أذربيجان وحضروا لم تصل ورقة أو برقية منكم قط، ولم تطلعنى أبدًا ما عملكم وماذا تفعل؟ ولم ترسل تقريرًا من وقائع الوزارة وسائر الحدود هناك، وألما أن كنت لأستعلم عن سلامه حاكم وأخطركم ضمنًا إنه بعد دخوله تبريز أوضحوا لي جانبًا من أخبار أهالي ماكو وجمعياتها التي هي باعت تحجي وحريتي، ولا أتصور
أبداً مع ما لكم من علم غزير في الوضع الحالي الذي تبدل فيه مزاج الولاية أن تظهر بعض الإجراءات التي سبب الخوف وتثير القلق والنفل. وعلى آية حال علينا أن تعلمنا برقيًا بأحداث أمور الولاية والوضع على الحدود وحقيقة هذه الأخبار مع الإجراءات التي قام بها حتى نعلم بها مسبقًا. وفيما يتعلق بالأمور الخاصة بأدومة فمن المحتم أن نعلم بلزوم عدد من الجند، ولا أعلم أنك خادم وقائد بين الدولتين، وفي مثل هذه الأوقات وهي أوقات مظلمة ووقت الخدمة وتحصيل الشهرة ترطمون إرسال خمسة فارس من فرسانكم إلى أروميا، وينبغي أن تؤدوا هذه الخدمة، وأمير الأمراء محمد باشا خان قادر فرقة ماكو مستعد، ولم يمض لأداء مهمته، وينبغي أن يحضر بالضرورة، وينبغي أن يسارق إلى أروميا باتفاق معك أو مع شخص أو اثنين من أصحاب المناصب المرموقة المحنين وينجز هذه الخدمة، ولنصرفوا بالرد على هذه الطلب برقيًا.

(فرمان فرما)

ولكن في ظل هذا النزاع الذي كان قائماً بين إقفال السلطنة وأهالي خويف وصلت إليه هذه البقية بعد شهر ونفي، وسوف نورد الرد الذي أرسل إقفال السلطنة في تلك الأثناء في موضعه، وفي هذا المقام ينوي أن نعود إلى طهران ونتحدث ثانية عن المعتمسين.

نتائج جهود المعتصم:

كما ذكرنا، لقد أعدوا هناك مطبعة حجرية وكانوا يكتبون اللوائح ويطبعونها ويرسلونها إلى كل مكان، ولم تبق هذه اللوائح دون تأثير، فكانت المناقشات بين الناس تدور، وأعيدت النقابة بتحجرون بها في المدن البعيدة، وكانت لائحة السادس من شهر مرضاد التي أوردناها دليلاً واضحًا على انتقاداتهم التي لا محل لها:

"افتتاح مدارس الفتيات، صرف موارد قراءة البوذة وتنقلات زيارة المشاهد المقدسة في إنشاء المصانع وتعبير الطرق والشوارع ومد السكك الحديدية واستيراد"
مستلزمات الثقافة والاستهزاء بالمسلمين في خضوعهم لسيف حضرة أبي الفضل
والصراب المستقيم... وغير ذلك من معاني وحجج كانوا يتخذونها لإبادة عدائهم
لإحدى الحركات العظيمة.

لكن لم تستطع هذه المعاني أن تكون عاملًا مؤثرًا في تلك الأيام، فكان
الناس يصدرون إزاء هذه الظنون، والمذهب الشيعي أسسه هذه المعتقدات. من
ناحية أخرى، فإن عدم الوفاق بين النيابية والدستور الأوروبي، وبين المذهب أو
الدين الذي يعتنقه الناس لم يكن موافقًا لإيجاد الحل. وكثيراً ما يرد في الصحف
الفارسية بهذه اللائحة، لكن إذا ما أردنا الحقيقة لم يكن هذا إلا نفاقًا وخذاً. نقول
ثانية: إذا لم يكن تأييد آخوند خراسانى وحجاج الشيخ مازندراني من النجف
لأطاحوا بالحكم النيابي، خاصة أن هذه الفتنة وهذا الفساد كانا مقتراً باضطراب
البلاد والعباد.

ومع التأييد الذي كان يبديه السيد اليازدي لهم، ومع ما كانت الدولة العثمانية
 vestibie له من مساعدة وتأييد عظيمين، فقد توزع لائحة شهر مرداد دار الحديث مرة
أخرى عنهم في المجلس، وقال النواب:

"على أقل تقدير يمنعون المطعمة".

وأقترح إلزام الوزير العلوم الذي كتب إلى حاكم طهران وأرسل
البعض للإثراء على المطعمة، إلا أن المعتصمين أبدوا صمودًا، ولمَ كان الشاه
يؤديهم خفية لم يتم انجاز أي شيء.

وكان الحاج الشيخ فضل الله أتباعه في استياء شديد لأنهم جعلوا آخوند
خراسانى مراقًا له، كانوا يسعون كثيرًا في هذا. على سبيل المثال كانوا يبررون
إلى آخوند خراسانى وغيره يقولون:

"إن المجلس الذي أمرتم به والذي أسسه الأمر المعروف والنهي عن
المكر ورفع الغين وحفظ بضعة الإسلام وتحقيق رفاهية العامة، نحن مطيعون له
وراغبون فيه، لكن المجلس القائم الآن ليس كما أمرتم.

هكذا كانوا يوضحون الطريق لهم بأنهم رجعوا عن تأييد دار الشورى
ويقولون إننا لم نطالب بمثل هذا المجلس. هذا المجلس الذي يوجد يخالف الذي نبغيه، ولكن أخوند وحاجي الشيخ أجابا بعد إطلاعهما على أسلوبهم وعملهم:

"نحن نبغي نفس المجلس الذي أقيم في بخارستان.".

ورد في إحدى الرسائل التي كتبها كاتب حاجي الشيخ فضل الله على لسانه إلى ابنه في التلف:\n
"واحسرتاه أن حجة الإسلام والمسلمين آية الله آقاي آخوند مد ظله العالى انصت في هذه الواقعة إلى كلام المغرضين وأراجيفهم ولم يأمر بالمساعدة في القضاء على الزناذقة والملحدين، ودفعهم إلى تشديد الشرع المبين، ونفس القسم الذي كان مقدمًا على كل هذه الشئون لم يكن على هذا في تلك الواقعة."

وكتب حاجي الشيخ فضل الله بخط يده:

"إن الأهداف الإسلامية بحمد الله تعالى عين من ينكرها، وهي على وشك الإنجاز... وأمل أن يكون جناب حجة الإسلام والمسلمين آقاي آخوند مستعدًا لرفع الشهبة عليهم."

ولما كان هذا دليلاً على مكانة الأخوند الجليلة وقولة ذلك المغرور له فقد ذكرنه ففي هذا المقام.

وفي رسالة أخرى كتب آقاي في تقدم أمره، يقول:

"تقدمت الأمور كثيرًا بحمد الله تعالى، فصدق حضرة المستطاب حجة الإسلام روحًا فدأه، وبنيته التي هي بلا غرض معلومة وواضحة لكل شخص، وقد قام المخالفون والمعارضون، الذين يقولون كلمة حق يراد بها بطل، بثورة عارمة في هذه الأيام عن طريق نشر لوحات الزاوية المقدسة ومطبوعاتها حتى تتم إثارة الآهالي.".

ونورد في هذا الموضوع لائحة أخرى عنهم تتضمن أحد أحاديث الشيخ على لاهيجى تم طبىها في الخامس والعشرين من شهير مرداد (745) وهي من الدلائل الجيدة التي تحتوي معاذيرهم وحجتهم الواهبة، وما تم نقده على صفحات

174
الجواند كان أغلبها من قبل الكذب ولم تكن مثل هذه الأشياء تتشر على صفحات
الجواند.

لاحة أخرى للمعتصمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

"إليك أعرض من رأي إخوتنا قاطنى طهران ومسلمي تلك المناطق يتضمن
إنكم تقسمون بحق الله الذي أنت به مؤمنون وله عابدون أن تطرحوا عن آذانكم
قطن الغفلة وأن تعنوا النظر في هذا البيان، إنه بناء على قوله تعالى: "وما
أرسلنا رسولاً إلا بلسان قومه» إن ذلك في مستوى فهم الناس قاطبة، وانتظروا إذا
كان ثمة أمة أولا على حق فمن قبل الإنصاف أن تصدروا هؤلاء المهاجرين إلى
حضرته عبد العظيم حتى يصدق عليهم قوله سبحانه: "المسلم من سلم المسلمون من يده
ولسانه". وحتى لا ت تعرضوا لسخط الله عليهم ونقول لكم جميعا بصوت جهوري يا
من تتورطون إلى نظام الخلق وما تتسع له الأفاق، وتعتمدون على البراهين العقلية
ولا تملكون إنكاراً لوجود الصانع عز وجل، وحتى من يعبدون الأصنام الذي جاء
فيهم قوله تعالى: "هؤلاء شفاؤنا عند الشكر". واعتقدوا أن أصنامهم تشفع لهم. عند
الله المنان، إنهم لا يعبدون رب السماوات والأرض الذي حدهم عنه نبيهم، وإنتم
تعلمون أن محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين، وتعزوم بخلافاته وأوصاهم الأمة
الثاني عشرية واعتقد أن هذا الإقرار لسانى وذلك الاعتقاد القلبى إيماناً تعمر به
قوربك وسببًا لنجاتكم، وتكبرت بمقتضى الآية الشريفة: "إذا المؤمنون أخوه»
فاعترتم من قبلكم من المؤمنين إخوة لكم في الإيمان، واعترتمن من قبيل العادة أن
تعقدوا الألفة معهم، وأن تزوروه وتنضيفوه، وتعسون في قضاء حاجتهم وتعودوا
مرضاهم وتشيعوا موتاه وتسعدوا أرواح آبائهم وأجدادهم وأمهاتهم بتلاوة آيات
الذكر الحكيم، واعترتم أن العلماء الأعلام ورواد الإسلام بناءً على قول النبى ﷺ:
"علماء أمتي كأنيباء بنى إسرائيل». ونظرًا لقوله: "إن العلماء ورثة الأنبياء".
اعتقدت أن مبرراتهم واجب الحزمة، وإذا ما تبينوا خطأ منهم كنتم تقولون: ليس للجاهل كلام مع العالم. وكل نقص ترونه تقولون من جهل: حول نظركم عنهم لتقطع النظر إليهم. وأدركم ووجب أن تكونوا في عونكم وأن تكرموهم بناء على توصيتهم: "من أكرم عالما فقد أكرمنى" وإذا ما انشقوا أن لحق الاضطراب في عمل من الأعمال فبناء على قوله: "الدنيا سجن المؤمن وجنء الكافر" تعزون أنفسكم. لذلك ينبغي أن تنظرنا مقدم الإمام كي يملاب الله الأرض قسطا وعدلًا بعدما امتلأت ظلمًا وجوهرًا، فظهور العدالة مقرون بظهور هذا الإمام ما الذي وقع بيننا وبينكم يا أصحاب هذه العقيدة سالفة الذكر في غضون هذه المدة القصيرة التي أشرتم إلى ونحن عنصرها، وما أن ارتفع صوت مجلس العدل معلنا ظلم الملوك وجوهر الطغيان طلبتم من الملك خلد الله ملكه أن يبسط سلطانه على جمع من النفس غير المغرضة والمدينة العالية لكن فقط فيما يتعلق بأمور الدولة الخاصة بأوضاع المعيشة التي ينبغي تسويتها وإصلاح ذات البين بينهما وبين الرعية.

وقد لوحظ فجأة أن الصفحة - ويفوق عددها الثمانيين - والرسائل والإعلانات جاءت من هنا وهناك وكلها مفوعة بكلام صغير وكثير وهراء باطل، وما كان منكم ضعفاء الإمام أن أقدمتم على قراءتها وصدقت ما ورد فيها بدلاً من رفعكم أفكار الدعاء وتلوثكم للقرآن صحيح مساء وإقامة مراسم التعزية في سبيل الشهداء. وقد كنتكم أتم أنفسكم قبل أعوام ثلاثة في مجلس قراءة الروضة بمسجد ميرزا موسى تلقون السمع إلى ما ورد على صفحات جريدة الحيل البديعة الصادرة في كل مقاطعة، وكان الآلاف من الأهالي يتحدثون لنحوًا عن الزيارة الخاصة لأهل العباد، وأحضروا حفنة من النور على أنها من تزامن وأنفقوا في طريق الحج، وعوضنا عن ذلك أحضروا ماء مالحًا أجاجًا تحت مسمى "ماء زمزم" وقد رفعتهم أصواتكم إلى عنان السماء بالنواح والنصب، وحقيقة الأمر أنكم من كثرة ما آسفت هذه الصحف تغيير حاكم غير الحال، وأظهرتم الرغبة في معاشرة الفرنج والمتفننين.
والطببيين والملاحة، وجالستهم اليهود والنصارى والمجوس وفرقة الساوية والضالة، وعليه أصبحت كم ينكرون الله والرسول والأوصياء والأئمة القرآنية والأحاديث النبوية، وقد تم خداعهم بهراء ووعود كاذبة قالتهم لهم الضالون الأربعة العابدين للدنيا فقد علقت بأمل عمان المملكة زيادة الثروة وحرية الرعية، وانصرفتم عن مؤسسة العلماء والأبرار والأخيار الأثرياء، وحجج الإسلام والداعين إلى إقامة شعائر الإسلام الذين افتقديهم بهم طوال حياتكم، بل ناصبتهم العداء، فقلت في نفس سبحان الله إن المشكلة تضاعفت، فأولًا كان ظهور هذه الصحف الممتلئة بالكفر في مدة قصيرة منذ بداية تشكيل المجلس الوطني، والمشكلة الأخرى، هي عودتهم إلى هؤلاء القوم الذين يصلون بالناس جماعة ويعرفون الحقائق ويسهرون ليالي الجمع في حضررة عبد العظيم. ومن الاعتقادات القلنية وما تجرى به الألسنة واتباع ما يقول به أهل الضالة في القول والفعل جاءني ها هذه غبيباً قائلًا: أيها المسكون المنزوى، لقد سرت بين الناس كأعمال الأصمع والأركم، وقيدت نفسك بقول أمير المؤمنين: تركت الدنيا الخسية شركاؤها وكثر عنها وقل بقاها. وكانت على الدوام تعتقد في صحة أفعال المؤمنين، وقد أنتظنت الناس من أذيي اليد والإنسان، ولعلكم غلتتم عن مكر الأشرار والفجور الذين أفسدوا الأسواق، وكل مجلس انعقد في تلك الأوقات ويجتمع فيه عشرة أشخاص يكون منهم أربعة من الطبيعيين، وواحد بابي، واثنان من المنتمرين وثلاثة من الشيعة الإثني عشرية، وهؤلاء جميعًا من الجهال أو العوام فمن يتبعون شهواتهم ولا يفرون إلا في إشباع بطولون ولا يدركون أي مغنى، فضلاً عن ذلك فهم لا يميزون بين الخير والشر. إذن ما يحدث من بعد لهذا المجلس الذي ينعقد باسم العدالة وعدد من فيه ثلاثمائة وثلاثون من النواب المنتخبين؟ ولا ريب أن هذا المجلس سيضم أمانًا من هؤلاء المعروفين، علوا على الجالسين في الحاشية كالأعمال الذين اشتروا رضا المخلوق بسخط الخالق، وباعوا الدنيا في هذه الأيام واشتروا آخرتهم بالدراهم والدنانير الحقيقة، وهؤلاء ظلوا أوعياء طوالا في انتظار يوم ما، وكانوا ينثرون بذور تهيئة المجال لذلك في أراضي إيران من قبل: إنشاء المدارس الحديثة
للأطفال، والتشبه بالإفرنج في ارتداء النظارة والقبعة والبزة ومسك عصا اليد، والبكاء بصوت والتبول على الجدران. من أجل هذا اجتمع المجلس الديني وجعل مثل هذه الصفح أدوات لعمله وألقاها بين المسلمين المستضعفين ونشرها وخدع معظم الأهالي الذين لا علم لهم بحقائق الأمور وردهم عن العقائد الأولية فيما يختص بالأيام والعلماء والأبرار وبث ذكر خبرهم الآن بالسوء والذنبة، وكتف هذه النتائج الخبيثة وتلك العواقب الوحشية عن زيف إيمانهم وكثرة حيلهم ومكرهم وخدعهم وكتبهم وفسوقتهم.

إخوتي في البلد، أين المجلس؟ أين المذهب؟ لقد توجهت إلى المجلس وحثت على تحديد أمور الدولة أو إعلان المذهب الذي يحرك هذه الصفح التي تجعل الناس يتلون المنابر للإفساد، وأجلست أربعة في أركان المجلس للتصديق على ذلك حتى يرفعوا أصولهم وجعلوا سائر الأهالي في ثورة وجلبة. ولو تسألني عن كفر تلك الصفح أقول: إن منا صحيفة الجيل المتين المذكورة في باب الزيارة الخامس لأل العباء وحجج بيت الله والمدد في ملفها الخاص بالعدد (183) قتل العثماني ذريعة للرحيل إلى أرض روم والزيارة، وقد أوقفوا الأهالي تحت مسمى تلقيت الزيارة، والأمر الآخر هو إعلان المجاهدين القوقيزيين الذي تم إرساله إلى طهران ومضى إلى النجف الأشرف كذلك، ومن هناك كتب العلماء إلى طهران وأدرج في جريدة المجلس العدد (143) حيث كتبوا أن دين الرسول صار مقدماً وأن الرسول وعيسي تلميذان لساعة أوروبا وعلمتهم، وتحدثوا في ذكر الرسول والإمام عن أعمال القتل والأسر ونهب الأموال. وننلقى السمع من بعد إلى هذه المزهوفات والمهاترات ولا تنقطعوا أكثر من هذا. وقالوا في صحيفة صور إسرائيل عن دين الرسول إنه لعبه، وذكروا في جريدة الكوكب الدرى أباءه وأجداده في أعمالهم وعاقبته عن أنهم بلاء حممق. وفي العدد (13) من جريدة العراق العمى ابتنوا مقر المجلس الديني في منزلة ثالية على الكعبة والبيت العتيق، بل وعدوا في بعض عباراتهم أشرف منها، وأمروا الأهالي بالتوجه إليه.
حتى عند الموت، وفي لاحتهم المعروفة اعتبروا أواخر النبي من أثر لحم الضب وبخادر بين الناقة وسفهوا دبح الأضحية ويبتاء الزكاة في كتاب طالبوف. كما ذكر فخر الإسلام في صحيفته أن زكاة الفطر ونذور الشمع في عاشوراء وسائر الصدقات شيء خارج عن القانون. واعتبروا في صحيفة الكوكب الديني أن تحصيل الديونة والفقهية مضيكة للعمر، وقالوا على الإنسان أن يعمل لرقي السياسة وزيادة الثروة، ولم يعلم هذا الأحمر أن أمر الرزق والأجل في يد الله، فما أكثر من عملوا على تدبير حفظ الرزق وجعله ولم يصلوا إلى شيء، وإذا ما وصلوا كان مع نهاية عمرهم، أو مع خروجهم عن الدين: «إنسان ليطفى إن رأه استغنى».

أيها المسلمون، نصوروا بإسنادكم هل يكون هذا توهينًا للعلم وتغريباً وتحتيرًا للأحكام الشرعية أم لا؟ كذلك أستهزأوا في صحيفته الكوكب الديني بسيف أبي الفضل وتشكروا في أحد المنشورات السريعة على إمام الزمام، وفي صحيفة نداء الوطن، اعتبروا ببوب الفتاح ووعوب الخمر شيئًا لا زمامًا لزيادة دخيل البلد وتعصيرة المنازل، وصوروا في صحيفة تجنيب علماء المذهب الجعفرى على هيئة حيوانات، كما أوردوا في صحيفة زشت وزببا صورة الرسول ﷺ والمملكة محمد على شاه في صحيفتين وقالوا إن الرسول مقتن سياق مثال العرب وخلفوا القرآن في كثير واتصلوا بكل جماعة نادت بالحرية والأخوة والمساواة حتى بث بهم الأمر بأصواتهم الوافقة هذه إلى أن لم يهودي طفلاً مسلمًا وتنشأ آخرين للناس العشائر، ومن جملة أعمالهم المساواة بين اليهود والنصاري والمجوس والمسلمين في الحدود.

بعد ذلك أقول لكم واحستم علىكم أيها المسلمون، حيث اعتبرتم قراءة هذه الصحف سبيلاً لرقيقكم وحسن إدراككم، وأقنتم عليها ما تنطلقون على زوجاتكم وأولادكم، حيث أظهراكم القراءة عن أهل الإسلام والعلماء إلى درجة وتفوقكم لم تكونوا معهم على مذهب واحد قط، وهؤلاء العلماء الذين كانوا حجة عليكم بعد
الغيرة الكبرى اتهمتهم بالآلاف العيون وأخذ الدراهم والدينار، وأطلق عليهم أعداء المجلس بالرغم من أن هذا المجلس يتألف بعض أعضاه من الأشرار، وعندما يحل الليل يدخلون منازل بعضهم البعض ويعضون ليتهم حتى الصباح في احتجاز الشراة وتضاعف جورهم على الجور الذي ساد في عهد الاستبداد، ففي زمن الاستبداد، إذا ما ظهر ملك ظالم، ظهر في الحال مائة ظالم آخر يتضاعف الر/share ويقومون بظواهر مختلفة، ويفك الناس جميعهم عن الكسب والعمل، والمعارض لمثل هذا النوع من المجلس يهمه بالإلحاد وإنكار ضروريات الدين كالصيام والصلاة والحج، لكن العلماء هم الذين تكون جميع عباراتهم ومعاملاتهم وعقودهم وأحكامهم، وعمرة دينهم من المهد إلى الله في أديهم وإذا كانت هذه العوائد والفتن من تأسيس هذا المجلس الوطني الذي اتخذه بعض المارقين والزناقة من طالبي الحرية مقرراً لهم بعد بوار تجارتهم وجعلوه شمعة يعلقون عليها عقائدهم الفاسدة وأفعالهم الشنيعة وجرحوا المحترمون من أهل العفة وطلاب الدين علنانية بحصا الظلم وأطاحوا بجميع العلماء والعوام، ولم كان غرضهم هو تخريب القوانين المحمدية فليهناء بها، والحال أن المجلس تأسس من أجل مطالب الدولة وليس من أجل الأمور الدينية، ولو يقولون الحقيقة، لم لا يترضون إدخال ثلاث أو أربع قرارات حول المسائل الشرعية في اللائحة الأساسية التي هي هدف حضرية حجة الإسلام النورى ويتوقيع علماء النجف الأشرف العظام براكاتهم؟ وتك تبريات العديدة التي أرسلتهم فلما أدرجت جميعها في اللائحة الأساسية والتي لا توضح هذه التهم عن هذه الجهة أو تلك (يريدون ليستنوا نور الله بأفواهم ويأمِن الله إلا أن يتم نورهم) ؛

أيها المسلمون، فتكونا منصفين، هل هؤلاء هم مخبرو المجلس أم أولئك الذين جدوا واجهوا منذ بداية تأسيس هذا الأساس العظيم - آلا وهو المجلس الوطني - وتحملوا مشقة لا نهاية لها من أجل إصلاح القوانين الخارجية لمجرد تهذيب المجلس وإبعاد عن النواحي الشرعية، وكتب في لائحته من قبل قاطبة.
المسلمين ووجب أن يكون هذا المجلس مستند من القانون المحمدي. وهناك أربعة من الزنايدة والطيعيين فهموا عكس ما يهدف بأن لهم الحرية المطلقة، ومارسوا عداؤهم مع هؤلاء العظام وهجروا يقومون بأعمال السب والقتل، وتعاونت مجموعة من أهل الإسلام الذين يؤمنون ظاهريًا وعادوا هؤلاء العظام حتى اضطروا إلى اللجوء إلى زاوية حضرة الشاه عبد العزيز المبارك، لبلغ خانكيم أن سلتم حساب اللسان وقائتم نواب تلك الحضرة في الوقت الذي يدعون فيه أنكم في عون إمام الزمان. حسبًا على دينكم وإيمانكم، لعلكم لا تعلمون أن الله لم يخل أرضًا قط من حجة، وكانت تلك الحجة هي الأنيبىاء أو الأوصياء، وبعد لكل رسول قانونًا في كتاب سماوى لأعمر المعاد وعاش العبد وبعد بقوانين القرآن - التي هي أكمل جميع القوانين السالفة - إلى رسولكم الذي هو أكمل جميع الأنيبىاء لأمه الذي هي أكمل جميع الأمم السابقة والتي ستنزل إلى يوم الدين، والحاجة غير ماسة لقوانين أوروبا وألمانيا، وإذا ما كان قانون هذا الرسول الخاتم ناقصًا فوجب عليه تعالى أن يبعث رسولًا من بعده بقانون آخر طالما أن حجته ناقصة، وجزاء سوء الآخرة ليس إلا بسبب الظلم، ونحن نرى أنه لم يرسل أحدًا من قانون تلك الحضرة كان قرطًا ثمينًا للأجانب حيث اقتبسوا منه قوانينهم الحالية، وبعد الأنيبىاء والأوصياء يحفظ العلماء دين الله وهم مكلفون بتابع أمر الموالي، ومأمورون بذلك القانون الذي وصل إليه أيضًا يدل إلى الناس ليصبحوا متقدين لهم. إن، لم أعترف الأمة تبدد على هؤلاء العلماء وتحريمن من شأنهم، وفي الوقت الذي أظهرت فيه المذاهب المختلفة الكثير من الفوضى والقتل الذي لا حصر لهما في معظم البلاد، نسيت دينكم وذهبكم وجلستم في هدوء تام، ولم تتمتعوا بعلماء الدين ولا بالمهاجرين المنتهين للدين الذين يعلنون من صوت محمد وقرآن الله.

يا أهل الإسلام، ألم يقل رسولكم: "إن إهانة العالم إهانة لي وإهانة إهانة الله والرد على العلماء رد على والرد على ردد على الله". لعلكم لا تعلمون أن الفساد قد
ظهر بسبب مخالفكم ولن يظهر العلماء أي خلل في الدين. وما أكثر من أنباء مرسلين وخلفاء راشدين وعلماء عظام رأوا في القتل حفاظًا للدين من جور المعاندين وركزوا من سهم وطمئنهم وعندهم.

يا متبعى الهوى والهوس، لم تبطلوا صوت العلماء الحق على مسامع العوام وتسقطنهم كالمشاطين تحت أقدام البلاء وتخفون مكاتبات العلماء ويرقيات السادة وحجج الإسلام من النجف الأشرف أو تبلدونها وتطعونها وتوقعون الأمر في الشبهات، وتقدمون الآيات والأخبار في المنابر والكتبات على صفقات الجرائد على أن معظمها من المهاجرين إلى الزاوية المقدسة وتقدون إسلامكم كبني أمية الذين أباحوا قتل سيد الشهداء بالآيات والأخبار، ولست في صدد ذلك حيث توقعون بعضنا من أهل المنبر المفسدين ومن الصحف الفاسدة لمدة أربعة أيام ولا تثابؤن هذه الجمعيات التي هي من أسباب اختلال أمور الناس، مما يشهد على المنبر العظيم هذا الأمر، ولا تسلكون في الحقيقة إلا قانون الأجانب، لعلكم لم تعلموا أن المجلس في إنجلترا مقصر على مجلس برلماني واحد وأنتم تقيمون مجلسًا في كل ضاحية من ضواحي طهران تحت اسم ما وشكل ما وتوفرون له سبيل الدخول.

يا أهل الإسلام، هل ليق بأي مملكة إسلامية وماك مسلم وعلماء مسلمين وقانون القرآن المحكم ينفذ فيهم جميعًا أن يقوم أربعة من الملاحة بإعمال خيالاتهم الفاسدة والعمل وفق قانون الأجانب!! والحال كذلك، فمع وجود خمسة عشر مليون مسلم لا شك سيسيطر النزاع والخلاف ولن تحد عاينة هذا الأمر مطلاقا، بعد ذلك فعلاوة على أنكم لا تملكون عقل الإيمان، ولا تملكون عقل المعاش كذلك تكفرون بنعمة الإسلام والممكن.

أيها الملاحة الذين تطعون بأهل الإسلام، لم لا تتضمن كما كان في السابق وتحلونو الملاحة من وجودكم المدمر وتقدون الوعود للأهالي بإتمام القوانين؟ هل تتخيرون أنكم تطعون أن تجعلوا من خمسة وعشرين مليون مسلم ملاحة؟! والله لم تذهب غير الإسلام حتى الآن، ولم يجد علماء طهران وسائر
البلاد المجال حتى يستطيعوا أن تنفذ الحرية المطلقة في بلاد الإسلام رغم قتالهم،
ولن يكون هذا القتال مشيداً لأمر المجلس وموجداً لمرادكم، فلتتركوا العامة يتحدون
وينظمون أمر هذا المجلس بالقانون المحمدي. تم الكلام والسلام على من اتبع
الهدى.

رغبة الأهالي في إقالة الآتابك:

في تلك الأثناء أضحت حكومة الآتابك في طهران بلا قيمة دفعة واحدة لدى
الأهالي الذين انشطت ألسنتهم بالمنامة، بل إن كثيرًا منهم كان يضم المجتمع لِبدائله
التاريخية للآتابك. وفي مساء يوم الأحد الثاني عشر من شهر مرداد (٢٤ جمادى
الأخيرة) تجمع حشد من المشاهدين في قلعة بارستان، وكانوا يتحدثون عن عدد
الأمان في البلاد وعدم ميلاتة الحكومة وخيرات المجتمع، وكان من بينهم بحبي ميرزا
الذي كان يعتبر من الأحرار، حيث تحدث علانية وتناول الكثير من أعضاء
المجلس بالقدح والذي، وكان نتاج أحاديثه أن خدع وزير الداخلية النواب بالأموال،
وبذلك لم يترك الأمر تسير في اتجاهها الصحيح. بعد ذلك وزع البعض رسالة
تكفير الآتابك - التي كانوا قد كتبوها إلى علماء النجف منذ أعوام - وقرأوها، ولم
يكلفوا عن المنامة بقدر استطاعتهم، وبعد هذه الأحاديث تم الاقتراح بأن يغلقوا
الأسواق من الغد، وتفرقوا بهذه الضجة ومضوا إلى ديارهم. وهذا دليل على أن
نقب الآتابك قد مرق.

وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر مرداد (٢٦ جمادى الآخرة) حيث
عقد المجلس ثانية، ذكر السيد محمد تقي - الذي كان يعرف بتأديبه للآتابك -
حديث تلك الليلة، وأورد أفواه بحبي ميرزا، وتحدث حديثًا مطلقاً حول وجب
عقاب أولئك الأشخاص الذين تعددوا على النواب، وتحدث معظم النواب حول هذا
الشأن وظهر الاضطراب بينهم، وطالبوا بأن يتم التحقق مع بحبي ميرزا وأخيه
سليمان ميرزا، قضى المجلس وقتاً طويلاً في هذا دون جدوى. وهنا علت
أصوات حادث آخر.
في غضون ذلك توالت البرقيات من أرومي مطالبة بالإنصاف الواحدة تلو الأخرى، فبعد هزيمة مجد السلطنة لم ير الأكراد المغيرون قاطنو الحدود مقاومة تتصدى لهم، فأغاروا على القرى. وفي قرى أرومي كان يوجد الأشوريون والسنيون والشيعة، وتم مراعاة الأكراد السنة فقط ولم يُكنو عن أعمال القتل والإغارة على غيرهم، هذا وقد ترك الفلاحون المساكين ديارهم ومزارعهم واتجهوا إلى المدينة باكين نائحين وهما مضطربين في الأحياء والضواحي.

وبالفعل القنصل الروسي باب القنصلية أمام الآشوريين تحت اسم المسيحية وسياسة الاسترضا ومنحهم الأموال والتموين. كما تعاطفت معهم كذلك قنصليتا أمريكا وإنجلترا. وكان يقال إنهم يظهرون الشكوى والاستياء إلى الحكومة العثمانية باسم حكوماتهم، وكان هذا باعتقدهل لتأدي المسلمين، قلّم لم تتم دولة برعايتهم ومعاونتهم؟ هذا وكانوا يدافعون في إرسال البرقيات إلى طهران بطلابون بالإنصاف، وأثارت هذه البرقيات حفيظة الأحرار، وقامت جماعات طهران - التي كانت كثيرة آنذاك - بحركة ثورة.

وفي يوم الخميس السادس عشر من شهر مرداد (29 غمادى الآخرة) تجمع النواب من إحدى وثلاثين جمعية في مكان واحد، وكتبوا رسالة إلى المجلس طالبوا فيها بأن يضغط على الحكومة في هذا الشأن.

وبعد ذلك، في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شهر مرداد (11 رجب) وقعت حركة وثورة أخرى في جميع آذربيجان، فلما وصلت برقية أهالي أرومي المطلوبة تجمع أهالي آذربيجان في مقر الجمعية وتوّلوا البرقية في البداية ثم تناشوا حولها. وقال إن الدولة كانت تدّى عدد مبالتها علنية. وقال أحدهم إنهم ردوا هائتين من وزارة الداخلية على تجار آذربيجان، وقالوا إن الدولة أصدرت أمرًا بأن يتجه الفرسان والجند في آذربيجان من كل صوب إلى أرومي لتشكل معسكر هناك، فقام الآخرون بجلبة قاتلين إن هذا كله محض افتراض الدولة لا تُصغي لنا، وتدريجيًا زادت الجلبة وبكى البعض، واشترقوا في النهاية أن يمضى الجميع إلى
المجلس ويتناقشوا حول إقالة الحكومة، واتجهوا بهذه الجلبة وذلك الاحتشاد إلى المجلس وبعد وصولهم، أسرع إليهم تقي زاده من قبل المجلس وكذلك ميرزا فضل على وحاجي إمام الجمعة لتهديتهم، لكن لم يبدأوا وقبل في النهاية إنهم سبتختارون خمسة من بينهم للمضي إلى المجلس والتبحث معهم كممثلين عنهم.

ولما مضى هؤلاء الخمسة إلى المجلس تحدث منهم صادق رحيموف، وكان صنبع الدولة يحاول تأييد الأئمة ويقدم الردود متحججًا بعدم وجود الأموال والجند، ثم بدأ الحديث مع وزير العلوم - حاجي مخبر السلطنة - الذي كان حاضرًا في المجلس، ولما كانت هذه المسألة مهمة فسوف نوردها في هذا الموضع:

رحيموف: إنني أتساءل من قبل هؤلاء الناس، هل وزير الداخلية هذا قد قبل مسؤولية النظام الداخلي أم لا؟
وزير العلوم: نعم، نحن الثمانية وزراء قد قبلا المسؤولية.
رحيموف: أنا أتحدث إلى الثمانية وزراء، لقد قبلكم المسؤولية بالشكل الذي تبغونه، فلأي سبب لا تنظمون ما بينكم؟
وزير العلوم: إنني أفعل قدر طاقتي ونقوم بما ينبغي السعي فيه.
رحيموف: إذن فمن المعلوم أنه لا يمكن انجاز أكثر من هذا من قبل الوزراء الثمانية فيما يختص بتنظيم الأمور، وعلى كل حال فلأننا أتحدث عن هؤلاء الناس وأقول إننا لستنا راضين بهذا القدر.
وزير العلوم: إن ليلة أنسنا هي تلك الليلة التي نقدم فيها استقالتنا، لكننا قلت في المجلس منذ عدة أيام إن ضميرنا يمنعنا من أن نتراعع في وقت راحتنا عن وقت عملنا، فضلًا عن أنني أعلم علم اليقين أن ذلك اليوم الذي نتراعع عن العهد فيه سيلحق القناة بدولة إيران.
رحبومف: إنما تقوله هذا من قبيل الظن.
وزير العلوم: لعل ما تقوله من كلام لا يرضي به سائر الشعب.
رحبومف: إنني أعرض كلامي على لسان الشعب، وفي حالة ما لم ينظموه الوزراء المسؤولون إدارتهم، أو لديهم ما يعوق ذلك، فإنا أنهم لا يريدون أن ينظموا فيما أنفسهم، وسوف نقبل هذا بكل الشكر والامتنان. وأقول من قبل الناس إذا ما نظم الوزراء إدارتهم وأزيلوا الفتنة في سائر الولايات منذ اليوم وحتى العشرة أيام المقبلة، منها، وإلا عليهم أن يستقيلوا ولن نقبل لهم عذرًا.
رئيس المجلس: حسنًا جدًا.
وزير العلوم: ولو أطل علينا شخص في اليوم الحادي عشر وهشم رأس شخص، ماذا ترون من الوزراء؟
رحبومف: سأعرض اسم من تخلى عن النظام وأقوم بنقده.
وإلى هنا انتهى الحوار، رأيت إلى أم حد كانت الوقاحة، ويتبين من حديث حاجي مخبر السلطة ومن الحجج التي كان يتجرع بها أنه رغم ضغوط الأهالي لم تكن الاستقالة في فكر الأتراك وأتباعه، وكانوا يريدون البقاء حتى القضاء على الحياة الدامية، ولما كان أثاث من الوزراء غانبين في تلك الأثناء حيث أقال المجلس وزير الحربة - كاميران ميرزا - بينما مضى وزير العدل - فرمان فرما - إلى أذربيجان لذا نشر على صفحات جريدة الحبل المتين الصادرة في طهران مقال مطول تحت عنوان "أزمة الوزارة"، وما كان عدم الرضا من قبل الأهالي ذهب ضعف معظمهم أن الحكومة تبحث أمر الإقالة. لكن هذا لم يكن إلا ظناً، واختار الأتراك شخصين آخرين لملء الأماكن الخالية، وكانوا يفكرون في حل للإبل من تحدي الغضب بين الأهالي، وبصفة عامة كانوا يفكرون على عكس ما
كان يفكر فيه الناس، فكان في فكرهم الصمود والضغوط. من ناحية أخرى - وكما سنرى - كان المجلس مؤداً له كأن معظم النواب - خاصة رئيس المجلس والسيد ، يزيد وعُرضهما - لم يقرون عن تأييده رغم ما كانوا يرونونه من خدعة.

نضجة أهالي أذربيجان لعداء الأتراك:

في نفس هذه الأثناء ظهر عداء واضح ضد الأتراك من قبل أذربيجان، فكما ذكرنا، اندفع ماجاهد خوي إلى مكتب البرق وحصلوا على برقية الأتراك الموجهة إلى إقبال السلطنة وأرسلوا نسخة منها إلى تبريز حتى يتم طبعها في جريدة الجمعية، وأدى ذلك إلى أن يبدى الأهالي عداءهم أكثر من ذي قبل تجاه الأتراك وبيستوا الآنسة في ذمه.

وفي نفس يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شهر مرداد، استدعى نواب الجمعية من أرومي إلى مكتب البرق حتى يعرضوا مشاكلهم، ولما انتهى الحديث، أرسلت الجمعية برقيه مؤثرة إلى المجلس ببتوا خلالها غلبة العثمانيين وإغارة الأكراد وتأذى الأهالي، ثم ذكرت الأتراك وكتبوا جملًا شديدة اللهجة.

من ناحية أخرى، فإن مجاهمد خوي كانوا قد تقدموا في رفع اللقب عن حيل الأتراك، وأرادوا أن يكون السبق لهم كذلك في عزله، خاصة في ذلك الوقت الذي كان يلحق فيه الأذى بقري خوي من قبل أكراد إقبال السلطنة. هذا وكتبوا لائحة مطولة وطبعوها وذموا فيها الأتراك بشدة (أو كما أطلق عليه في اللائحة: أمين السلطان) وأطلقوا عليه "خائن السلطان"، كما سموا نواب المجلس وأعربوا عن تأييدهم لبحيي ميرزا وسلمان ميرزا، وكتبوا في نهاية اللائحة:

"ينبغي أن يثيروا الشعب ويعدوا الوجود النحس لأمين السلطان من هذه الأراضي بثورة واحدة.

كما كتبوا:

"ستصل اليوم برقيات مثيرة من خوي، ومن الضروري أن يجتمع أهالي"
تبريز ويظهروا حميتها وخبرتهم، ويرسلوا البرقيات المؤكدة إلى طهران كي يخلعوا ذلك المسدود وتبدأ انتخابات جديدة، وسوف يقوم بعض هؤلاء النواب الذين أخطأوا في مقاتلهم بإقامة صرح الاستبداد من جديد، وإذا لم يعزلوا أمين السلطان هذه المرة من منصبه سيكون هناك عمل غير لائق لدفع نحس وجوده في ذلك الوقت.

كان هذا الحديث الشديد اللهجة من خوي مصدرًا للعجب، ولكن كما سنرى كان ميرزا جعفر زنجاني وأتباعه الذين قدموا من الوقاف يقيمون آذانًا في خوي أساسًا قويًا للمجاهدين، وهذه الكتابات عن لسانهم، وقد تجمعوا في نفس هذا اليوم في مكتب البرق، وأرسلوا البرقيات إلى تبريز والمدن الأخرى في نفس الخصوص وظلوا في مكتب البرق يأملون في النتيجة.

أما في تبريز فقد كان المجال مهيأًا لحركة بعد نشر برقية الأنابك إلى إقبال السلطنة وفي ليلة الثلاثاء الرابع من شهر شهر بروجر وكذلك في نهار ذلك اليوم ظهرت حركة وثورة بين المجاهدين، كان البعض يريد أن يتمدد على فرمان فرما الذي أرسله، وكانوا يعرفون أنه مندوب الأنابك وخشي فرمان فرما واستدعى بعض نواب الجمعية وتباحث معهم، وأظهر ميله الواضح إلى الحكم النبائي، ونتج عن ذلك أن أيدى ميرزا أغا الإسحقاني وغيره وهاوا من روع المجاهدين.

وبعد ذلك في يوم الأحد التاسع من شهر يور حيث كانت الجمعية منعقدة منذ الصباح وكان النواب يباحثن، وصلت رسالة من فرمان فرما بأن بمضة شخسان إليه، فاختار النواب حاجي محمد جعفر مولى و حاجي مير محمد على الإسحقاني ووجهوا بهما إليه. وقد توجها إليه، ثم عادا بعد نصف الساعة وأحضرا رسالة من فرمان فرما، مفادها:

"كما وصلت الأنباء إلى بأن الأحرار تجمعوا في مكتب البرق، وأبرقو إلى ستة أو سبعة أماكن كي يثيروا الأهلية ويستمليوهم إليه ويطلبوا عزل الأنابك".
ويقول:

"أنا لا أعلم هذا جيدًا في هذا الوقت، فهم يطلبون من الجمعية أن تبرق إلى خوّى وغيرها من الأماكن كي تتخلىض من هذه الحركة ولا يكونوا سببًا في إثارة البلاد.

ودار حديث حول هذه الرسالة بين النواب، وتلتبت لائحة أساليب خوّى الورداء.

حديثًا، وكانت رغبة فرمان تقول أن ينال التأليذ من الأتراك وأن يستملي إليه بعض النواب، لكن الآخرين لم يريدوا أن يكونوا أداة في أيديهم، لذا دار النقاش، لكن وسط هذه الأحوال، ندمت فرسان مكتب البرق في الجهرة وسلمه رسالة يقال إن رئيس البرق قد كتبها إلى ميرزا آغا Javascript تفيد بعزال الأتراك إلى الأبد.

وعلم أن الأتراك توفي أو قتل، واضطرب الجميع من سماع هذه الأنباء ولم يبق المجال ثانية للحديث، ثم وصلت برقات أخرى علم منها أن رغبة آمال خوّى قد عُفِّى من يدعى عباس آغا الصراح التبريز ولا أعجب مما أردة.

مقلب الأتراك:

كما ذكرنا، لم يكن الأتراك يفكر في النباح، فقد استدعي من أوروبا للإطاحة بالحكم النبائي، وفضلًا عن أن محمد علي ميرزا كان متقئًا مع روسيا في هذا الشأن، ولا ينبغي قط أن ينحى نفسه، فقد اختار وزرائنا لم يكونوا حاضرين وهما مستوفين الممالك وعلاو الملك كي يخلق محليها. أما الاستياء الذي أبداه الشعب ودار الحديث عنه مرارًا في المجلس فهو متعلق بأمرين، أولهما أن يؤمن البلاد والآخر هو النباح. وفروا معاً لذا أن يكونوا رسالة على لسان الوزراء إلى محمد علي شاه كي يعرفوا فيها عن تعاطفهم تجاه البلاد والمجلس والحكم النبائي وكتب الشاه كذلك رسالة تحمل البشري، وبصفة عامة فقد يؤخذ من الرسالة والرد عليها أن الذنب واقع على عاتق محمد علي شاه وإن كان الأتراك راغبًا في تقديم الأمور ويحاول استمالة محمد على ميرزا إلى جانبه، واتخذوا ذلك.
ذريعة لهم وزفوا البشرى ثانية إلى المجلس والشعب، وأبدوا حماستهم، وتقدموا في أعمالهم مرة أخرى بالنفاق والكذب، ولما كانوا يعرفون عن الإيرانيين سرعة التصديق والانخاذ كانوا يهملون لتحقيق خطتهم.

وفي مساء يوم الأحد الثامن من شهر شهريور (11 رجب)، كان المجلس منعقدًا، وكان السيدان هناك، وحضر الوزراء كذلك، وبعد أن تحدثوا قليلاً داخل الأتاك فخلف المنبر، وقال:

"بما أن هناك تغييراً وتعديلًا في هيئة الوزراء في هذه الأثناء، فقد يأتون أولاً اليوم لتقدمهما في المجلس، وقد انتخبوا جناب مستوفى المالك وزيراً للحرية وجناب علاء الملك وزيرًا للعدل. ثانياً: تشرفنا بالحضور أمام الشاه في جميع الشنون مع هيئة الوزراء وعرض كل ما تمس فيه الحالة إلى الإصلاح وصدرت بعض الأوامر التي ينبغي إطاعتها، لذا حضرنا في المجلس حتى نحيط النواب علمًا بمجريات الأمور، وصدر فرمان لتثبيت تنفيذ الحكم النيابي وإتمام الدستور وسائر القوانين حتى يقدم السيد النواب على إنجاز أعمال عظيمة ونؤكد إنهم سيتمكرون الدستور في القريب العاجل."

وبدلاًً من أن يرد النواب إزاء هذا الحديث الذي تسم بالخدام وعدم الحياء، قاتلين إذا فإن نساندك مرة أخرى، أبدوا رضاهم بحماقة، وأثنا عليه، وبعد ما قيل من حديث قرأ السيد محمد تقي الهراتی – الذي كان آداء من أدوات الأتاك – رسالة الوزراء (أو وقفة قبلهم عرضية الوزراء) التي أرسلها إلى الشاه مع رد الشاه عليها، وها نحن نوردها في هذا المقام:

"يقول الوزراء:

"نحن قراء الموظفي المقدس لملكك الشبيه بالجوهر، إذا مضطرون بموجب التعهد الذي أخذناه على أنفسنا في موطنك المقدس وأشهدنا القرآن عليه القيام بكل ما فيه صلاح الدولة ونعلم الذين الملكية المقدس، ونرى أن مصلحة المملكة والدولة والشعب هي مصلحة الملك، هذا نعرض عليكم أن اضطراب الخلق وقلق
العامة واحترام أوضاع المملكة لا يكون أكثر من هذا، وهم يطلبون تسويته الأمور من المجلس، وللمجلس الحق وفق ما منح إليه من قوانين في الدستور أن يرجع إلى الوزراء المسؤولين وينفذ قوانين الدستور بشكل قطعي وأن يقوم الوزراء بتنفيذ تلك القوانين بدعم الشاه وتأييده، ولا ريب أن هذا الملحظ عند الملك مبرهن على أنها تتقرر حتى صدور الأحكام وفق الدستور. إن شكوك المجلس لن تزل خوف الأهالي واحتلال الأمور، ولا شك في سوء العاقبة، ونحن على يقين من أن النيات المقدسة للشاه لا تتعارض مع العرائض التي تتطلب السعادة لهؤلاء الغلام. ونطلب نحن العبيد من أجل رفع تزاول دعائم الملك وتطبيق الخاطر المبارك للشاه أن يصدر أمرا ملكيا يؤكد على تنفيذ الدستور جديا حتى يرفع المحظور عن هؤلاء العبيد ونقوم بالخدمة دون إへの الملاحظات.

زيادة القدرة لا تملك الجرأة
فالأمر الأقدس الأعلى مطاع
ويكتب الشاه الأمر التالي:

"إلى جناب الأشراف الأتراك الأعظم، إن تنفيذ القوانين بدعم المجلس هو هدفي ومقصدي على الدوام، وتأتي هيئة الوزراء لإتمام ذلك ودوماً تأمر الوزراء بذلك وسوف نأمر أن يقوموا بالخدمات دون إزعاج وسوف يلزمنا تأكيد منا للوزراء ونكتب ذلك خاصة أن الوزراء يريدون الإسراع في تدوين الدستور من قبل المجلس وتنفيذته في أسرع وقت. شهر رجب 1325ق."

وبعد قراءة ما سبق اضطراب النواب، ولم تحذروا عن عدم الأمن أجاب الأتراك ب xu أمل أن هذا كله بسبب عدم وجود القوانين، فالقوانين التي دونت ووافق المجلس عليها تمحي جميعها، كذلك كما حدث في إحدى الجلسات منذ عدة أسابيع حيث ورد الحديث عن البنك الوطني وطالب أن ينتهاوا من ذلك سريعاً، وفي النهاية قال رئيس المجلس:

"أمل إن شاء الله تعالى في التربع العاجل أن يتم إصلاح الأمور واتخاذها
باتحد النواب وتعاونهم مع الوزراء."
واتهت الجلسة بهذه الجمل الخذعة، وصدق النواب سريعًا، ونهضوا من أماكنهم وهم يضحكون، ومضى الوزراء وعد من النواب إلى الطابق العلوي لتتناول الشاي والغليون حتى انتهت ساعات من الليل. ودع الآتاكب النواب بعدنها لسانيه ومكره، فكان يتحدث ويسمع ويضحك بلبbling مسرور ووجه منشرح، ولم يعلم أحد أنه كان يعيش آخر لحظات عمره وأن حياته تنتهى في اللحظة التي يجلس فيها هناك.

ولما انتهوا من تناول الشاي والغليون نزل الآتاكب مع السيد بهبهاني بمسك كل منهما بيد الآخر وسلكا الطريق وما يتحدثان حتى وصلا خارج بہارستان، وهناك طلب أحد المسؤولين المال من السيد بهبهاني ودفعه وسط وحدة على بعد خطاواتين أو ثلاثة، لكن الآتاكب كان لا يزال يخطو خطواته ويرتقب العربة التي ستقله وهي تتقرب منه، وفجأة قدم شاب من أمام الباب وأطلق عليه ثلاث رصاصات متتابعة من مسدس كان بيده وتمت إصابته، وأصابت رصاصة أخرى أحد السادة من المشاهدين وجرحته، وسقط الآتاكب على الأرض، ولهما أراد الجاني الفرار تعقبه أحد حرس المحاكم وضربه، لكن نظرًا للاضطراب ونظرًا لضيق الميدان أفرغ رصاصة عليه أصابته في قلبه وأردته قتيلاً في الحال، وكان الآتاكب لا يزال على قيد الحياة، ولم وضعوه في المركبة، وارادوا أن يحملوه إلى دار فاض رمته الأخير.

وأوصوا الآتاكب إلى داره لتغسيله وتكفيفه ثم أرسلوه إلى قم دفنه، لكن القاتل كان لا يزال ملقى على الأرض، ولم يعرف أحد عليه حتى خلعت الشرطة ملابسه وقامت بتغطیشها وأخرجت كارثًا من جيبه مدون عليه:

"عباس آغا صراف الأذربيجانى، عضو الجمعية رقم 41 فداء الشعب."

وعرف بعد ذلك أنه شاب في الثانوية والعشرين من عمره من أهالي تبريز ويدعى عباس آغا ووالده هو حاجي محمد، وكان يعمل في طهران بالصرافة وتعرف كثيرون عليه في السوق، وأحضروا جثمانه إلى فناء بهارستان وألقوه على الأرض ومكن هناك يومًا أو أكثر، ولم كان الكثيرون من أهالي طهران يجهلون
أمره كانت إدارة الشرطة تتعقب أولئك الذين كانوا يعرفونه أو يصادقونه، وظل جثمان ذلك الشاب القذاء على الأرض، ولم يستطع أحد الإقتراب منه حتى أنهت الشرطة التحقيق ثم حملوه بمذلة من الأرض وتوجها به إلى المقاير.

من كان عباس آقا؟ ولَم قام بهذا العمل؟

جدير بالذكر أنهم تحدثوا كثيرًا بحديث ث لطالت من وراضه عن مقتل الأتباك، ولا يزال البعض يقول: "ضرب يحيى ميرزا الأتباك، وأساءوا الأرن بآخر وأصابت رصاصة عباس آقا فأطاحت به".

أو يقولون: "بعد مقتل الأتباك أصاب جبر عمو أوغلي عباس آقا حتى لا يبقى على قيد الحياة وتنتهي سر هذا الأمر".

أو يقولون: "لقد أصدر محمد علي ميرزا آمرا بقتل الأتباك لكون هذا من المطالبين بالحياة النيابية خفية".

لكن هذا كله لم يكن سوى ظنون نسبت من قبل الاسترضا والتباهي وليست لدينا معلومات صحيحة في هذا الشأن، وما حصلنا عليه بعد البحث ندونه فيما يلي:

لما كان الأتباك بيدى إلحاحه للإطاحة بالحياة النيابية كما يبدو من تصرفاته، وللحق إنه أساء إلى العديد من النواب وتملك زمام القوة في المجلس، وهذا ما اشتد وقعه على الأحرار، كانوا يسعون إلى قتلها. أثناء ذلك، كان أحد الأحرار يعيش في طهران، وكان شابًا لكنه كان كثير الجرأة والخبرة ثم صار أحد الرواد المشاهير في ثورة إيران، ولم كان هذا الشاب يعمل في مصنع الكهرباء لدى حاجي أمين الضرب وكان مهندسًا فيه فقد استمر باسم جبر خان الكهربائي. ولكن نظرًا لشهرته في السنوات الأخيرة باسم "جبر عمو أوغلي" فسوف نذكره بنفس الاسم، كان هذا الرجل من أهالي سلماس لكنه نشأ في القوقاز ودرس العلوم الهندسية في تفلس، ويقولون عن قدمه إلى إيران إنه لم أثر أحد تجار تبريز ويدعى...
رضائيوف مد بلاط مشهد بالمصابيح الكهربائية قبل النيابية بعام أو اثنين، وكان في حاجة إلى مهندس مسلم لإتمام هذا العمل، لذا أحضر حيدر عمرو أوجلي - وعمرو لم يكن يتعذر البستان عامًا - من تفلس إلى مشهد وتوجه حيدر عمرو أوجلي بعد ذلك من هناك إلى طهران وعمل في مصنع الكهرباء هناك، ولما ظهرت الحركة المطالبة بالحياة النيابية كان من مؤيديها.

وفي العام الثاني للحكم النيابي حيث كانت الجمعيات تتعقد في طهران، أسسوا جمعية في أذربيجان باسم "جمعية أذربيجان"، وجدجر بالذكر أنها كانت من أقوى الجمعيات هنا وأكثرها تأثيرًا.

وكان حيدر عمرو أوجلي أحد المجاهدين في هذه الجمعية، وهكذا يشرح أن شبهة صلة بين إيرانيي الوفاق وبين لجنة الاجتماعيين العامين.

وأيًا ما كان، فإن مسئولة قتل الأتراك تقع على عاقت حيدر عمرو أوجلي، ويقولون إن تقي زاده كان على علم كذلك بالأمر، وإنجازه اختاروا عباس آقا، وكان شابًا غيورًا وأمروه بتنفيذ العملية. وفي اليوم الذي أطلقت فيه عباس آقا الرصاص كان حيدر عمرو أوجلي أمام بخارستان، ويقولون إنه ألقى بالحصى والرمال في أعين الجند لمساعدة عباس آقا، لكن لم يصل إلى أي مدى كان هذا الحديث صحيحًا، والجمعية رقم 41 المدون اسمها على الكارت الذي كان في جيب عباس لم يكن لها سوى الاسم فقط، فلم يحصل على معلومات عن هذه الجمعية مع البحث والتحقيق. وصار هذا الاسم سبيلا لرغم الآلاف الأشخاص وطلاب العديد منهم بالانضمام إليها رغم عدم وجود أساس لها.

وثمة شيء ينبغي أن نضيفه في نهاية هذا المقال، لما كان الإنجليز يعرفون أن الأتراك أداة في أي السياسة الروسية لذا كان استوؤهم منه، وعلهم كانوا يتبون قتله، وقد علموا بذلك مسبقًا بواسطة السيد تقي زاده. وواقع الحال أن مقالات عديدة نشرت على صفحات الصحف الأوروبية بعد مقتل الأتراك وكان معظمها في
الصحف الإنجليزية، والشيء الذي يثير العجب أكثر هو تلك الجمل التي ترجمت في صحيفة الجيل المتن الصادرة في كلية نقلًا عن صحيفة بيلز. هذا ونوردها في هذا الموضع:

"استمتدت الجمعية السرية لمجاهدي القوقاز وأذربيجان قوة كبيرة، وبلغ العدد الرسمي لأعضاءها 86150، وتعدادهم السرئ 3200، وقد انتخبوا من الجمعية السرية عن طريق القرعة 307 أشخاص ليبقونوا تحركات 132 شخصًا من المستدد، ولكل منهم حكم مختم بوضوح عملهم وهو مطابق للائحة الجمعية، وقد كرموا صورة عباس آغا ووضعوها في ركن من أركان الجمعية السرية دون بروز.

ولا نعلم من أي نتائج محرر الجريدة الإنجليزية بهذه المهارات، ولو أن الجمعية كانت سرية - حسب قول المحرر نفسه - فمن أين حصل على كل هذه المعلومات بالإسماء والدلالات والأرقام الدقيقة؛ وهي بعيدة عن الجريدة الأوروبية، وينبغي القول هنا إن ثمة سرًا ما.

وتكتب أيضًا ونقول لما كان حيدر عم أوغل مottie من يجاهدي القوقاز. فليس بعيدًا أنه تلقي هذا الأمر من هناك، وما يؤكد هذا جمل لائحة مجاهدي خروى التي ذكرناها سابقًا:

"لو أنهم لم يعزلوا أمين السلطان من منصبه هذه المرة على أثر الهمة العالمية لتربيز وحماستها فعنذد سبكون هناك سبب آخر لدفع نفس وجوده".

وكان هذا الحديث - كما ذكرنا - من قبل ميرزا جعفر زنجاني - مبعوث لجنة القوقاز - ويتضح من هذا أن اللجنة كانت تسعى إلى قتل الأثاث.
«المقال الثامن»

كيف مال البلاط إلى الهدوء؟

يدور الحديث في هذا المقال حول أحداث الثلاثة شهور منذ مقتل الأتراك حتى نهاية المجال للفترة ميدان دار المدفعية.

مواصلة العمل التي لا محل لها تجاه الأتراك:

بعد مقتل الأتراك أحد الأعمال الجسيمة، وكما سنرى، أدخل هذا العمل العظيم الرعب والفضول في قلوب رجال البلط وازدادت مكانة الأطرار في نظر الأجانب. وفضلًا عن هذا كله، جعل الأمور تأخذ طريقًا آخر وفتح دورًا جديدا لتاريخ حركة الحكم الخيابي، وأظهر الفيارات عباس آغا في شهامة كبيرة.

ولم يترك الأتراك - مع طريق الخداع الذي كان يسلكه - حركة المطالبة بالحياة الخيابية تنتهي منذ بداية، وكثيرًا ما أوقع الفتن وساهم في إفساد الأمور، وجعل من شعب إيران كله شعبًا عديم الشرف. إن ألد الأعداء هو من يظهر نفسه في حب المجتمع ويوفر مثل الأتراك رجلاً محنكًا صاحب تجارب سابقة ثم يقوم عباس آغا بدمه القاتل بتبين وجه الأطرار.

لكن مما يعجب له أن دار الشورى اعتبرته أجنبيًا، ولم تكن ترغب في تبجيل التضحية الثمينة لهذا الشاب، بل إن مؤيدي الأتراك أبدوا تسليلهم وكونوا يريدون أن يظهروا رجلاً على أنه رجل فاضل ووزير عطوف، وأظهروا عباس آغا على أنه رجل سيء قاتل.
وفي ليلة الأحد التاسع من شهر شهريور (۲۴ رجب) حيث وقع هذا الحادث، ومن فجر الغد، تجمع السيدان والعديد من النواب في فناء بهارستان، وجعلوا يتناقشون حول الحادث، وأرسلوا البرقية التالية - التي هي دليل على فكر المجلس - إلى الجمعيات في المدن:

"لقد أطلعت مكاتب البرق في عامة الولايات الحكام والجمعيات والأقاليم بأن الأتراك الأعظم وزير الداخلية قد حضر بالأمس لتقديم وزيرى الحربية والعدل كالمعتاد إلى مجلس الشورى الوطني، وبعد انعقاد المجلس، وبعد مضي ساعتين من الليل، وفي خارج بهارستان ضرب بالرصاص من قبل شخصين مجهولين بالقرب من مكان العربة وتوجه إلى بارته بعد دقيق قليلة، وقتل القاتل - أو رفيقه نفسه مباشرة. وينشغل مجلس الشورى الوطني وكذلك أمناء الدولة جدًا في التحقيق كي يعلم السبب في هذا العمل والمرتكبيون الأصليون له. إن قتل الأتراك الأعظم لمن الأمور الجسم ويتطلب الحسرة والأسف الشديد، ونأمل أن يكشف سبب هذا الفساد، وأن ينال المرتكب وشركته الجزاء القانوني في ظل قردة مجلس الشورى الوطني وسطوته ويشنق بالقصاص منهم من أجل عامة شعب إيران".

وانتقد المجلس مساءً وبدأ النقاش، وتحدث في البداية محقق الدولة - أحد نواب خراسان لكنه كان من مؤيدي البلاط - بلهجة شديدة قائلًا:

"بسبب هذا النوع من السلوك أصيب هؤلاء الخادمين بلباء عظيم، وينبغي على المجلس أن يعرض هذا حتى لا يستطيع هؤلاء الخونة أن يتعدوا على هذا النحو في أي وقت قط.

وقام من بعده السيد محمد تقي الهراة - وكان من أكثر المؤيدين للأتراك - وأخذ يقرأ اللائحة التي كتبها أهل السوق والتي أحضرها معه إلى المجلس، وكان أحد المحرضين لأهل السوق لكتابتها، هذا وقد ورد فيها بعد الديبيجة:
الآن، حيث أوقعت هذه الواقعة العظيمة الظلم والطبيعة على الدولة والشعب بقتل هذا الشخص المحترم ألا وهو صدر المملكة الأعظم وأول المطالبين بالحياة الن바وية وخدام الدولة والشعب، إذا فنحن نطلب مع كامل الاحترام أن يطلب المجلس المحترم جدياً من الحكومة وهيئة الوزراء القائل والمحرك الأصلي لهذا العمل الشنيع وأن يعاقبه عقاباً قانونياً، وإذا لن نترك نحن التجار النواب المحترمين في راحة.

ومضت عدة ساعات على هذا الحدث، وانتهى البعض الفرصة، وأخرجوا ما بهم من شحنات سيئة ضد التحول النبي، وبينما كان الآخرون يلزمون الصمت إما خوفاً أو أنهم لم يكونوا في وقفت إلى هذا الحد مع المطالبية والسرية. وقبل إن المجلس اختار لجنة كى تراقب استجابات الشرطة والمحكمة وتحقيقاتها، لكنها لم تصل إلى شيء. وفي النهاية أخذوا على إرسال برقيات إلى الشاه - الذي كان آنذاك في سلطنة آباد - وبعد المواساة، طالبوا بالضغط على الدولة لمواصلة التحريات والتحقيق وتقبض المجرمين.

ف끔 كل هذه الأكاذيب والخدع التي شوهدت منه كانوا بدون تأييدهم له، والأعجب من هذا أن تحتج البعض قائلاً:

"ففضلًا على كل ما كان، فقد أبدى الأتراك في جلسة المجلس الأخيرة تعاطفة الشديد تجاه الحكم النبي.

وكانتا بدون هذا الاهتمام تجاهم أقواله الخداعة بشكل أحمق. وهذا دليل على أن الأتراك قد جعل معظم النواب تحت سيطرته وأقفل المجلس قوته.

حدث هذا بهذه الصورة الطبية ولم يهتم المجلس به، من ناحية أخرى، كان العديد من أعداء الحياة النبي يعبرون في الخارج عن ثورتهم، وكانوا يريدون أن تتخذ الدولة هذا الحدث حجة للقبض على بعض أعداء الحرية. ومن الصحف كذلك من لم تكن تسعى إلا لتحقيق مصلحتها، ومن بينها صحيفة "نداء الوطن" لمجد
الإسلام كرمانى، فقد نشرت الحادثة في إطار أسود اللون تحت عنوان "إنا الله وإنا إليه راجعون".

من ناحية أخرى فتحت الشرطة أديها بأمر الشاه وتأييد المجلس، وألقت القبض على ميرزا صادق طاهباز بسبب رفته لعباس آقا، كما قضيت على تلميذ عباس آقا وبعض الأشخاص الآخرين وزجت بهم في السجون، وتمكن أخو عباس آقا من الفرار من طهران إلا أنه قتل نفسه في قروين لسبب غير معلوم.

وجدة عباس آقا التي ظلت على الأرض أكثر من يومين، فقد طالب بعض أهل السوق - باسم إيداء التعاون - بأن يعذب إلىهم بها كي يقوموا بدفعها لكن الشرطة رفضت ودفنتها ليلاً في كثير من المدن. فقد قيل إنهم ألقوا بداية في حفرة بنفس ما كان يرتدون من ملابس، إلا أنهم أخرجوا بعد ذلك خوفًا من أن يعلم الأحرار وقاموا بتخفيفه.

على هذا النحو كانت الغلبة للبلاط خلال ثلاثة أيام، ولم يكن في استطاعة الأحرار أن يتحدثوا أو ينتقدوا، إلا أن أندلعت انتفاضة رويدا رويدا. وفي البداية، كتبت صحيفة "روح القدس" - التي صدرت حديثًا منذ ذلك الوقت - في عددها الرابع والخامس مقالات حول مساري الأنابيك، وأعربت عن استيائها من السلوك الذي اتبع مع جدة عباس آقا. من ناحية أخرى، نهضت جمعية أذربيجان لتأييد المعتقلين وانتقدت مسلك الشرطة، وانضمت إليها كذلك الجمعيات الأخرى. وتدريجيًا دار الحديث حول ذلك في المجلس، ونتيجة لذلك كلفت الشرطة عن القبض على أي شخص آخر، وانتهى الحادث عند هذا الحد.

من ناحية أخرى قام البعض بالبحث عن الأرض التي دفن فيها عباس آقا، وكان السعي في هذا المغفور له قاضي أردفاي ولكنه ترمز عليه أكبر، وظفرا بها حيث عثرًا على المرتكز الخالد لذلك الشاب الغيور، وأقاما عليه بناءً، وقاما بتلعيبه بالحبس والآجر. وبعد ذلك، في يوم السبت الخامس عشر من شهر شهرور
كان هذا في طهران، وفي أذربيجان - كما أسلفنا - كانت ثمة حركة لعداء الأتراك في كل من خويو وتبريز، وما أن وصلت الأنباء عن مقتله حتى أعربوا هناك عن سعادتهم. ففي تبريز، اجتمعت قليلاً أثنا جواده ماسكة ببده سيفًا مسلولاً، وتبعه جماعة من المجاهدين، وقموا إلى السوق تصحبحهم الموسيقى وأتيوا بمقتله عدد الحميم النبامي، وأضاء أهل السوق المص Abbey من قرف سعادتهم.

من ناحية أخرى، كان الغموض في البداية يحيط بعباس آقا، ولما لم يكن يعلم في الأيام الأولى أنه أذربيجاني لم يقوموا بهعمل هناك، لكن لما علم ذلك، وعلم أنه من المجاهدين قاموا بالإعداد لحفل ختم القرآن عليه، وفي يوم الجمعة الثان، والعشرين من شهر شهير (11 شعبان) أقاموا مراسم الختم في مسجد ميدان مقصودية، وكان الأتراك يغادر ويرجعون في ذلك اليوم من كل الأحياء في جماعات، وكان المجاهدون يغادرون ويرجعون في صفوف مستقلة ومعهم الإعلام وتصحبحهم الموسيقى. ومن غد يوم السبت ظل الحال هكذا حتى منتصف النهار، ولما كان وقت إنهاء مراسم الختم ألقى ميرزا غفار زنورى - أحد مجاهمي القوفر - مقالاً هاماً ومؤثرًا باللغتين التركية والفارسية، وتلا أشعارًا مناسبة أثرت في قلب الجميع، وقال في النهاية:

"تتأثروا بآبها الإخوة في صفوف المجاهدين للتأسّى بهذا الشاب المغفور له.
ولتطهر صفحة الوطن العزيز المقتسة من الخائنين الكفرة.
ثم تل بعد ذلك بعض الأشعار التركية.
وقلوا شوهد حفل لإقامة مراسم ختم القرآن مثل هذا الحفل بكل العظمة وذلك الإجلال حتى ذلك اليوم."
خروج المعتصم:

أعقب مقتل الأمالي يوحن داعية عديدة، من فشل صناع الدولة رئيس المجلس، وكان هذا الرجل محيي لإيران متعاقدًا معها، لكنه كما يبدو من سلوكه، لم يستطع التضامن مع حركة الشعب، لذا لم يكن يظهر رضاءه عن الحكم الديني، وكان يبدى تعاطه للبلاط في الصراعات التي قامت، وهذا ما ذكرناه، فكان يقترح أن يرسلوا الدستور إلى علماء النجف، وهذا دليل على عدم معرفته بمهام الحياة الدينية، أو دليل على عدم تضامنه. من ناحية أخرى، كانت أسرته ترتبط بالأمالي منذ عهد بعيد، وكان أخوه حاجي مخبر السلطة من الوزراء في حكومته.

من هذا المنطلق، فمنذ اليوم الذي قدم فيه الأمالي إلى إيران زاد صناع الدولة من حفظه على الحكم الديني، وكان يسعى للتحقيق عدة مرات، لكن أعضاء المجلس لم يقبلوا، ولهما كان رجلاً هادئًا ووقيرًا كانوا يراعون خاطره، لكنه تتحى عن المجلس بعد مقتل الأمالي.

أثناء ذلك، قدم احتشام السلطة إلى طهران، وقد عرف عن هذا الرجل بمطالبته بالحرية، وقد اختير ممثلاً عن طهران، كما كان في لجنة الحدود، وعاد من هناك في تلك الأولى، واصغت النوايا فرضة قدوته واختاروه بدلاً من صناع الدولة ومضى البعض إلى داره وأحضره إلى المجلس. وفي نفس هذه الأيام اختار محمد على ميرزا الحكومة وقدمها إلى المجلس على النحو التالي:

مشير السلطنة رئيس الوزراء ووزير الداخلية، سعد الدولة وزير الخارجية، مستوفى الممالك وزير الحربية، قوام الدولة وزير المالية، مشير الملك وزير العدل، مهندس الممالك وزير المنافع العامة، مجد الممالك وزير التجارة ونير الملك وزير العلوم والأوقاف.

ولما دار الحديث في المجلس لم يعلق معظم النواب ألمًا حسنًا على هذه الحكومة، لأن معظم أعضائها كانوا من رجال البلاط العاطلين. من ناحية أخرى، فقد أبدى سعد الدولة وزير الخارجية اشمتزاهم من المجلس ونبي نفسه عنه.
ورغم هذا الالأس، ورغم أن المجلس نفسه كان معلناً، فقد وافق عليهم، وأتوا في جلسة الاثنين الرابع والعشرين من شهر شعبان (٢ شعبان) لتقديمهم إلى المجلس، ولم يفتح شخص لسانه بالنقض.

ونتيجة أخرى لمقتل الأتراك وهي عودة حاجي الشيخ فضل الله وغيره إلى ديارهم، فقد علم بعد مقتل الأتراك أن نقاطاً من اعتصموا في حضرة عبد العظيم كانت من حر ماله هو نفسه، ولما قُتل لم يقدم إليهم أي شخص آخر ذلك المال، واشتد الحال عليهم، ولم يكن هناك من حل سوى أن يكفو عن الصراع ويعودوا إلى طهران لكنهم كانوا في حاجة إلى الذريعة وإلا فقدوا ماء وجههم دفعة واحدة، واقترح السيدان أن يعد صدر العلماء - مصير بهبهانى - رسالة استفسارية يسأل المجلس من خلالها عن مفهوم الحكم الذي والرية، وعما إذا كان المجلس سيطبق أحكام الشرع أم أنه سيكفي بالأمور العرفية فقط. من ناحية أخرى، قد المجلس رداً مرضياً للمعتصمين وختم عليه السيدان. وكان هذا التساؤل والرد عليه هو الذريعة لعودة المعتصمين إلى دورهم.

وكان هذا تعاطفاً لا محل له من قبل السيدين تجاو حاجي الشيخ فضل الله وأتباعه وعلى أية حال فقد تصرف صدر العلماء، وأعد رسالة استفسارية باسم العلماء ورد المجلس عليه، وكتب السيدان وآقا حسين الرضووي جملةً في نهايةها ووقعوا عليها وهمروها بخدامهم، وتبنت الرسالة المذكورة والرد عليها في جلسة يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر شعبان (الأول من شعبان) في المجلس دون أن يذكر اسم حاجي الشيخ فضل الله أو غيره.

أخذ المعتصمون الرد، وختم عليه حاجي الشيخ فضل الله والسيد أحمد الطبطاشي حاجي ميرزا حسن، وأوضحوا لهم أن المجلس قبض مطالبهم، واتخذوا هذا حجة وعادوا إلى المدينة في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر شعبان (٧ شعبان) ومضى كل منهم إلى داره ولزموا الهدوء.
وعلى هذا النحو انتهت قصة المعتصمين - التي بدأت بتلك الجلابة والضجة - بهذا الهدوء وتلك المذلة، ولم يكن لها أكثر من نتائج، إحداهما: حفظ ماء وجوههم. والآخري: بسط الألسنة بمذمة الحياة النيابية والمجلس.

ويقول كاتب الشيخ فضل الله في الرسالة التي دونها إلى ابنه في النجف في هذا الشأن:

"لقد حثت المقاعد الإسلامية دفعة واحدة بيركات إمام العصر صلوات الله عليه، ووقع عليها حضارات الححج والمجلس، وبعد الحصول على هذا المكتب - الذي تكبدنا آلاف المشقات للحصول عليه - وكذلك على مذكرة الحكم النيابي، قررنا العودة إلى المدينة."

وقد طبعوا تلك الرسالة الاستفسارية والرد عليها وقاموا بتوزيعهما، ثم التقطوا لهما صورًا وأرسلوها إلى جميع الأرجاء.

اتفاقية عام 1907م بين روسيا وإنجلترا:

كما سبق ذكرنا، وضع مقتل الأباك حجرًا كبيرًا في بناء تقدم الحكم النيابي، وكان الأمر أنه من الآن فصاعدًا سيكون التقدم أفضل وأسرع، لكن واحترامًا، فقد وُضع في نفس هذه الأيام حجر كبير آخر في طريقها وهو اتفاقية عام 1907م بين دولتين روسيا وإنجلترا والتي نشرت في نفس تلك الأيام في صحف كلتا الدولتين. فقد كانت المباحثات تدور منذ فترة بين الدولتين حول هذه الاتفاقية، وكانت الصحف في كل منهما تتناول هذا الموضوع، وكتبت صحيفة "الحبل المثير" الصادرة في كتالكة مقالات أيضًا في هذا الشأن وكانت الخشية من الوصولها إلى إيران وظل الحديث بشأنها يدور إلى أن انتهت في تلك الأيام، وفي يوم الحادي والثلاثين من أغسطس (8 شهور)، وهو نفس اليوم الذي قتل فيه الأباك) تم توقيع ممثلين تلك الدولتين عليها في مدينة بطرسبورج، وملخص هذه
الانتفاضة هو أن دولتي روسيا وانجلترا كنا في إيران في حالة تنافس دائم مع بعضهما البعض وكانت كل منهما تسعى في عهد مظفر الدين شاه وناصر الدين شاه للحصول على امتيازات أكثر لها في إيران وثبتت أقدامها أكثر من الأخرى وحرصت كل منهما على إبعاد الأخرى والتفاوت مما تستفيد به. وكان الروس يأملون منذ أعوام طويل في تقدم جيوشهم إلى إيران، لكن كلاهما كانوا يرغبون في هذا الأمر كان الإنجليز يحاولون دون تحقيقه بالطرق السياسية.

هذا، وبالرغم من أن جوار تلك الدولتين لإيران قد تسبب في أضرار كثيرة لها إلا أن منافستهما كانت ذات منفعة، لكن لما كانت قوة الألمان تشد في أوروبا في تلك الأثناء، وكانت كل من الدولتين ترى أنها تتزاح من الحرب معها أو كانت هذه نواياهم، إذا كانت تريان أفضلية الاتحاد معًا وإزالة أي نوع من الصراع أو النزاع فيما بينهما، وكان نتيجة ذلك أن عقدنا تلك الاتفاقية، وكانتا ترغبان في إيجاد حدودا جغرافية لتطاولهما والحصول على امتيازات فيها، وهذا ما كان يسبب في إيجاد النزاع والعداء بينهما.

ولحق، فإن الإنجليز في أوروبا كانوا يرون أنفسهم في حاجة إلى جيش لا حصر له من الروس، لذا كانوا يتفاجؤون عن سياساتهم الخارجية لتباطؤ سياساتهم الأوروبية، وفتحوا باب إيران للروس عملاً على استرخائهم، والحذر الذي لحق بإيران من جراء هذه الاتفاقية أن الغلبة صارت للروس أكثر وصار ضغطهم وضرورهم أشد. ولمما كانت حكومة روسيا تبدى عداء واضحًا للحكم النيابي في إيران، إذا ظهر ضرر آخر، حيث جعلت محمد علي ميرزا أكثر قوة وسقوط في صراعه مع الأحرار، وضغط عليهم أكثر وكان الروس يساعدونه علانية.

وقد يذكر أن نصيبًا كبيرًا من عداء محمد علي ميرزا أظهره بعد ذلك تجاه المجلس والحكم النيابي، كذلك حادث قصف المجلس المدافع ثم قدم الجيش الروسي إلى إيران وسلوك بعض الأفراد المشين في آذرباجان وجبلان، ثم عودة محمد علي ميرزا عام 1290، ثم الإندل، كل ما سبب كان من نتائج هذه الاتفاقية.
ولو لم تنشب الحرب العالمية الأولى عام 1914م، ولو لم تقع في نهاية الثورة الشيوعية العظمى، فآله وحده أعظم أضرار كانت ستلحق بدولة إيران من جراء هذه الاتفاقية. هذا ونرد في هذا المقام بعضًا من بنودها:

نظرًا لأن حكومتي روسيا وبريطانيا قد تعاونتا مسبقًا برعاية استقلال إيران وحكمها الذاتي، ولأنهما ترغبان في حفظ النظام في جميع بقاع هذه المملكة والرقي المسالم لها واستقرار الحقوق التجارية والصناعية على الدوام لسائر الأمم، ولما كانت كلاهما ذات اهتمام خاص بحفظ الأمن والنظام في بعض المناطق المنصرمة بإيران أو المجاورة لها على حدود روسيا من جانب، وعلى حدود أفغانستان وبلدجستان من جانب آخر وذلك طبقاً للتضطرب الجغرافي والاقتصادي، والاجتياح أي نوع من أسباب حدوث الاختلاف بالنسبة لمصالحهما في المناطق السالفة الذكر، فقد اتفقنا فيما بينهما بشأن إيران كالتالي:

البنود الأولى: تتعهد حكومة إنجلترا بالنظر أولاً في الحصول على أي ميزة سياسية أو تجارى من تطبيقات مع الطرق الحديبة ووسائل الطرق والبنوك والبرق والمواصلات والتأمين وما إلى ذلك ليا أو لأحد رعاياها أو لأحد رعايا الدول الأخرى في المنطقة المنتمدة من قصر شيرين عن طريق إصفهان ويزد والخليج إلى أن تنتهي بحدود إيران وتتفق على حدود روسيا وأفغانستان.

البنود الثاني: كما تتعهد حكومة روسيا بالنظر أولاً في الحصول على أي ميزة سياسية أو تجارى من تطبيقات السالفة الذكر لها أو لأحد رعاياها أو لأحد رعايا الدول الأخرى في المنطقة المنتمدة من حدود أفغانستان المارة بقازنيك وبرجند وكرمان وتنتهي عند ميناء عباس، كما تتعهد بالنظر أولاً إلى وجه من الوجوه عند طلب إنجلترا مدعيد العون في المطالبة بمثل
هذه الامتيازات المذكورة، ومن المسلم به أن الأماكن المذكورة عالية جزء من تلك المناطق التي تتعهد روسيا بعدم التدخل للحصول على الامتيازات بها.

البند الثالث: تتعهد حكومة روسيا بدون التشاور مسبقًا مع حكومة إنجلترا بتأجيلها قط الامتيازات التي منحت لأهالي إنجلترا في مناطق إيران الواقعة فيما بين الخطوط المذكورة في البندين السابقين. كما تتعهد إنجلترا بذلك أيضًا فيما يختص بالامتيازات التي منحت للرياضيين الروس في نفس المناطق الإيرانية.

والإعجاب من هذا كلّه إنّهما لم تعلما إيران بالمباحثات التي دارت حول هذه الاتفاقية ولم تطلبا مندوبًا عن هذه الدولة، وبعد ذلك وقعت عليها في الثامن من شهر مهر في مدينة طهران وأرسلت ببعض المعلومات عنها إلى وزارة الخارجية الإيرانية في الثامن من شهر مهر (27 شعبان). ورغم أن صحيفة الحبل المتين الصادرة في كلكتا قد تحدثت مرارًا منذ عام في مقالاتها عنها عن إبرام مثل هذه الاتفاقية، وأطلعت إيران على مدى الضرر الواقع عليها من جراء هذه الاتفاقية، لكن حينما ذاع خبر التوقيع عليها كتبت صحيفة الحبل المتين الصادرة في إيران مقالات أخرى، ونشرت معلومات عنها. وكان هذا أحد البواعث التي ساهمت في ذيوع خبر حديث هذه الصحيفة.

وعلى أية حال، فقد دار حديث في المجلس حول هذه الاتفاقية يوم الاثنين العاشر من شهر مهر (24 شعبان)، وقعت رسالة السفارة الإنجليزية الموجهة إلى وزارة الخارجية، كذلك تم قراءة نص الاتفاقية ودار حديث بين النواب. لكن للحق، لم يكن معظم النواب على علم بمشروطتها، لذا لم يشاهد أثر للثورة أو للأسي على ذلك وكان ردهم:

"إن هذه الاتفاقية تسرى فقط على روسيا وأنجلترا، ونحن أحرار في أعمالنا،"
ولو نرغب نستطيع أن نمنح استيابًا لأحد الرعاية الروس في الجنوب أو لأحد الرعاية الإنجليز في الشمال.

وهكذا أعربوا عن عدم خنوعهم لهذه الاتفاقية.

وفي الخارج، اشتد وقع هذا الحادث على الأحرار، وكانت دولة إنجلترا - التي أبدت تأييدها للأحرار منذ بداية الحركة المطالبة بالحكم النيابي - تتمتع بمكانتة رفيعة لديهم إلا أنها هوت من تلك المكانة بهذا الحادث وأعربوا عن استيائهم منها.

وهذا ما أدركته السفارة الإنجليزية، فأرسلت إلى وزارة الخارجية تقول:

"لن يكون لهذه الاتفاقية أي ضرر على حرية دولة إيران واستقلالها، وسوف تمتع الحكومة الروسية عن التدخل في الخاص من شنون إيران."

وطبعت هذه الرسالة في صحيفة الحبل المتين، وحدثت بعض من استياء الأحرار وغضبهم، وتحدثوا حول هذه الاتفاقية - سواء في تلك الأثناء أو في الأعوام السابقة - كثيرًا في الصحف الإيرانية والأوروبية. وبعد قيام الثورة الشيوعية في روسيا والتي أفضي فيها الشيوعيون بأسرار بلدهم، عُلِّم أن هذه الاتفاقية تتضمن بنودًا سرية بشأن الإطاحة بالدولة العثمانية وتقسيم أراضيها بين الروس والإنجليز والفرنسيين، أما فيما يتعلق بإيران فلم تكن نواياه سوى الإطاحة بالحرية والاستقلال في هذه البلاد، لكن نظرًا لأن هذا الكلام قد انقضى وزال، فقد اكتفينا بهذا القدر في هذا المقام.

ميل رجال البلاط إلى الحكم النيابي:

في نفس هذه الأيام وقع في طهران حادث آخر مثير للعجب وهو أن عددًا كبيرًا من رجال البلاط أبدوا ميلهم نعجة واحدة إلى الحكم النيابي وقاموا ببعض العروض. وكيفية ذلك أنه حينما قتل الأتراك بيد عباس آغا وتم إخراج ذلك الكرت من جيب القاتل اعتنق معظم الأهالي أن هناك جمعية حقًا من الفدائيين قد تأسست وأعدت العدة لقتل أعداء الحكم النيابي، وكان عباس آغا العضو رقم (41) فيها.
و هذا الاعتقاد كان يملاً قلوب رجال البلاط بالخوف وخشي كل شخص على حياته وظل يأمل في الدخول في زمرة الأحرار، وتبحث رؤساؤهم في هذا وفكروا في طريق يدخلون به وسط الأحرار.

ولا أعلم ماذا دار بينهم من أحداث وأية اقتراحات وضعوها، وما كان يبدو في الظاهر أن اهتمام السلطة - رئيس مجلس - والأمير الأعظم - الذي كان يظهر نفسه منذ فترة بأنه من المطالبين بالحرية - حالي دون ذلك وقاما باستدعاء كبار رجال البلاط إلى دار علاء الدولة - شقيق اهتمام السلطة - وتبادلوا الحوار هناك ودُونوا رسالة إلى محمد على ميرزا في هذا الشأن، يقولون فيها: "نرى اليوم قدرة السلاطين عظام الشأن وتوكلهم على الأرض وقد حصلوا على تلك العظمة بواسطة أساس النيابية هذا". وطالبوا محمد على ميرزا بأن يمضى كذلك إلى المطالبين بالحكم النيابي وأن يسعى في طريقه، وكتبوا يقولون: "بائت الأقدار الواحد إن أبواب الحلم مسدودة من كل جانب، وللملك الذي امتلك لعدة ألاف من الأعمام في طريقه إلى الإنهيار. إن الخدام الحق هم الذين يعترفون بحق الأميرة الملكية ويساندون الدولة الخالدة، لكن ما من شك ولا كلام في وليد هذا الوطن وشريك هذا الماء وذلك الثرى.

وطالبوا: "من المقرر أن يحضر جميع الوزراء المسؤولين إلى في مجلس وأن يأتي نفس العدد المعتاد من نواب المجلس النيابي ويدعون في حضور الخدمات التكاليف الكلية والجزائز حتى لا يبقى عذر لأحد من بعد".

وحمل هذه الرسالة - أو وقع قولهم العريضة - الأمير الأعظم إلى الشاه وأحضر الرد منه - أو وقع قولهم الأمر - على النحو التالي:

"إن مجلس الحكم النيابي الذي منّ به الملك المغفور له نور الله مضجعه على الشعب نوقع نحن كذلك عليه، وتتعهد من الآن بالتعاون الائم معه، ونحن نعتبر المجلس من أسباب سعادة المملكة ورقها، والآن، وأنت مستعدون للتعاون والخدمة ما الضرر من أن نبدي أيضاً أقصى جهدنا للمساعدة بالشكل الذي كتبتموه، وإلي مجلس الوزراء والنواب والأمراء ليزيلوا الخلاف."
وهذه الوسيلة أظهر رجال البلاط أنفسهم من المطالبين بالحكم النيابي، وأسسوا جمعية باسم "جمعية الخدمة" وقالوا إن هدفها هو خدمة الوطن. من ناحية أخرى، قاموا في يوم السبت الخامس من شهر مهر (19 شعبان) - أي بعد مضي عام على بداية افتتاح المجلس - بارسال اللاحقة ومسودتها وأمر الشاه إلى المجلس، وطلبوا إذن بأن يمضي الجميع إلى هناك، وبالفعل توجه ما يقرب من خمسة أساتين على أن يستقبلهم أنوار بسعادة. ولم يضمنوا عن إداء مظاهر الاحتفاء بهم، وألقى كل من البهبهاني والحاج إمام الجماعة وقلي زاده وغيرهم خطب الشاء، وأعربوا عن رضاهم.

من ناحية أخرى تحدث كل من السهيد الأول، والآمير الأعظم، وذهب مظاهر السعادة والبهجة على جميع أعضاء المجلس، ولم كانت البرقيات المحرزنة قد وصلت في نفس اليوم من أرومية، وقرأت في المجلس قبل قدمهم، استقطبت لدى بعض النواب مشاعر الحزن والسعادة وكانوا يبحثون بحرية. وانتهى المجلس بسعادة بالغة، ورأى رجال البلاط الذين خرجوا من هناك الحفاوة والرضا من الأهالي في فناء قصر بهارستان. وفي نفس اليوم أرسلوا برقية إلى المدين وبشروهم بهذا التضامن وذلك الاتحاد، وصار هذا باعتناء للسوري في جميع الأرجاء.

بعد ذلك، وفي نهاية يوم الثلاثاء السابع من شهر مهر (27 شعبان) قدمت جماعة منهم إلى المجلس ثانية، وأقسم الجميع من خلالهم كانوا قد دونوه من قبل "ينعمون أسس الحكم النيابي وسندون قوانين بياليد والقدم في السر والعلن، وإذا ما صدر عنهم ما يعرض ذلك القسم تقع عليهم لعنة الله ورسوله.

هذا وسوف نصيح أسماءهم في هذا الموضع وفق ما ورد في جريدة مجلس:

جلالة الدولة، أصف الدولة، الأمير بهادر جنگ، ظفر السلطنة، موئق الدولة، أئل الدولة، علاء الدولة، السهيدار، سردار فوروز، الوزير الأعظم، الأمير الأعظم، وزير مخصص، مؤمن الملك، سردار منصور، محشم السلطنة، قواه
الملك، مصير الدولة، صدر السلطة، علاء السلطنة، أجود انشاى توبخانه، على
رضاء خان غروسي، دالر السلطنة، حانج الدولة مدير التشريفات، معين السلطنة،
معين الدولة، السالر الأعظم، دالر نصرت، حميد الملك، فارس السلطنة، ليث
السلطنة، سيف الممالك، قولر أغاسي، دالر نظام، بهادر نظام، فتح السلطنة،
حانج الدولة، مختار الدولة، حشمت الدولة، مجيد الممالك، وزير البلاط مدير
الملك، معاون الدولة وزير مخصص، إبراهيم خان أمير طومان، سردار مسعود،
مؤيد الملك، وزير نظام، سردار كن، عزير السلطان، سردار مخم، نصر الملك،
اعترز الدولة، شعاع السلطنة، سهم الدولة، حمزة آقا، حسن قلي خان نواب
واصف السلطنة.

وذكرت جريدة الحبل المتنين:
"لما فرغ الأمير بهادر جنگ من أداء القسم نزل وألقى خطابًا على عامة
المشاهدين الذين كانوا في حيرة من جرائهم قائلًا: " لقد وقعت على القرعة من
حظى الميمون، وسأأتيه خلال يومين إلى أرومية، وسوف أفتح بنفسي من أجل
الهدف المنشود، وقد لا أصل ثانية لخدمة الإخوة، وسوف أرى بروحى بكمال
الشرف، فلتدعوا لي حتى أقوم بخدمة هذا الوطن.

وانخدع الأهالي المساكين بهذه الأكاذيب وامتلأت قلوبهم بالفرح من هذه
العروض الخدامة، وظن نواب المجلس أن هذه اللعبة حقيقة، وكان ذلك إما
لسذاجاتهم أو لعدم إكتراثهم، وقاموا بذلك الاستقبال. وسوف نرى أن معظم من أدوات
الميمين - خاصة الأمير بهادر جنگ وقبائل الدولة - سرعان ما أظهروا العداء
والباحث للحكم النبائي خلال فترة وجيزة.

وكما ذكرنا، كان هذا العرض نتيجة لخوف من أن تستقر رصاصات عباس
آقا في قلوب رجال البلاط أكثر من أي شيء آخر، وكانوا يعتقدون أن هناك العديد
من أمثال عباس آقا، لكن لما علموا بعد ذلك بالعكس، أهمنا على أنفسهم واستأنفوا
العداء وسوء النية مرة أخرى. وهذا نموذج على ما قام به عباس آقا من عمل
عظيم.

211
وقد وقع حادث تاريخي آخر في طهران في نفس هذه الأيام وهو الاحتفال
بذكرى الأربعين لوفاة عباس آقا. ففي يوم الأحد الثالث عشر من شهر مهر (27
شعبان) - حيث انقضى سبع وثلاثون يوما على مقتل ذلك الشاب - غلوا
الأسواق، ومضى الأحرار جميعهم وغيرهم إلى مرقد ذلك الشاب، وزينت جمعية
أذربيجان قبره بالورود، وأعدت الخيام العظيمة لاستقبال الأهالي، وكانت
الجمعيات وتلاميذ المدارس يأتون في جماعات ويبعضون باقات الأزهار على
مرقده. تقول صحيفة الجبل المتين:

"على الجمع الصحراء بحيث لم يبق مكان للعبور، ويُعتقد أن عدد الجمع
كان حوالي مائة ألف شخص... وتم إعداد الشاي والقهوة وسائر المستلزمات
بفضل همة الوطنيين... كانت قطع الحلوى تنثر بشكل يبدو الحصر...".

ولأقلي كل من المغفور له الحاج ملك المتكلمين والسيد جمال خطبة، وتلا
الشعراء بعض الأشعار، وكان من بينهم السيد بهاء الوعظين الذي نورد ترجمة
لبعض أبياته في هذا المقام:

- أيها المزار المبجل، على الرغم من أن هذا محفل عزاء، لكنك نمت هائناً سعيداً
لوجود هذه الأزهار.

- تحوي مكانًا عاش فيه ذلك العالم، ونام عيسي في أطرافك، وكذلك مرير.
- يا عالم الفجر، يا عباس آفاق، الذي من شرفك داويت بالمرهم قلب المملكة
والشعب.

- أيها التركى، إيراني العنصر، يا من تهمتك إعلاء عظيمة فريدون وإحياء مكانة
جمشيد.

- قال التاريخ فلتمجلوه بشدة، فهو رجل أحياء العالم بست طلقات.

في تلك الأثناء انتهى المتم للدستور في المجلس، وانتهى قانون دار حوله

212
هذا العراق وعقد الجميع حوله الأمل. وفي يوم الخامس عشر من شهر مهر (29
شعبان) أرسلت دار الشورى البرقية التالية إلى المدن:

"يحمي الله ومنه تم الانتهاء من المنتج للدستور الذي ينحصر فيه الأساسي
المقدس لسعادة إيران وسلامتها، وهو الأساسي الحافظ للإسلام الحامي لحوزة الدين
القومي المروج لأحكام الشريعة المحمدية الغراء الباعث على رقي المملكة واستحكم
الدولة واستقلالها وكذلك استقرار حقوق الشعب. واليوم، وطبقاً للتوقيت الشمسي
يكون اليوم الأول للعام الثاني على افتتاح مجلس الشورى الوطني في إيران، ومن
حسن الطالب أنه زين بتوقيع صاحب الجلالة الملك قوى الشوكة المقدس الأعلى
ملك الملوك خليد الله ملكه وسلطانه، وحان الوقت أن يشكر عامة الشعب من صميم
قلبه هذه الهيئة العظمى وأن يحسن استقبال هذه الحِرة في رفع الأغراض
الشخصية والإلتزام بكافة قوانين المملكة لكي يكون جديراً بهذه الهيئة المقدسة."
(مجلس الشورى الوطني)

الجمعيات الإقليمية:

نعود الآن إلى آذربيجان، في هذا الشهر (من منتصف شهر يور حتى
منتصف مهر) وقعت بعض الأحداث هناك. فكانت الجيوش العثمانية تستقر في
أراضي إيران، كذلك كان الأكراد فيما حول أرومي يقومون بطلوماتهم، كما تمرد
أقالل السلطنة واندفعت طوائف كثيرة من الأكراد التابعين له نحو قرى خوبي
وكانتا يغيرون كل لحظة على منطقة ما، كذلك أعلن اسماعيل آغا، أو حسب قول
الأكراد سيمكو، تمرده وكان يقوم بأعمال الإغارة والنهب على ما حول سلماس،
في نفس الوقت كانت تحدث بعض الأمور أيضاً في تبريز نفسها. وبالرغم من أن
حادث خوبي يعتبر أعظم هذه الأحداث جميعاً، لكن لما كان الحديث حوله يحتاج
إلى سرد طويل، سنتحدث أولاً عن تبريز ثم نذكر حادث خوبي بعد ذلك.
كانت تبريز آنذاك تسم بالهدوء، فقد أظهر فرمان فرما شغفه ببعض
الأمور، وكانت الجمعية تعاونه، ومالت طاقفة المجاهدين إلى الهدوء وكانوا

213
حاولون تدعيم أساس الاتحاد فيما بينهم، بعد ذلك وقع الصراع بين القوافلين وبين مسيحيتي وآيوعه بشأن الزعامة وانتهى بانتصار على مسيحيتي ومن معه، وقد علموا أنه من الأفضل القيام بتنظيم جماعتهم، إذا فتحوا يد العقاب وطلبوا من المركز الغربي أن يصدر أمرًا بقتل بعض المجاهدين وتم قتلهم بيد اتباعهم. وكان يوسف خزندوز أحد القتلى وهو من رؤساء المجاهدين، وكان رجلاً قصياً يوظف على الحضور في الجمعية والحديث في الحضور، وكان المركز الغربي يعلم جرأته لذا أصدر الأمر بقتله، ولما ذكرت جريدة الجمعية هذا الحدث بجمل منتمية، بما واضحا أن الكاتب ينتمي إلى المركز الغربي، هذا ونورد فيه هذا الموضع:

"إن مستوى يوسف خزندوز التبريزي الذي يقوم منذ فترة بأعمال د.identity لما هذا من محض تقدم خيالاته وأفعاله التي بكشف النقاب عنها المخبرون السربون في دائرة قضاء ظريف المجاهدين في سبيل الله في كل دقة، وكانوا يضعون صفر العصيان يوميًا في دفتر أعماله حتى انتهت الحدود القانونية لهذه السلسة التنجية ودون أمر إعدامه. وفي يوم الأربعاء الثاني من هذا الشهر، واثناء عبور المشار إليه من ميدان هفت كامل الشهر وقف أحد المجاهدين أمامه وأخبره: أن قرعة الغناء سحبها سهم الأجل باسمه يوسف برهان. وما كان المجرم بلغت حتى يقول شيئاً أو يقوم بالحركة، فإذا بطلقة نفذت من ضلعه الرابع وقلبه وخرجت من ظهره، وأعقب تلك الطلقة طلقة أخرى فأسفل الروح ولم يبق يوسف خزندوز ثانية..."

وقع هذا الحادث في التاسع عشر من شهر بير (29 شعبان) وفي نفس هذه الأيام انتخب جمعية الولاية ستة أشخاص لإرسالهم إلى خروج مكاو وجهت بهم إلى هناك، وسوف نورد أسماءهم أثناء الحديث عن الأعمال التي قاموا بها.

وفي الثامن والعشرين من شهر بير (11 شعبان) أقاموا مراسم ختم القرآن على روح عباس آقا بكل الإجلال وقد ذكرنا خبر ذلك.

وفي الخامس عشر من شهر (29 شعبان) وصلت برقية دار السورى بشأن الدستور وأعرب الأهالي عن سرورهم واتجهت طائفة من المجاهدين نحو الأسواق
تصبحهم الموسيقى وأعربوا عن سعادتهم، ومضى نواب الجمعية إلى مكتب البرق
وا negerوا إلى دار الشورى وإلى محمد على ميرزا بيرقيات الثاني.
في هذه الأثناء كانوا في تبريز يشعرون في اختيار نواب جمعية الولاية من
منطلق القانون، ولمما كان لهذا الحادث سابقة في تاريخ الحكم النيابي ظهرت وقتئذ
بعض النتائج لهذا الاختيار، لذا فسوف نتحدث في هذا المقام عنه بشيء من
التفصيل:

كما سيأتي وذكرنا، كانت تبريز من أوائل المدن التي أقامت جمعية للإشراف
على الأعمال وإدارة الأمور، وما أن تم الحصول على الحكم النيابي ووصلت
لائحة الانتخابات إلى هذه المدينة حتى رشحوا بعض الأشخاص لإنجاز هذه اللائحة
اختيار نواب دار الشورى، واستأجروا منزالاً لإقامتهم، ولمما كانت الخشية من تمدد
محمد على ميرزا فقد جعلوا هذا المنزل مقراً لهم باسم "الجمعية الوطنية". وكان
الأحرار يجتمعون هناك كل ليلة ويتشارون بشأن تقديم مساعدتهم وأثناء ذلك يتمون
بعض الأعمال كخروج الإمام الجمعية ومير هاشم من المدينة وغير ذلك.

وكان محمد على ميرزا مستاءً من تصرفهم هذا بشدة، ولما انتهى أمر
اختيار النواب لدار الشورى بعد أسبوع أو اثنين أرسل رسالة إلى بقية الجمعية،
و نفذ المقيمون في الجمعية ما ورد في الرسالة وتخلى عنها، لكن المجاهدين
والأحرار لم يرضوا ذلك، وقاموا بـثورة، وكما حدث وذكرنا أنهم افترضوا
لسحب كلامهم مع ضغط محمد على ميرزا وأقاموا الجمعية مرة أخرى.

إنهما كانوا يريدون أن يتقدم جمعية في تبريز (وفي غيرها من المدن) من
المتخبدين من قبل الشعب للحفاظ على الأواعظ هناك، خاصة في تلك الفترة، حيث
كانت بداية الثورة وكان الأحرار في حاجة ماسة لمقر لهم في كل مدينة، هذا وقد
أمسوا في المدن الأخرى كذلك جمعيات تبعاً لما فعلته تبريز ك تأتي زمام
الأمور، وكانت دار الشورى تنتقد ظهور هذه الجمعيات في بعض الأحيان وكانت
تبدى عداءها الواضح خاصة تجاه جمعية تبريز، لكن مقر الحريدة هذا - الذي

215
أطلق عليه من بعد جمعية الولاية - أدى جدارة كبيرة خلال فترة قليلة، وعلا شأنه أمام دار الشورى وسيطر على زمام الحركة والثورة في أرجاء إيران كافة وقادها بحنكة، ولما أبدى تأييده في بعض الأحداث لدار الشورى خلصه ذلك من المتاعب.

ومن هذا المنطلق قام بتدعمه مكانته أكثر.

وبعد ذلك، لما وسع الدستور الذي أعدهه دار الشورى قامت هذه الجمعية باعتقاد ما ظهر فيه من أوجه نقص عديدة. وكان لها في إنها إنشاء الجمعيات في المدن، وبهذا الشكل اتخذت لنفسها واجهة قانونية. واضطرت دار الشورى نتيجة لذلك الاقتراح أن تضيف متممًا على الدستور، وكما نعلم أن هذا المتم كان أم 델 الدستور نفسه وأعظم، وكما أسفنا قد دارت صراعات حوله، فضلاً عن هذا سنت دار الشورى قانونًا مستقلاً للجمعيات الإقليمية والجمعيات المحلية في شهر خرداد من عام 1286 هـ (ربيع الثاني 1365 هـ).

وكان ينبغي في تلك الأثناء أن تتحمى الجمعيات التي كانت تتبع أهواءها في كل مدينة وتم اختيار جمعيات على أساس هذا القانون، لكن لما حوى ذلك القانون نوعين من الجمعيات (الإقليمية والمحلية) ولم يكن يعلم أين تقام هذه وأين تقام تلك، لذا تأخر الأمر حتى تسن دار الشورى قانونًا في هذا الشأن بحيث تكون الجمعيات الإقليمية في أذربيجان، وخراسان، وفارس وكerman، أما بقية الأماكن الأخرى يتم إنشاء الجمعيات المحلية فيها. وبالرغم من أن هذا الأمر كان سبباً لاستياء أهالي جيلان، ونشبت الفتنة في الرشت، إلا أن دار الشورى لم تكثرث ولم تتراجع عن فكرتها.

على أيّة حال، كانوا ينفذون ذلك القانون في تبريز آنذاك وكانوا يختارون البعض للمراقبة، وعلى هذا النحو كانت جمعية تبريز التاريخية والنشطة - والتي يجب أن يبقى دومًا في التاريخ - تطوى أيامها الأخيرة، وسوف نرى أية نتائج ظهرت من اختيار الجمعية القانونية.
حروب أهالي خوي مع أقبال السلطنة:

الآن نسرد حكاية خوي، فكما أسلفنا، كانت خوي من بين المدن التي أبدت تعاطفها تجاه حركة الحكم النيابي وكذلك تجاه مساعي تبرز. وأبدى الأحرار هناك غيرة وحنكة، وحدث في تلك الأيام الأخيرة أن اتهج ميززا جعفر زنجان من باكو إلى هناك من قبل لجنة الاجتماعيين العاميين مع ستة من أهالي خوي، وكان ميرزا جعفر هذا حارساً على أحد النزل لكنه كان من الذكاء والعقل بحيث تمكن من القراءة وتحصيل العلم. ولما أسس الإيرانيون حزباً كان أحد الرواد فيه، وكانت له المكانة بين الآخرين لغيرته وحبتته، ولما كانت للجنة ترسل مبعوثين عنها إلى كل مدينة، فقد أرسلته إلى هناك برقة ستة من أهالي خوي وواكب وصولهم إغارة أكراد إقبالية السلطنة على قرى خوي وقيامهم بأعمال السلب والنهب والقتل، ولم تتأت نتيجة من برقيات الشكوى التي كانت ترسل إلى طهران.

هذا وقد قام ميرزا جعفر منذ اليوم الأول لوصوله بأعمال بطولية، و أول أعماله هو تلك البرقية واللائحة الخاصة بالأثاث والتي ذكرناها سابقاً. بعد ذلك عزم على تشكيل جماعات من المجاهدين وأهالي خوي وتصدي بنفسه لآيال السلطنة. وقد شكل بالفعل الجماعات، وأخذ من الحكام ثلاثة مدافع وعدة منازل من الجند وقسمهم إلى طائفتين، أرسل واحدة منها إلى سكين آباد مع مدفعين، والأخرى إلى قراضياء الدين مع مدفع واحد حتى يعود معسكرًا في مواجهة الأكراد. وكان مير أحمد قراصني هو قائد الجند في سكين آباد، أما ابنه ميرهدايت فقد تولى قيادة جيش قراضياء الدين، وعرف كلاهما بالشجاعة، كما اتهم ميرزا جعفر بنفسه إلى سكين آباد حتى يترقب الأوضاع على كثب.

وكان هذا العمل دليلاً على شجاعة ميرزا جعفر وأهالي خوي وحميتهم، فقد تصدوا للأكراد السفاحين، بهذا الجيش غير المدرب قليل العدد، لكن للأسف لم ينالوا النصر وضحى ميرزا جعفر بحياة في هذا السبيل. وكيفية ذلك أنه في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر بور (٢ شعبان) أغار الأكراد فجأة على معسكرهم من كل جانب وصرعوا عددًا كبيرًا منهم بالمسدسات ثم اندفعوا إلى الخيام وقضوا
على جماعة منهم وسلوا كل ما كان موجودًا من المدافع والآلات والأمشزة، ولم يقتل من هؤلاء من الأكراد نفسه العدد، وكان ميرزا جعفر نفسه من بين المعتقلين.

على هذا النحو تم تدمير معسكر سكمن آباد وهزيم البقية واتجهوا مضطرين إلى خوى وأبلغوا بحقيقة ما حدث.

وعن غد ذلك اليوم وقعت حادث آخر في خوى وهو أن أحد المجاهدين توجه إلى دار حاجي ميرزا إبراهيم، وكان الأخير مجنداً في مدينة خوى، وتم قتله دون أي سبب، كما أطمأن آقا ضياء كذلك بشقيق الحاج إمام الجماعة، وقد أفعز هذا التصرف أهالي خوى في البغداد من الأثرياء والمشاهير من المدينة وتوارى البعض عن الأنظار. كذلك لم يستطع أحد أن ينجب إلى جثث القتلى لديهم.

وعلي هذا النحو حادث اضطراب كبير، فمن جانب، كان يشاهد هذا القتل غير المبرر، ومن جانب آخر، كان وصول العارمين من الحرب ورؤية النساء والأطفال المساكين.

في تلك الأثناء حدث اضطراب شديد حيث وصل رسل جمعية تبريز الإقليمية إلى هناك، وكما ذكرنا، اختارت الجمعية الإقليمية ستة لتمثيل خوى، وهم: شاهزاده مقتدر الدولة، وشيخ الإسلام، وحاجي جليل مرندو، وسالم معز، وويةق الممالك وحاجي إسماعيل، وأرسلت هذه اللجنة لإيجاد الحلول للقتلى والاضطرابات في كل من خوى وماكو، وكتب الشيخ الإسلام – عبد الأمير – حكاية هذه الرحلة بلغة سلسة وتم طبعها، هذا وسوف نورد مقتطفات منها:

وصل هؤلاء المبعوثين إلى خوى ليلة الجمعة وهو نفس يوم هزيمة سكمن آباد ومن غد ذلك اليوم وقعت حادث قتل آقا ميرزا إبراهيم، وأقا ضياء، وقد مارسوا عملهم منذ ذلك اليوم، فقاموا بداية بصد الأكراد الذين كانوا يفرون على القرى ويقومون بطلوماتهم فيها انتقامًا منهم لأهالي خوى، وكتبوا الرسائل المطالبين بالمكافحة عن الإغارة والقتل، وأمروا نتيجة وساطة المبعوثين، كما سمحوا لأهالي التليلين.
برؤيتهم ودفنهم. ثم كتبوا رسالة إلى إقبال السلطنة وألحوا في إطلاق سراح الجند وغيرهم من المعتقلين، ولما كان ميرزا جعفر - المفوض عليه - يبدى شجاعة دون ضعف لذا لم يحافظوا عليه حيًا وقتلوا ذلك الشاب الغيور.

وكان من هؤلاء المبعوثين مقتدر الدولة وبعض رجال البلاد السابقين الذين لم يبدوا ميلاً في داخلهم إزاء الحكم النيابي، وانعدم وجود ذلك الحمس الذي كان ينبغي في الشيخ عبد الأمير والحاج جليل المرئي، فلما كان يرغبان في الحكم النيابي لما كان تعاونهما مع الفتنة. ومن هذا المنطلق لم يهمهما بنصرفات مثالية خرى الشجاعة، وكانا يعرحان عن فتورهما تجاههم بدلاً من تأييدهما لهم، وكانا يلحان على وجه الكم عن القتال وإنهاء الصراع بالطرق السليمة، كما كان فرمانا فرماً يبدوا تعاونهما معاً بريقًا من تبريز، ولمما اقترح أن يختار أهالي خوي عشرة للتمثيل عنها للمضي إلى جورس برقة المبعوثين والتشاور مع رؤساء الأكراد ونواب إقبال السلطنة وإنهاء القتال لم يرض أهالي خوي ذلك، ولكن نظرًا لضغط المبعوثين عليهم اختاروا بعض القتال كرهاً أو طوعًا.

وبعد عشرة أيام بادر المبعوثون بالتوجه إلى خوي ومنها إلى جورس واستقروا بالقرب منها، وجعلوا يكتبون الرسائل إلى رؤساء الأكراد المتمرزين في قرى الدين على بعد نصف رفسخ منهم، وبعد المشاورات العديدة والذهاب والإيجاب والإيضاحات، وبعد مضي ما يقرب من الشهر استقرنا هناك، ونتج عن ذلك أن أنهوا الصراع واقتراحوا أن يغير الأكراد ثانية على القتال وأن يأمنوا الطرق وأن يطلق سراح الجند وغيرهم ممن آسروا من قبل إقبال السلطنة وأن يعبدوا ما سلبه من القرى، وأن يرفعوا الضرر عنهم وأن يسلموا القتلي الذين قتلوا في الخارج في العراك إلى ذويهم في القرى. ولما كان إسماعيل آقا شكاك (سيمكو) قد تمرد كذلك في سلماس وقطرور وكان يقوم بأعمال القتل هناك؛ فقد اقترحوا أن يسلكون معه مسلكاً هادئاً بحيث يتعهد الحكومة إليه بحكم قوترور شريطة أن يكرر ذلك السلوك المشين وأن يعيد ما سلبه من الأهالي ويعهد إقبال السلطنة بتنفيذ ذلك الشرط.
أثناء ذلك دونت اتفاقية وقع عليها كلا الطرفين وألس إقبال السلطنة الجند أرديا جديدة وتوجه بهم مع بقية الأسرى، ولم أنهى المبعوثين أعمالهم عادوا إلى خوي وتيبريز.

على هذا النحو انتهت الحرب بين أهالي خوي وبين إقبال السلطنة، وكما ذكرنا، كانت هذه إحدى الحركات الشجاعة من قبل مجاهدي خوي التي قاموا بها بزعامة ميرزا جعفر، ولو كانت تواصلت لازدادت قوة المجاهدين يومًا بعد يوم، وهذا نموذج يدل على مدى عمق ثورة إيران، لكن للأسف لم تواصل بسبيس أسر ميرزا جعفر وفته، وكذلك بسبب عدم حماسة مبعوثي تيبريز، والنتيجة الوحيدة لها هي الإطاحة بشاب شجاع كميرزا جعفر. من ناحية أخرى، لما أنهى المبعوثين المباحثات تم قتل مائة وثمانية من الأكراد وما يقرب من خمسين مجاهاذ في حرب سكمن آباد.

رد إقبال السلطنة على برقية فرمان فرما:

في الوقت الذي كانت تدور فيه المباحثات بين المبعوثين في جورس وقراضا بيين الأكراد، ونظرًا لاستياء جمعية تيبريز بسبب اضطراب الأمور في خوي وغلق الأسواق هناك، طالب ميرزا آقا الإسفهاني - الذي كان يعيش حتى ذلك الوقت في تيبريز وكان قد اختير للمتمثل في دار الشورى وتمتع طبقًا لرغبة الأهالي عن المسألة - بأن يتألق نفسه ويسعى لحل الاضطراب. هذا وقد مضى برققة ميرزا غفار زنورى ومير يعقوب ماجاهد (حارس الجمعية)، ولما وصل إلى خوي حيث كانت مباحثات الصلح تدور في جورس، حث الأهالي على فتح الأسواق بالوعظ، وهذا يعد فضلاً له وقام أتباعه في تيبريز بالثناء عليه، وبعد ذلك اتجه ميرزا آقا بمفرده إلى ماكو حتى يرى إقبال السلطنة، وفي هذه الرحلة - كما ترد بعد ذلك على الألسنة - حصل على الأموال من إقبال السلطنة وسوف نرى أن هذا الأمر وما شابه كان سبيلاً لفضيحته.
ولم يذكروا الذي آن أرسل لفورًا من قلادة السולטانة في نفس اليوم التي وصل فيها إلى تبريز، ولم تلقي هذه البرقية في خروج ولم تصل إلى إقليم السلطانة، فأرسل المبعوثين إليه بعد وصولهم إلى هناك، ورد آن هو مطولاً ألقى فيه الذنب على عاتق أهالي خوي، هذا ونورد فيما يلي نص تلك البرقية:

"جانب السيد المبارك المستطاب الأشرف الأمير الأعظم فورما القائد العام روحى فداء، لقد صدرت البرقية المباركة في الثلاثية من هذا الشهر، وقد قمت بالزيارة في التاسع منه، وقد لامني البعض قائها، لم لم أعتر أحوال هذه الحدوة وأوضاعها حتى الآن! أولاً، كيف يحدث أن شرف المستطاب الأشرف السامي روحى فداء العظيم المجل القائد العام لمملكة آذربيجان، ولا أيضاً أنا خادم الإنسانية ولا أعرف أحوال الحدوة! لقد تم عرض الموضوع مرارًا وشكلاً، وتفضل عن جميع البقاع إلا أنهم أوقفوا الاتصالات وغلقوا مكاتب البريد، كيف يصل إلى جنب السيد المبارك؟ فمنذ الوقت الذي فكر فيه المستطاب الأشرف السامي روحى فداء بالتحرك من طهران إلى مملكة آذربيجان قد عطلت مكاتب البريد، وبذلك في عدم وصول عرائضي أنا الخادم إلى الأماكن الضرورية، ولهذا أن تردد الخدم من الرعية على كل الأماكن قد منع وقطع.

واستدعي هذا أولاً، أن تحكم بأن سد طريق عرائض الأهل على جاز في قانون أو طريق ثانيا، أن أحوال هذه المناطق لا تسير من منطلق القاعدة حتى يتم عرضها، ولا يمكن ضمه إلى برقية على النحو الذي هي عليه، وكلما كان يشكو منه الخدم من الرعية قام به أهالي خوي ثم قاموا بالشكوى وما من حرف في حديثهم له أصل أو فرع، في حين أن الدنيا تلازم على أنا الخادم وأنا لم أفهم لم"
يلومون؟! ولم يريدون تدمير ماكو؟! إن أهالي خوي يقومون منذ عام بعض
التقىرسات مع الخدام ولم يكنوا عن ذلك، فذينًا يتحركون الموالي لهم ويغرون على
ما لدينا من مخازن الغلال وما أشبه، وчинًا آخر يطردون الخدام أنفسهم،
وحرصوا القلاع، وكانوا أن يدمروا المباني التي أقيمت منذ مائتي عام، وأسروا
أهلونا وذويننا، إن الإعداد لأمر لا يمكن أن يتم إلا بعون الله.

وقد مرت الآن أربعة أشهر منذ عدت أنا الخدام إلى ماكو، ومنذ ذلك التاريخ
حتى الآن وهم يسحبون الجيوش إلى ماكو، ولو التزامت الصمت ستهدر الأموال
وتزهق الأرواح وتدمير الأمالك، وسوف أدفع، وحينذ يكون السؤال: هل تمرد
على الدولة الآن بعد أن خذلناها طوال هذه الأعوام أم أننا نصدم بالمدن
المجاورة ونلحق بها الأذى؟! إن الأطفال تسبروا في إحضار الجند والمدافع
والآخرين إلى الخدام، وفي النهاية سحبوا جيشًا إلى سكني آباد، وتحرك جيش آخر
إلى محا جهار باره وقام بأعمال القتل والإغارة، كما قاموا بقتل أحد السادة من
ذوي المكانة وكان يقيم في إحدى قرى ماكو.

والآن تجمع من طاقته خمسة فرد يريدون التوجه إلى خوي لأخذ بالثأر،
وقد حلت دون ذلك حتى أعرض على الحضور المبارك ما يدور في سكني آباد،
هذا وقد اندفعوا إلى المناطق العامة في:Eايل ميكان وقاموا بأعمال القتل والإغارة
ومات ما يربو على الثلاثين، كما قتلوا من نساء الأكراد خمس عشرة امرأة وذلك
على عكس القاعدة، وحينما رأى الأهالي القتل بهذه الكيفية استجواباً للبقاء وقاموا
بالدفاع، واحتمآن السراح حتى تجرعوا الهزيمة وأسر الأهالي العسكري، وأطلق
سراح فرسان قره داغ ونجدهما وتركوا الأهالي، وإيراد نموذج، فإن مائة وخمسة
وثلاثين من الجنود أصحاب المناصب أخذوا ابن حاجي حيدر خان وابن لطف على
خان وهم الآن أكثر استعدادًا ولو أنهم خطوا إلى إدارة ماكو فيهم مقصرون، فكلما
اعتدوا على أراضي خوي فحُنن مقصرون.

ولا شك أن الهيئة المجلة التي عرض عليها بالأمر وقامت بالتحقيقات قد
رأت بأم عينها في أى أرض كان جيش خوي، فهم يطبق عليهم المثل الشهير
"رضيون ويبكون" وعون الله، وبالظل المبارك ما من ملاحظة في أن خوي لا تقوم لها قائمة خلال نصف الساعة، إلا أنني التزم الصمت، ولننسوا الأمر تمامًا. فمن ناحية له ملاحظة على الدولة، ومن ناحية أخرى فهو يظهر بشكل سيئ لدى الأهالي والخدم، ولن تحدث فتنة أكثر من ذلك حيث يبدون أن أمر الرعية سهل؟ لم يبدون مثل ذلك في الداخل؟ إنهم خانون للدولة والشعب وما أبدوه من خيانة للدولة هو أنهم أغاروا على جميع مخازن الأسلحة والمدفعية الخاصة بالدولة، وعطلوا مكاتب البرق والبريد، وبوا الفتن في هذه الحدود الثلاثة.

وأما أبدوه من خيانة تجاه الشعب هو أنهم قاموا بقتل مجهود العلماء والсадات وقراة الشعب، وقالوا إن مال الشعب هو مال الله، ولم يطيعوا المجلس ولا الدولة. وقد شاهدت الحكومة أعمالهم تلك المناقية للقاعدة مرأة العين، ولم يتم عقابهم ولا لومهم. وفي المقابل ليس لي من هدف أو غرض حتى يوجهوا اللوم والمذمة لي، ولاشك أنه يجب أن يكون هناك رادع ولا سيئدون في ذلك، إنني (؟) من هذه الحركة، لم غضت الحكومة ومستوا الدولة الكبار الطرف عن إيران؟ ولم ترك الأوباش والصوص من أجل (؟). لولا يمانعون في بتر ذلك، لو كان ذلك من أجل الحكم الثاني، فالحكم الثاني ليس كذلك ولا يمنع أحد منه، وإلا فالهدف هو تدمير ماكو، لقد صدر الأمر المبارك في كلتيان ولجأ الخدام مع العامة إلى الحكومتين الروسية والتركية، إنهم يأتون ليعمروا من جديد، ولو اندم وجود حل أخر وهذا يستلزم المبادرة بتحديد مهام الخدام، وتقرر أن يتجهوا لإصلاح ذات البيين بين ماكو وخرى، وعلى الرغم من أن أهالي خوي ألقوا خسارة فادحة بالخدم، ومع هذا ووفقًا للأمر المطاع فإن الخدام مستعدون بأن تكتب الهيئة المبلطة شرخًا ويرحون مكان اللقاء، وقد حددت أن الطرفين على استعداد للإصلاح، ونحن الخدام لا نرضى السوء في أي وقت فنطلب الخبر، بينما يقوم الطرف الآخر بالإساءة دون سبب."

(مرتضى قلی)
استمرار الصراع على الحدود:

أثناء ذلك اتخذ النزاع على الحدود مع العثمانيين لونًا آخر، بعد هزيمة مجد السلطنة خارج أرومي (وقد ذكرنا خبر ذلك) لم يتم شجاع معه، وكان العثمانيون يستولون كل فترة على منطقة عامة أخرى، ولم يكف الأكراد عن أعمال الإغارة، وكانت جمعية أرومي تطالب بالإنصاف مارًا وترير إلى تبريز وطهران، وكان كل من فرمان فرما والجمعية يضغطان على دار الشورى دون جدوى لأن الحكومة لم تكن بذلك وكانت تشر في كل حين بأمل واه، فكلموا مع فرمان فرما وطلوا جيشًا من طهران كي يرافق الجيش الذي توجه من آذربایجان للحفاظ على الحدود وسجن الأكراد، لكن لم تر علامة من ذلك الجيش، وكانوا يتحدون مارًا في المجلس ويبدو حدتهم لكن دون فائدة، وكان البلاط يبدى فتورًا على الدوام.

والأصعب من هذا أن ميرزا رضا خان أرفع الدولة - سفير إيران في اسطنبول - أرسل مقالًا إلى صحيفة روسية، وكان يعتبر الحادث على سبيل الكذب، ويقول:

"إن ما يكتب في هذا الشأن قد أعدته جمعية تبريز ونشرته.

ورغم أن صحف روسيا وانجلترا كانت تتناول هذا الحادث في تلك الأونة، ومن ناحية أخرى أرسل لجنة "الاتحاد والترقي" التابعة للأحرار العثمانيين بيانًا من باريس إلى دار الشورى وجمعية تبريز، وكانوا يعبرون عن استيائهم لسلوك حكومتهم الطالم، ومع هذا لم يكن يقبل أرفع الدولة الحادث وحاول إخفائه. وسلوك سفير إيران هذا دليل آخر على وجود وفاق بين محمد على ميرزا والسلطان عبد الحميد، فلم يكف عبد الحميد عن مؤازرة محمد على ميرزا ومعانوه خشية من أن يظهر تطور الحكم النيابي في إيران ثورة الحرية في تركيا ويجعلها أكثر قوة.

لاقت صحيفة الحبل المتين الصادرة في طهران بترجمة هذه الجملة عن إحدى الصحف الروسية.

224
وكانت الضغوط على الحدود لهذا السبب، وذات يوم حصلت إحدى الصحف الفرنسية في مصر على شهادة: إن عبد الحميد كتب رسالة إلى محمد على ميرزا يشجعه فيها على مواجهة الأحجار. ولما ترجمت صحف طهران هذا الخبر عن تلك الصحيفة الفرنسية وطبعته لم يرد البلاط ولا وزارة الخارجية بعد واحد، وهذا دليل على صحة ما كتب.

من ناحية أخرى، وكما ذكر في بعض الصحف، إن تركيا كانت أدوة سياسية في يد حكومة ألمانيا القوية في عهد عبد الحميد، ولم كانت هذه الدولة لم توافق على اتفاقية أنجلترا وروسيا بشأن إيران والتي كان بدور الحدث بشأنها منذ فترة وكانت تريد من قبل المنافسة أن تكون لها يد في أمر إيران، لذا حرضت تركيا على الصراع حول الحدود، وينبغي القول: إن كلا من عبد الحميد ومحمد على وحكومة ألمانيا كان مستفيدا من هذا الحادث.

في نفس الوقت لم تب انجليز او روسيا عدم اتفاقهما، فكان نوابهما في استنبول وطهران يتباحثون مع تركيا وإيران، وفي ظل هذه المباحثات ارتفعت الحكومة التركية أن تهني الحادث والباحث، وفي الثلاثين من شبريو (12 شعبان) قدم وزير خارجية إيران إلى المجلس وأنباء أن نتيجة لمساعي وزارة الخارجية ووساطة نواب أنجلترا وروسيا اقترح أن يسحب الأتراك جيشهم من الأراضي الإيرانية وأن يتم التحقق في الصراع الذي كان بين الدولتين في لجنة بحضور نواب روسيا وإنجلترا. وأعرب النواب عن رضاهم من هذه الأنباء، ورشحت الحكومة محتمل السلطنة لرئاسة النبابة في تلك اللجنة وقبل في البداية لكنه امتنع بعد ذلك ثم قبل ثاني، وفي النهاية توجه به من طهران في بدايات شهر آبان، وأرسل الأتراك كذلك طاهر باشا لرئاسة النبابة.

وكما ذكرنا، ثمة جماعة كانت في تركيا في تلك الفترة باسم "الاتحاد والترقي" تسعى للحريّة، وهي نفس الجماعة التي أسست للحكم النبائي في تلك
الدولة، وفي هذه الأثناء هرب عدد كبير من رؤسائهم من الأراضي العثمانية وكانوا يعيشون في أوغوبا وشكلوا لجنة في باريس وكانت هذه الجماعة تتولى أزمة الأمور فيها. ولما شهد الصراع على الحدود من قبل عبد الحميد نهض الأحرار الأتراك لمساندة إيران سواء على سبيل المواساة أو تحت مسمى الجوار، وأرسلت اللجنة بيانًا باللغة التركية إلى دار الشورى وجمعية تيريز وردوا عليهم. ولما لم تكن الحاجة ماسة لذكر متن هذا البيان والرد عليه، لا تورده في هذا الموضوع، لكننا سوف نرى أن نفس هؤلاء الأحرار الأتراك قد تعاونوا مع الإيرانيين في حروب الأحرار ضد محمد على ميرزا، واجابت جماعة منهم إلى خوي لمساعدة الأحرار.

في نفس هذه الأيام - أي في أوائل شهر آبان - تبنت الحكومة في طهران، وكما أسلفنا، لم تكن حكومة مشير السلطنة حكومة خيرة بالعمل، ولم تكن من القوة والأهمية لدى المجلس، ولم تولت هذه الحكومة الأمر لم تمض عدة أيام حتى أعرب موظفو وزارة الخارجية عن عدم رضاهم تجاه سعد الدولة، ونهضوا يقاومون ويلحون، ولما قام سعد الدولة بخدمة الحكم النيابي في البلاط وغيره من الأماكن بعد الخروج من المجلس واستعانت قلوب الأحرار منه ولم يقم شخص بتأيده، عزله الشاه وأعاد علاء السلطنة إلى وزارة الخارجية وقبله المجلس.

وهكذا لم يكن للحكومة أية أهمية أو قيمة، ولم يعلم ماذا حدث حتى يتحوا ويختار محمد على ميرزا ناصر الملك لرئاسة الوزارة واختار الأخير الوزراء، وحضر إلى المجلس يوم السبت الثالث من آبان (18 رمضان) وقدمهم كالتالي: ناصر الملك رئيس الوزراء ووزير المالية، أصف الدولة وزير الداخلية، مشير الدولة وزير الخارجية، صنيع الدولة وزير العلوم والأوقاف والقوات العامة، مخير السلطنة وزير العدل، مؤمن الملك وزير التجارة ومستشاري الملك وزير الحربية. وأعرب النواب عن رضاهم، ولما كان ناصر الملك قد حصل علومه في أوروبا كانوا يبجلونه ويقدرونه ولم يبدوا في تلك الفترة إلا التأييد له. وما يثير
العجب هو جعل أصف الدولة وزيراً، لأن هذا الشخص كان يعتبر من ألد أعداء الحرية وقد ألحق المجلس في الشهور الأولى للحكم بالنبيبي على المطالبة بعزله من ولاية خراسان، ثم حقوقا معه بعد ذلك في قضية بيع بنات القوتشي، حيث كان المجلس مهتماً بذلك بشكل جاد ودار الحديث حوله مراراً، ولم أبدى فرمان فرماً - وزير العدل - تعاطفه تجاه أصف الدولة، يشارك تقي زاده معه في المجلس، وها هم الآن يقرونون مثل هذا الشخص إلى المجلس على أنه وزير رسمي.

والعجب من هذا أن أحداً من النواب لم يفتح له قلق بالنقود فقط (كما فعلوا آنذاك في تأييد مكانة ناصر الملك) باستثناء صحيفة "آدميت" التي كان يحررها ميرزا عبد المطلب البذري، حيث نشرت مقالاً مطولاً في هذا الشأن، وهذا دليل آخر على خور المجلس.

بعض الحيل التي تم الكشف عنها:

منذ مقتل الأتراك، وكما ذكرنا، خشي رجال البلاط، وكانوا يتجنبون إظهار العداء للحكم النبيبي، وكان محمد على ميرزا نفسه يبدي ذلك السلوكي وققدم إلى المجلس كما سنرى من بعد. لكن في نفس الوقت - في شهر آبان - بدرت بعض الخدع التي علم أنها لم تكن إلا عروضًا للرباء، وقد قانت حينما تملك الحوف من قلوبهم بعد مقتل الأتراك ثم عادوا ثانية بدون عداءهم للأحرار.

وإحدى هذه الخدع أن بعض رجال البلاط من أمثال إقبال الدولة والوزير الخاص وأنصر السلطنة وسعد السلطنة ومفاخر الدولة وغيرهم قد أسروا جمعية باسم "جمعية العفوة" تبعها لأسلوب الأحرار، ولم تكن لها من نية سوى السعي للاحق الأذى بالحكم النبيبي، وانضم إليهم مرتدوئ نائب المجلس الذي أتى نتيجة للنزاع مع زنوزيان (على الملك) وكذلك ميرزا جواد ناطق الذي كان يعيش آنذاك في طهران وكان قد ضجر هو كذلك من المطالبة بالحكم النبيبي، وكانت رغبتهما هي محاربة الأحرار وحث الأهالي على قتال الترك وفارس، ولما ظهرت سوء نواياهم منذ الخطوة الأولى قامت الصحف بذمهم (كجريديتي الحيل 227
المتين وروح القدس). وفي تلك الأوقات ظهرت جماعات عديدة في طهران واختارى كل منها مندوّناً عنها وأسسوا جمعية مركزية، وهذه الجمعية لم تقبل نواب جماعاتها ولم يكن معظمهم من أهالي تبريز قامت جمعية أذربيجان - التي شكلها أهالي أذربيجان واسنت بالقوة - بال협ولة دون تنفيذ أعمالهم، وأرسلت البرقية التالية إلى تبريز:

"الجمعية الإقليمية الوطنية في أذربيجان، في هذه الأوقات أسس بعض أهالي تبريز جمعية في طهران باسم "جمعية الفتوى"، من أشخاص معرّضين، ومن الضرورة أن يستحضر جناب المجل تلك الجمعية المقدسة، وتقدم اسم لمن من مؤسسيها هما مافخر الملك وال الحاج محمد تقى الكرماين و بلالهما، والجمعيات التي تؤدي المطالبة بالحكم النبوي لا تعلم هدف تلك الجمعية، ولم يقبلوا نواباً، وإذا ما وصلت برقيّة أو لائحة من تلك الجمعية إلى تبريز فطالعوا على مؤسسيها وأهدافهم.

(جمعية الاتحاد بأذربيجان)

في نفس هذه الأيام وقع حادث آخر وهو أن السيد على اليازدي - أحد رجال الدين المشاهير وصاحب شعبية كبيرة في طهران وكان متعاطفاً مع البلاغ - كان يمضي إلى محمد علي مرزا للدعاء وما أشبه، وكان رجال البلاغ يجلسون له العشاء، وفي يوم السبت العاشر من آبان (25 رمضان) أعطى المنبر في مسجد الشيخ عبد الحسين وقام بخدمة الحكم النبوي والمجلس علالية وقام بتكفير كل من تلقى زاده ومباشرة الدولة وغيرهما من المشاهير، وذكر اسم عباس آغا وقال إن مكانه في الطبقة السابعة من جهيم، ولهما أثبت جريدة روح القدس عند عمل عباس آغا وأعطته أهمية "حرية على" في موقعة الخندق، فقد تناولها بالذكر وقام بتكيفرها.

ولما كان طلاب مدرسة الشيخ عبد الحسين أسفل المنبر وكانوا مهتنئين للتأثير والمراقبة لم يستطيع أحد الرد، وقد أعتر أعداء الحكم النبوي بذلك وقاموا بتورطاً وحركة، ولما كانت الخشية من أن يتسبب عمل السيد على آغا هذا في انقسام
طهران نفسها قام المجلس بمنع ذلك وأصدر أمرًا إلى البلدية بمنع ذهابه إلى المسجد، وعلى هذا النحو انتهت القصة.

وكما ذكرت صحيفتنا الجبل المتين وروح القدس، كان هذا العمل بحريض من جمعية الفتوة ويتأيد البلاط، لأن السيد على آفة كان متعاونًا مع البلاط ورحل، وقد أعد منزلًا وعاش حياة كريمة بفضل أموال رجال البلاط. من هنا ساءت سمعة جمعية الفتوة ودخل ميرزا جواد ناطق — الذي كان أحد رواد الحركة — في تبريز وكانت له تلك المكانة والنفوذ بين الأحرار — في زمرة أعداء الحرية.

في نفس هذه الأيام عاود الحاج الشيخ محمد الوعاظ — الذي كان له ضلع في حركة طهران وكان مراقبًا للسادات في كل مكان وألقى على عاتقه بعد ذلك حادثة مدرسة "حاجي أبو الحسن المعمار". ومقتل السيد عبد الحميد ومن هذا المنطلق كان يُعد أحد رواد الحكم النيابي — نهى للحكم النيابي من فوق المنابر ولم يكشف عن ترويج السيد جمال الوعاظ وغيره، بل إنه تطاول كذلك على اسم طباطبائي وبهبهاني وذكرهما بالسوء، لذلك كان يعد هو كذلك من أعداء الحرية.

وهذا يدل على أن العديد من رواد الحرية لم يكونوا على علم بمفهوم الحكم النيابي، ولم يكونوا متعاونين معه، ولم يتم البعض منهم بذلك إلا من قبل الأمناء، ولذلك عادوا في تلك الفترة وأبدوا فتورهم تجاهه، وفي هذه المرة كانوا يبادرون بالعداء.

وقد كتبنا فيما يتعلق بالحاج الشيخ محمد وأفعاله أنهم لم يدركوا معنى للحكم النيابي سوى أنه رواج للشريعة، ونتيجة لذلك لم يعدوا إلاترويجًا لسوقهم، والآن كانوا يرون عكس ذلك، فاضطرروا للرجع عنهم وكانوا يقولون للناس:

"نحن لا نعلم أي هدف لهؤلاء الملاحمة!"

أو يقولون:

"ذلك الحكم النيابي الذي نريده ليس هذا، فقد تدخل البابيون والطبيعون ولن يتركوه."
على أية حال فهذه أمور تدل على أن محمد علي ميرزا ورجال البلاط لم يكفوا عن العداء، وكانوا يسيئون في الخفاء، فإذا اغتُم الأحراز ثانية، وزالت تلك الأمل التي عقدوها على التعاون مع رجال البلاط. وكما ذكرنا، كان هذا أحد السياقات الأهالي في طهران، فبدلًا من أن يتحدون تشكيل قوة يحققون بها رجال البلاط كانوا يريدون أن يحققوا المطالبين بالحرية بلغة الترغيب أو عن طريق الإرشاد والوعظ، ولمما ينسوا كانوا يظهرون ويتالمون ويسيطرون ألسنتهم بالسب والمذمة، وهذا ما حدث في تلك الأيام، فحينما ظهرت هذه الحيل من قبل البلاط كتب صحفيا روح القدس مقالًا جريئًا حول محمد علي ميرزا، والمقال الذي لم يكن له من نافذة للمطالبين بالحكم النيابي صار ثمنًا ليوس كاتب (سلطان العلماء المهراساني)، فقد أغلقو الصحفة بعد صدور المقال وطالب وزير العلوم بالتحقيق في المحكمة، وتم استدعائه سلطان العلماء إلى المحكمة بجريدة إطلاقه لقب "قصاب" على محمد علي ميرزا، واعتبر ضبط علماء وطالب بدءاً من جهة منصبة وامتنع عن الرد لذا لم يتم التحقيق. وبعد شهرين صدرت صحفته ونشرت حادث المحكمة ولم تكن عن مذمة محمد علي ميرزا!... وما كان منهم إلا أن اعتقلوه وقاموا بتعذيب كل ليلة في باشته ثم أرسلوه إلى أحد المخازن وألقوا به هناك في جبل عصيق ظل به حتى وفاته المئوية.

وعلى أية حال، لما كان هذا المقال يظهر أحد الأحداث التاريخية إذا نورده كاملاً في هذا الموضوع.

مقال صحفية "روح القدس":

تم نشر هذا المقال في العدد الثالث عشر من الصحفة في يوم الخميس الرابع عشر من آبان (29 رمضان) تحت عنوان "الحدث الغريب أو إشارة اللاريب".

على النحو التالي:

لم يعثر رجاءً على إلى مسامع سليمان

نصيحة فيها يكون خير السلطنة

230
كتم نتمم لو ظهر في هذه المملكة ملك عادب يوصل كلمات روح القدس الناقدة إلى الملك المنصف، نحو ناهي السلطة، ولا نفكر في الوزارة، نحو نسعى للحفاظ على الوطن وحماية المواطنين بأرهاحنا، ولا نحيد عن قول الحق، ثمة فرق بين الوعي والعبد، إطاعة الشهوات النفسية ضرورية للعبد وليس للوعي، لأن الوعي ليست من العبيد، فهي حرة، بل إنها تشارك مع الشاه نفسه، ويجب أن تكآفنا فقط بحريسة السلطان، في حين أن الشاه يعمل حارساً وحاصباً للهم (والخوف ليس للراعي) (بل إن الراعي في خدمته)، وتعتاس الملوك مع بعضهم يكون للتوسع في المملكة وتحقيق رفاهية الوعي، ولكي تعم الوعي بالراحة والهيئة بلزامها شهيد (فيهما اللواء والآخر الروح) وملوك إيران القدامي - كما يشهد التاريخ - رفعوا دوماً لواء الفتوحات للحفاظ على هذه الشعوب، وعاشت الوعي في هذه تحت ظلمهم، ولما كانوا يحتفون ودائع الحق - التي هي الشعب - من شر الأعداء لقبوا بـ(ظل الله في الأرض)، وقد تبعهم الملوك اللاحقون وتأسوا بهم واستقروا من المملكة والوعي وأطاعهم كافة ملوك العالم وقدموا لهم الجزية، وهذا ما تشهد عليه قصة شابور ذا الأكتاف وغيره من الملوك - وكل ملك يقصر في مهمته يكون مصيره العقاب الغربي مثل خسر وبروز والشاه سلطان حسن الصفوي - إذن فالشعب كان يعيش في هناء عبر القرون والأزمنة في فراش الأمن والأمان بكامل الراحة، وكان الحرس يحميه بكل الجد والجهد ويحافظون عليه - وكان هذا الأسلوب مرضي وتبوع جميع الملك حتى عند سلطنة فتح على شاه ومحمد شاه، فأتى ملكهما، ورغم أن ثمة صدمات ولطمات قد حلت بالشعب ولم فقدان جزء من وطناً العزيز هبها، إلا أن الشعب كان يعيش في راحة إلى حد ما - وحينما حل دور السلطة على ناصر الدين شاه ظهرت أوراق عودة سوء الفأل للشعب، وصارت طائفة سيدة الفطرة عديمة الشرف معاونة للملك في الباطن وأظهروا الخسارة الذاتية، وفتحوا يد
التعدي على الودائع الإلهية، واقتسموا أموال الشعب المظلم وأرواحه - قاموا بداية بالإغراء على أموال الشعب كالصدق للاستيلاء على الحدائق والعربات وآثاث الغرف، وباعوا آثاث الرعية قطعة قطعة إلى الأجانب، وتمت الإغراء على جميع ممتلكات الشعب حتى عهد مظفر شاه العدل، وفي النهاية صار سلطان المستديرين ورئيس الخانقين هدفاً للطلقات الوطنية وجعل الشاه حسن الطوية والصدر الأعظم طيب السجية آثار الوطنية تذكاراً (تعرف الأشياء بأيضادها) ووضع هذان الملكان وهذان الصدر الأعظمان الشجاعة والشرفة بسوء الخائمة وحسن العاقبة نموذجاً ومنشأ للتاريخ للملوك اللاحقين - وحينما ألت السلطنة إلى حضرة صاحب الجلاء، تم الإغراء على أموال الشعب كله، ولم يبق للشعب سوى روح واحدة. في هذا العهد، ضاقت الشعب ذرعها - فمن ناحية تشن إقبال الملك في الحكومة المركزية بإرقة دماء الشعب، ومن ناحية أخرى تحركت الدولة العثمانية وذبحت أطفال الشعب وأسرت أهل بيت الشعب، وكم أُظلموا من الأهالي، ومن ناحية ثالثة أمر وزير الجيش بالقتل وبيت الفتن في شيراز، ومن ناحية رابعة اتجه جهان شاه خان من طهران إلى زنجان وأحكم أهالي زنجان واحداً بعد الآخر - وإذا ما رغب الشعب في إنقاذ نفسه من ذئاب الداخل وقع أسر كلب الخارج وذئابه، ثمة آلام في كل ناحية، ترفع الصيحات المظلمة من كل جانب وهم مشغولون ليل نهار بالدعاء لهذا الملك.

والشيء الحسن أن قدرًا من ثمالة السلطنة قد أفاق، وتنحت الأعين لتبكي نظرته على دولتها وعلى باقي الدول - هل تخلى كل ملوك العالم عن القيام بозвيقتهم وانشغوا بعمل القصاب! هل صارت جميع شعوب العالم أسرة ظلم ملوكها وشهاداتهم النفسية كشعب إيران البائس! - لا أعلم السبب في أن تتجه جميع الممالك تجاه العمران والتوسع وتنمية المجتمع، باستثناء إيران حيث يصير جزء من أرضها ملكاً لآخرين، وعلى مدار العام والشهر يصير شعبها طعاماً للذئاب ويتبدل العمران فيها إلى خراب - أي ملك مستبد لا يضع التاج فوق رأسه.
من أجل الظلم والأثاثانية؟! وأي ملك نيابي لم يبلغ أعلى درجات الملك والحكمة بواسطة الحكم النيابي؟ هل انتصر إمبراطور اليابان على إمبراطور روسيا المستقبلي بوسيلة أخرى سوى الحكم النيابي؟ هل صارت دولة إنجلترا أو آية دولة أخرى موضوع ضد الدول المستبدي إلا بفضل النيابية؟! لا أعلم آية فائدة وأي خيال وأي آية نتيجة لحضرات صاحب الجلالة لدينا من النيابية المفتوحة والرحمة البائسة؟! لعله لا يعلم أن كلًا من الرعية والملك عيان للملك الحكيم (إن أكرهكم عند الله أتذاقمين).

السماء المنصفة هي التي تمنح الملك العدل

عدل يندى أهل الأرض من الجور
لعله لم يفهم أن ما من ملك يستطيع الابتعاد عن الرعية لأن «الله فوق أيديهم».

إن لم يمنح العدل العدل للخلق على الأرض

تسلب السماء المنصفة العدل

أليس من الممكن أن يقع أحدث قصة الملك لويس السادس عشر في هذه

المملكة لأن «الله عزيز ذو انتقام».

هب للقتل والإغارة ليلاً

وعند السحر فقد رأسه وتوجه

لعله على غير يقين من أنه ولد من دماء الفدائي رقم (14) فدائي أعظم

لأداء مهمة أعظم من ذلك الفدائي، وهو في انتظار إتمام الحجة! من وجهة النظر

الملكية العظيمة يجب أن يكون قد فهم وأدرك أنه لا يجوز فتح باب القتال مع

الثماريين والأفاعي الذين ظاهرهم حسن وقبطينهم السم الزعاف، وأنه ليس من

الصلاح الاختلاط بأسوس هذه المملكة والنواب الأجانب والتصرف معهم لأن

الود يريد سوقًا مضطربة والأجانب يطلب منفعته، لابد أنه فهم أن ما من فريق

بين هؤلاء الرعية وبين رعايا هذه الدولة ونكر، بل أن ذينه قد تبديل إلى عزة، لكن

مع تسلط الأجانب لا يبقى حكم الملك (والتدق بكلمة من الملك في بوق الدرويش)
ونبتدل (العزة الملكية بذل الرعية) لو أن صاحب الجلالة الملك يتشرف وبتحت بتقريبة هو وأسرته لخدمة الأجانب فنحن الرعية في غاية الخدمة والعمل من تسلط الأجانب، فحماية الشعب هي البعث على الحفاظ على سلطة هذه الأسرة، وإلا فقد ظمأت حقيقة النيابية التي لم ترثُ منذ شهرين هكذا. لقد حان الوقت لكي تتنوّى عن طريق البستان الفدائي وتفتتح الأزهار والرحيان في روضة النيابية، أو أن يقوم طبيب ماهر غبي ببئر العضو الفاسد كي يسلم بقى الأعضاء من هذا المرض العضال.

قدوم محمد على ميرزا إلى المجلس:

في نفس هذه الأيام أنهى المجلس عملاً عظيماً وهو تعديل ميزانية الدولة، حيث بدأت اللجنة المالية العمل فيه منذ ستة أشهر وانتهى مؤخراً وقد قدموا هذه الميزانية إلى المجلس وللمرة الأولى تسارعت فيها نفقات الدولة مع دخلها، وكما ذكرنا أنه في الأعوام السابقة كان دخل الدولة سبعة ملايين ونصف المليون من الطومانات وكانت نفقاتها عشرة ملايين ونصف المليون طومان، وكان هذا المعدل يتناقص سنوياً بمعدل ثلاثة ملايين ونصف تقريباً، وكان لازما أن يسدد هذا النقص عن طريق الاستدانة، وطالب المجلس بالتفكير في حل، حيث لا تمس الحاجة ثانية إلى الاستدانة، ونفذت اللجنة رغبة المجلس وقللت من النفقات السنوية إلى أربعة ملايين عن طريق الآتي:

١ - قلت من المبالغ الباهظة التي كان يحصل عليها الأمراء وغيرهم كل عام، على سبيل المثال كان شعاع السلطنة يحصل على مائة وخمسة عشر ألف طومان، وكان ظل السلطان يحصل على خمسة وأربعين ألف، ونائب السلطنة على تسعة وعشرين ألف وكان الآخرون على غرارهم، فأقرت للجنة مبلغ اثنتي عشر ألف طومان سنوياً لكل منهم.
2- كان حكام كل محافظة يؤدون ضرائب مائة عام سابقة إلى الحكومة، لكنهم كانوا يحصلونها من الأهالي أضعافًا مضاعفة فكفت اللجنة أيديهم واقتربت أن ما يتم تحصيله من الأهالي يتم دفعه إلى الحكومة.

3- القضاء على الإقطاع، وهذا ما سنوضحه في موضعه.

4- كان ينبغي على العديد من رجال البلاط وأصحاب النفوذ تقديم القمح والشعير إلى الحكومة كضرائب، لكنهم لم يفعلوا، وكانوا يدفعون الأموال بأسعار مائة عام سابقة، وأقرت الجمعية أن يدفعوها كما هي من نفس النوع.

بالإضافة إلى ذلك تم تخفيض مبلغ ثلاثمائة وثمانية ألف طومان من نفقات البلاط الذي كان يحصل على ثمانمائة ألف طومان ونفث سنويًا، منها ثمانون ألف طومان نفقات جهاز ولي العهد الذي كان يعيش في تبريز، والآن، لما كان ولي العهد يعيش في طهران في كنف أبيه لم تر اللجنة داعيًا لدفع تلك الأموال.

وكتبت نفقات مظفر الدين شاه مانتين وأربعين ألف طومان، أو على الأصح كانت من أجل إسرافه، ولم تجد اللجنة الآن داعيًا لصرف هذا المبلغ. كما كانوا يحددون مبلغ ستين ألف طومان من أجل الإعداد للخلعنة واعتبرته اللجنة مبلغًا باهظًا، وقامت بتخفيض هذه الأموال وأقرت خمسمائة ألف طومان فقط للبلاط منها ثلاثمائة ألفاً للشاة والباقي لعمال البلاط والمتصليين به فضلاً عن الأشياء التي كان يجب دفعها.

ولم ينتقد محمد على ميرزا آنذاك عمل المجلس هذا، ولم يبذ عرضاً، لكننا سوف نرى بعد ذلك عندما رغب في التعارك مع المجلس أنه تذرع بهذا ولم يدفع الأجر السنوي لبعض العمال الصغار كعمال الإسطبل والخدم والفراشين وحثهم على العداء ضد المجلس. على أي حال، ففي يوم الأحد السابع عشر من آبان (3 شوال) حيث تمت قراءة مكتوب اللجنة على المجلس، تحدث النواب قليلاً حول ذلك وصدوا عليه بكل الرضا، كما أعرب رئيس المجلس وغيره عن رضاهم التام.
وفي نفس هذه الأيام، دار حديث حول قدم محمد على ميرزا إلى مجلس.
وكمما ذكرنا أن الشاه بدلاً من القتل الأثابك كف بهم عن الحرب مع الأحراز عثمانية، وكان يأمل القدم إلى المجلس استضافة للأحراز، وقد اختاروا يوم التاسع عشر من آبان لهذا الأمر، وطلب المجلس أن يكون الاستقبال عظيماً، وعقدت حجرة النصرة أمام بيارستان، وكما أسلنا، كان نواب مجلس الأحراز في طهران يهتمون بتناول هذا النوع من الفنق، وفي كل فترة يرون فيها هذا التعاطف من قبل الشاه أو رجال البلاط يخدعون أنفسهم ويسعون من قلوبهم.
وفي يوم الاثنين التاسع عشر من آبان (5 شوال) وكما كان مقترحاً، قدم رئيس الوزراء وغيره إلى المجلس، ثم وصل ظل السلطان وولي العهد وأقارب الشاه الآخرون، ثم اتجه الشاه نفسه في عربة إلى المجلس، وفي الطريق كان الأهالي يهتفون بحبه. وعلى هذا النحو وصل إلى المجلس واستقبله النواب والوزراء، ولمد داخل المجلس، وبعد الاحتفاء به، قرأ ناصر الملك في البداية رسالة ملكية من قبل الشاه، ثم تالى بعد ذلك السيد نصير الله وقرأ رداً من قبل المجلس. وبعد هذا كله، وهم كانت هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها الشاه إلى المجلس بعد تتويجه، وكما كان مقترحاً، أقسم على تعاطفه مع الحكم النباشي، وبيان يصرف همه كله في حفظ استقلال إيران وأن يرعى الدستور والحكم النباشي في إيران وأن يحكم طبقاً لهذه القوانين المقررة.

وانتهت الجلسة على هذا النحو وعاد الشاه. لكننا سوف نرى كيف نقض هذا القسم وذلك العهد، بل ينبغي القول إن هذا القسم وذلك العهد لم يكون إلا من قبيل الخداع، ولم يكن في قلب شيء من هذا.

الانقسام بين أهالي تبريز:

تعود ثانية في هذا الموضوع إلى آذربيجان: لقد كانت تقع بعض الأحداث، فكان العشاقون يقتلون على الحدود يوماً بعد يوماً، وكان الأكراد كذلك يقومون بالفتن وأعمال السلب والنهب، ومع كل ما قام به محتمل السلطنة في طهران إلا
أنهم ظلوا في أعمالهم تلك، وأبرق الحاج صمد خان المراغي القائد - الذي كان حاكماً على ساوجبلاغ - إلى فرمان فرما يبشره أن يقدم حيال الأكراد بحيلة حتى تتخفى أعين الأهلة، لكننا سوف نرى بأيّة فضائح هرب من ساوجبلاغ.

في تلك الأثناء قوى الانقسام في تبريزي بين الديوانية والاستبداد واتخذ طابع الصراع. وكما ذكرنا، منذ اليوم الذي أبدى فيه الحاج ميرزا حسن المجتهد وغيره عداهم تجاه الحكم الديوانية تعبعتهم جماعة من الناس وترجعوا عن الحكم الديوانية. ورويداً رويداً نال الحقد من قلوبهم وسطوا عليهم هنا وهناك بالدمار، ولم يستطع أبداً يقولاً أن "المطالبين بالحكم الديوانية ملاحة"، وكل سلك كانوا يشاهدونه منهم صادقًا كان أم كتبًا كانوا يتخذهونه دليلاً على إلحاحهم، ولما كان المطالبون بالحكم الديوانية في تلك الفترة يقترون يوماً بعد يوم تجاه الدين فقد أبدوا عدم اكتراثهم أكثر وكان البعض منهم جريناً، لذا كانوا يزيدون تدريجيًا من تعدد أعداد الديوانية حتى وقع الانقسام بينهم.

وانتقسم أهالي تبريزي الحاقدون، وكثيرًا ما ظهر العداء بين الأب وأبنته، وبين الأخ وأخيه، وفي السوق حيث يعيش أصحاب الحوانيت بجوار بعضهم البعض، انقسموا فيما بينهم، وكثيرًا ما كان ينشب النزاع في أحدهما الديوانية والاستبداد، وينبغي القول إنهم أوصوا الأمر بسبب جهلهم إلى أعمال غير محمودة، وما برر أولًا من المطالبين بالحكم الديوانية أنه لما كان يظهر تطورًا في أمرهم كانوا يكتسبون جملة "أيها المستدون إن الزنجيبيل موجود" على الورق المقوى والسراويل ويعلقونها أمام الحوانيت (1)، وكانوا يعلقون في الزنادق حبات الزنجيبيل على جوانب الأعلام، أو يملؤون طبقًا من الزنجيبيل ويعضعونه أمام المحال. وسوف نرى أن أعداد الديوانية كانوا يفعلون ذلك مع المطالبين بالحكم الديوانية.

في تلك الأثناء كانت تبريزي وكأنها ثكنة عسكرية أكثر منها مدينة، فبصفة

(1) كانوا يطبكون في تبريزي على زنجيبيل أمام الباب، ولم يكن الزنجيبيل في اعتقاد الأهالي هو أدنى ل Tüm القلب، لذا ما أبدى أحد حقده وغضبه قالوا: بلزمزه الزنجيبيل.
إجمالية كان يشاهد في كل ناحية ألف أو ألفان من المدربيين على المدفعية، فكان واضحاً إنه إذا ما وصل الصراع والانقسام إليه ينغي وضع حبات الرصاص بدلاً من الزنجيل أمام بعضهم وينتهي الأمر بسلك الدماء.

من ناحية أخرى، قبى عهد الحكم النيابي، كانت هناك جماعة في مدن إيران يطلق عليها اسم "الفتوحات" أو "المشدادية"، وكانت متمردة لم تتخلى للاستبداد، وحاول أن تحافظ على حريتها. وينبغي القول إن الخير والشر كانا معًا فيها لأن كثيرًا من رجالها الغيرين لم يتحملوا ظلم رؤساء القرى والفراشين وكانوا يقتلون الحرية والكرامة بأرواحهم، هذا ولم يغضموا أطرافهم أو فرش بحميات القويرة وشجاعةهم، وكانوا يعيشون بحرية، وكثيرًا ما تعاودوا مع أتباع رئيس القرية أو الحاكم، وكان يقتل بعضهم بينما يفر البعض الآخر من المدينة ويبهمون في النيابي والصحراء كالنمور والسود، وكانوا يحصلون على الطعام بالقوة ويعيشون حياتهم.

لكن البعض منهم ممن دخل في هذا الطريق كانوا يستخدمون قوتهم في أدي الأهلية، وهذا ما جمع بين الخير والشر فيهم بحيث لا يمكن الثناء عليهم جميعًا أو ذمهم جميعًا، لكن ما كان من فضلهم عدم خشيتهم الموت.

وفي تبريز كان مثل هذا النوع يوجد بكثرة، وقد أشتهى بعضهم، منهم حاجي اللنبيار الذي عاش خلال عهد محمد شاه وناصر الدين شاه وكان رجلاً صالحاً غيورًا. ومن نواحه أنه أثناء قدوم من يدعى رجب على الداروعه من طهران إلى تبريز، وبعد أن أبدى الكثير من الظلم والسلط وضبط سلطته على الدوام بالمذمة فما كان من حاجي اللنبيار إلا أن مضى في وضع النهار إلى مكباته الكائن في أحد دهليز السوق وقتله بحرية وخرج. ولا تزال هذه الحكايته تدور على الألسنة في تبريز حتى الآن، وأطلق على هذا الدهليز اسم "الدهليز الدموي".

منهم كذلك الأخوة صلاح أوغلي، وكانوا أخوين أو ثلاثة أعلنا تمردهم على الحكومة في عهد ولاية أمير نظام جروسي وحتى وقت بعد، وكانوا يعيشون
فازين فيما حول المدينة، ولم يقدم الوالي يد العون إليهم. وعرفت قصتهم كذلك في تبريز وتردد اسم حلاج أوغلي على الألسنة، وإذا ما أبدى أحد الغلبة على آخر يرد عليه الأخير بقوله: "لست حلاج أوغلي حتى أخشائك".

منهم كذلك ستارخان الذي عاش هاربًا لسنوات طويلة، وذلك قبل الحكم النبوي، وأعلن عصيانه على الحكومة، لكنه تراجع عن هذا الطريق من بعد وكان يعيش في المدينة على تجارة الخيل، ويعتبر الآن من رؤساء المجاهدين.

منهم كذلك نائب محمد في الأهراب، وكان الجميع يعرفونه بالخير.

ويذكرنا:

منهم كذلك كاظم دوانغر أوغلي وحسن الكباجي، وكانا في ضاحية الدوتشي، واتسما بالشجاعة وذبى الصيت، وكانا من مناصري ستارخان.

منهم كذلك عباس ويوسف وكانا في ضاحية هكماوار، وكانا كذلك من تلاميدي ستارخان حيث اتجها إليه دفعة واحدة وأعلنا تمردهما وهربا معه في الصحراء والجبال حتى وصل إلى مشهد ثم عادا، وكانا يعيشان في المدينة على العمل بالأجر.

كما يوجد العديد من الفئات في قرامك وأوسكو وغيرهما من الأماكن، وقبل الحكم النبوي - حيث راحت المنافسة بين ضواحي تبريز وأعلنت كل ضاحية استقلالها - كان لهؤلاء الفئات ضعف في هذه المنافسات وأوجدوا سوقاً رائجة لبضاعتهم، لكن لما جاء الحكم النبوي، زالت تلك المنافسات وابتعدا عنها، وأساهوا إلى الصمت كهما أو طوعاً ودخل كثير منهم بين المجاهدين وصاروا من مؤيدي الحكم النبوي، لكن لما ظهر الانقسام في تلك الفترة بين المطالبين بالنيابية وغير المطالبين بها كانت الخشية من أن يفتح الميادين ثانية لمنافسات الفئات، والما كان الحقد غالبًا في هذه الفترة؛ أنهى الأمر بالحرب وسفك الدماء انطرازيًا.
تأسس الجمعية الإسلامية في تبريز:

اتخذ ذلك الخوف مكانه، وفي تلك الآونة عادت منافسة الضواحي - التي كانت قد زالت - عن طريق آخر، وكيفية ذلك أن ميرهاشم - الذي كان منذ عودته من طهران يبدي تعاونه مع الحكم النيابي وكان يحضر إلى الجمعية وغيرها من المحاكم - دخل هذه الأيام ثانية من باب العداء وسوء النية، وأسس في ضاحيته جمعية باسم "الجمعية الإسلامية"، ونتيجة ذلك أن انفصلت الدوتشي - أحد الأحياء الكبيرة والقوية - عن غيرها من الأحياء وقامت بالعداء والمنافسة، وانضمت إليها سرخاب - المجاورة لها - وعلى هذا النحو ظهر انقسام واضح في المدينة.

وأطلق على المطالبين بالحكم النيابي اسم "الملاحدة" وكان يحترم الأهل على عدائتهم. أما الباحث على هذا العمل كما قيل أن ميرهاشم كان يريد أن يؤدّي نواب الجمعية الإقليمية الذين اختبروا في هذه الفترة - بحيث لا يتم اختيار سواهم وأتباعه. ولمأ لم يهتم الأحرار برغبته هذه استئناف منهم وسعى في عدائتهم، لكن كما علم بعد ذلك كان هناك بابث آخر، وكيفية ذلك أن محمد على ميرزا - الذي كان يسعى في هذه الفترة إلى تنفيذ خططه للإطاحة بالمستشار - كان يريد هو أيضاً نتسب الفتن ويسود الاضطراب في تبريز حتى يضع العراقيين أمام الأحرار، واختار ميرهاشم لهذا الأمر وأرسل إليه الأموال عن طريق حاجي إبراهيم الصراف أحد أثرياء البلاط.

ومع بدايات شهر آبان قام ميرهاشم بعمله، وكما ذكرنا، كان الفوات معرفين في الدوتشي وكانوا يضرون الحقد والعداء منذ أمد طويل لستارخان - فتوة ضاحية أمير خيز وكان شيخيًا - وذلك تحت مسمى منافسة الدوتشي وأميرخيز وكذلك تحت مسمى الانقسام بين الشيخية والمشترعة. ولما كان ستارخان في هذه الفترة مع المجاهدين والأحرار استطاع ميرهاشم أن يحدث فوات الدوتشي بسهولة على العداء للمطالبين بالنيابية. وكان هؤلاء يعيشون في هذا

240
الأمل، ولمكا الأحرار في هذه الأثناء هم الذين يجيبون على أمان المدينة، فقد يمهاوا لقاسام الأمور. كما أن هذا الدروس قد أعطى من طهران ومفاده أنهم إذا ما استطاعوا إلحاق الدأة والضرر بسما الروس - الذين كانوا كثرة في تبريز - فإنهم يضعون الحجة في يد الروس لمهاجمة المدينة، وكان محمد علي ميرزا يضغط في عدائه تجاه الحكم التنابي إلى حد أنه كان يتغاضى عن انفصال الدولة وانقسامها.

وعلى أي حال كان يشاهد هذا التصرف السبيء من قبل هؤلاء الفنوات كثيرًا، وفي يوم السبت الرابع والعشرين من آبان (9 شوال) وقع حادث مُخزٍ، وكيفية ذلك أن كاستم دوانتر أوجي ومعه ثلاثة من فنوات الدوانتش جعلوا يطلقون المدافع أمام جواتيت مجد الملك وصووا على أكروفا المعلم في المدرسة الروسية وجرحوه، ولما وصلت تلك الأخبار إلى قنصل روسيا طالب الولي بالتحقيق أو أن يأتي إلى الجمعية ويصر أمرًا بذلك. وفي الحال صار مع خمسة وعشرين من لواء القوزاق الروسي واندفعوا خارجًا وأصدر أمرًا إلى أقاربه من الروس بأن يحمل كل شخص نظاميته ومعداته ويرحب. وكانت نتيجة نشوب العراق بين مأهالي تبريز والرعايا الروسي، واما وصل إلى جواتيت مجد الملك ترجل عن عربته وأمر بأن يضع القوزاق الطلقات في بنادقهم ويستعدوا لإطلاق الغيران وبسط لنفسه في ذم إيران والإسلام. وإذا ما رد أحد انتهى أمره بارقة دمه، لكن مأهالي تبريز التزموا الصمت لمعرفتهم بنوايا الروس، وأثناء ذلك وصل رئيس التجار الروسي، ووعده القنصل بالحديث معه.

وهذه القصة تدل جيداً على أن الروس كانوا يتهينون القرص، وكان أتباع ميرهايم يسعون أيضًا في منحهم القرص، وضغط القنصل بعد ذلك بسلوكي المشين، فكان يستدعى فنوات الدوانتش ليستميل جنبهم، وألحت الجمعية على فرمان فرما كي يحكم دعائم الأمن والأمان في المدينة وبتعقب المسلمين ويعاقبهم حتى تنتهي حلق الروس، لكنه لم يتم في هذا الشأن.
كانت هذه هي أول نواة لمساواة ميرهاشم وأهالي الدوشي، وفي نفس هذه الأيام اتخذ الانقسام في المدينة طابع العداء، وبدأت المساعي في كل ناحية، وانفصلت مجموعات مجاهرة الدوشي وسرخاب الذين كانوا يبدون حتى الآن موافقتهم لغيرهم من المجاهدين واعتبروا من بناذة ميرهاشم.

وبعد عدة أيام وقع حدث آخر حيث تجمعت طائفة من السادة ورجال الدين وغيرهم في مسجد "صادقية" وقاموا بجلبة بحجة عدم الأمن في المدينة وغلقوا الأسواق.

ولم يعلم من أين كان مصدرهم، ولكن ما كان يعلم أن نواياهم كانت تشوب الفتن، وسلوك ميرهاشم هذا شجع أعداء الحكم النبوي، فكانوا يسعون لأنيتهم. وأيًا ما كان فقد تدخلت الجمعية ورؤساء الحريه وحالوا دون ذلك وفتحوا الأسواق.

وكما ذكرنا، كان يتم انتخاب النواب للجمعية الإقليمية من منطقه القانون، وتم هذا الأمر في يوم الجمعه الرابع عشر من آذار (30 شوال) واختار الأشخاص التالي ذكرهم:

اجلال الملك، بصير السلطنة، مؤمن همايون، افتخار الأطباء، حاجي أمين التجار، ميرزا على أكبر، معين الرعايا، حاجي مهدي كوزه كناني، حاجي محمد حسين الساعاتي، حاجي رحيم باكچي وحاجي ميرزا أبو الحسن انگجي (1).

وهذه الأشخاص - كما يتضح من اسماتهم - كان بعضهم من التجار والبعض الآخر من رجال البلاط أو رجال الدين، وهذا يدل على أنهم لا يزالون في تبريز يهتمون بالاسم واللقب رغم كل هذه الحركة وتلك الإنتفاضة.

من ناحية أخرى كان حاجي ميرزا أبو الحسن انگجي من صفوف حاجي ميرزا حسن وإمام الجمعه، وفي تلك الأثناء كان يعد اختياره للنواب في الجمعية دليلاً على قوة أعداء الحكم النبوي. و كما ذكرنا، كان أعداء الحكم النبوي آنذاك

(1) يجب أن يكونوا أثنا عشر شخصًا لكننا لم نستدل على اسم واحد منهم.
ب بدون غلبته. وفي نفس هذه الأيام تأسست جمعية في تبريز باسم "جمعية السادات". فضلاً عن الجمعية الإسلامية، ونشروا لائحتها في الصحف وأعلنت عن نفسها، وكانت هذه الجمعية بوجه عام تسعى إلى الحكم النيابي.

توجه فرمان فرما إلى ساوجبلاغ:

في هذه الأثناء وقع حادث غريب في ساوجبلاغ واضطر فرمان فرما إلى التوجه إلى هناك، وكيفية ذلك أن حاكي صمدوخان سردار مقتدر المرأى - الذي كان حاكمًا على ساوجبلاغ وكان يؤيد فرمان فرما في برقياته - كان يقول إنه ينوي تأديب الأكراد حتى تنفتح أعين الأهالي. وفي يوم الأربعاء التاسع عشر من آذار (3 ذي القعدة) أثار المدينة فجأة على الأكراد بالمدافع والأسلحة، وخرج هو وأعوانه وفعل هذا بأمر من الشاه، لأن صمد خان - كما سمعوه - لم يكن جبانًا وضيعًا وكان يدقق في الأعمال قدر استطاعته، وما أباد من ضعف إزاء هذه الطائفة لم يستطع فعله إلا عن رضا. من ناحية أخرى فقد قدم صمد خان إلى طهران بعد هذا التصرف ولم يحقق محمد على ميرزا موه ولم يعاقبه، بل - كما سنرى - منحه لقب شجاع الدولة بعد عدة أشهر ووجه به إلى تبريز.

ولما بدر هذا التصرف الحقيق من قبل صمد خان دخل الأكراد المتمردون المدينة بأمر من العثمانيين ورفعوا هناك العلم العثماني وفتحوا أيديهم بالسلب وألقو الأذى بتجار تبريز وغيرهم من غير الأكراد.

في نفس الليلة قدم فرمان فرما إلى مكتب البرق وتباحث مع طهران، واقترح أن يتجه بنفسه إلى ساوجبلاغ ووصلت الردود إليه من الشاه والمجلس، وما حدث أنه جمع من الغد عدداً من الفرسان والجند ممن هم في متناول يده وتهيأ للمضي، وكانت البشري تأتي من طهران بأن الفوزاق والجند يواصلون المسير إليهم ولم يفكوا عن المساندة.

من ناحية أخرى أثرت هذه القصة بشكل كبير على المجاهدين وعزموا
جميعًا على الانضمام إلى فرمان فرما والمضي إلى ساوجبلاغ، ولما لم يسواهم
ظنه آخرين تهيأوا لهذا الأمر عن طوعية وأمل. واهتمت الجمعية كذلك بالحادث،
وكان معها من كل طرف ولم تضمن بأيدي لأفرمان فرما. وفي عصر ذلك اليوم
عظم فرمان فرما على السير لكنه لم يرتفع مراقبة المجاهدين فأخذهم. كما عاد
نواب الجمعية وعدد من الروساء الذين كانوا يراقبونه حتى هناك.
وجاء في كتاب "بلاء تبريز": إن رغبة فرمان فرما من هذا الذهاب هي
حمل الأسلحة والآلات الحربية خارج تبريز حتى لا تبقى في متناول أيدي
الأحمراء. ويقول أنه أخذ منه ستة آلاف بندقية وخمسة آلاف طائرة وأربعة مدافع
وحصل من الجمعية على مائتين وثمانين ألف طومان لتجهيز هذا الجيش، وفعل
هذا حتى يجعل الجمعية خالية الوفاض.
وهذا الحديث لا يتفق مع التضحيات التي كانت ترى من فرمان فرما في
ساوجبلاغ (سوف نكتب فيما بعد) لكن هذا لم يكن بعيدًا عن حيل محمد على
ميرزا خاصة - كما سنرى من بعد - أن البلاط كان يسعى في نفس هذه الأيام
لرسم خطة جديدة للإطاحة بالحكم النيابي، ومن هذا المنطلق كانت الوعود التي
أعطيت فرمان فرما بإرسال الفوزان والجند جميعًا كتبًا صرحا، بل إن أزمة
آذربيجان كانت في هذه الأثناء، واستدعى أمير بهادر ثمانيات فارس من قراجه
داه إلى طهران، ولا ريب أن محمد على ميرزا لم يكن يسعى إلا للإطاحة بالحكم
النيابي ولم يكن يهم بحادث ساوجبلاغ.
هذا ويمكن التدقيق بسهولة أن نيته كانت خروج الأسلحة من تبريز،
ويمكن القول فيما يتعلق بفرمان فرما أنه كان يقوم بهذه التضحيات لحفظ ماء
وجهه. وعلى أيّة حال - كما سنرى من بعد - لم يستطع فرمان فرما القيام بشيء
رغم هذه المساعي والتضحيات، ومعظم الأسلحة والآلات التي أخذها أعداؤه بعد
بضعة شهر حيث وقعت في أيدي الدوتصي وأتباع الشاه، وهذا نفسه بعد دليلًا آخر
على صحة كلم كلام "بلاء تبريز".
وبعد عدة أيام من خروج فرمان فرما حيث وصلت الأنباء المحزنة من طهران بشأن "فتنة ميدان المدفعية" وقيام أحرار تبريز بعمل حكيم، وأجلسوا محمد على ميرزا في مكانه. ونظرًا لأننا سنكتب ذلك بشكل تفصيلي فإن تقوم بسرده في هذا المقام، وما يجب أن نذكره هنا هو القصة المحزنة للمغفور له السيد محمد أبي الضياء الذي كانت في نفس هذه الأيام. كما ذكرنا، كان أبو الضياء أحد رواج الحرية وكان هو نفسه من المجاهدين في هذا السبيل، قبل الحكم النيابي كان يحرر صحيفة "عدالت" بمساعدة السيد حسين خان، وفي عهد النيابية لم يكف عن الجهاد، وقد أسس منذ فترة صحيفة "مjahed" بمساعدة حاجي ميرزا آقا بلوري وكانت من صحف تبريز القوية.

وفي تلك الأونة نشر في تلك الصحيفة مقالًا تحت عنوان "مكتب من النجف" ورد فيه أن الأنسينة حينما بسطت بالمذمة في السيد كاظم الزيدي فقد أطلقوا عليه اسم "ابن ملجم"، وكان ذلك باعثًا على نشر الفتن بين الأهلاء.

وكمما ذكرنا، كان السيد الزيدي يعد من صفوف أخوند خراساني وحاجي الشيخ مازندراني وكان يقوده حشد كبير من الإيرانيين، وقد ذكرنا قصة التقليد هذه، وفيما قبل الحكم النيابي بقيل كان يوجد عدد آخر من المجتهدين كالشيخ مقالي وفاضل الشربيني، ولم تروا بأخذ هؤلاء الثلاثة مكانهما فتبعهم حشد كبير من الإيرانيين، وبعد الحكم النيابي لما لم يبد الأخوند وحاجي الشيخ اكتشافًا بوجالة الدين نهضا لتلقييد النجفية وعاد عدد كبير من أتباعهما وأعلنوا تبعيتهم للسيد الزيدي، وعلى كثر مروده، إذا عندما صدر ذلك العدد من "مjahed" أعربوا عن عظيم استيائهم. وقيل لما سمع البعض بذلك سحقوا رأسه بأيديهم، وهذا دليل على تعتفاف الأهلاء مع مجتهدي النجف واستياء بعض المطالبين بالحرية من ذلك المقال، وكان للأحداث من المكانة بين رجال الدين والمطالبين بالحرية، ولم يقطعوا مرة واحدة عن الأحرار انضموا إلى أعدائهم.

وكان ذنب السيد محمد عظيمًا، فالجمعية الجديدة التي ذكراها لم يكن لبعض نوابها - كما كان ينبغي - ارتباطًا بالنبيبية ولا بالحرية وكان منهم إنكجى الذي
كان يعد من رجال الدين والمجتهدين وقد أعربوا عن عدائم الشديد تجاه أبي الضاياء. إذ تحت مسمى استرضاء الأهالي أو من قبلهم وقضاياهم، وبرغم وقوع فتنة طهران وانشغال الرؤساء المطالبين بالحرية بها لم ينتحوا عن ذلك ولم يبدوا ضعيف أمراً وأصدرت الجمعية مكتوبًا تعرب فيه عن استمتاعها من ذلك المقال الذي كان من أوله إلى آخره سبباً لأبي الضاياء ونشرته في جريدة الجمعية ثم استدعت أبا الضاياء إلى الجمعية وقاموا بالتحقيق معه في حضور انگجي وغيره وقيدوا قدميه في فلكلة حسب أوامر انگجي وضربوه بالعاصمة، ولم يكتفوا بهذا السلوك المذين وأمروا أن يخرجوه من المدينة. ورأى أبو الضاياء عدم الاحترام - الذي لم يره في عيد الاستبداد - في عيد الحرية.

وهذا حديث عن أبا بلوري، حيث يقول إنه أحضرته إلى منزله بعد ضربه بالعصا وواسيته، ولم كانا قد وكلوا بعض فرسان الشاهسون حتى يخرجوه من المدينة فقد علمت أنه إذا ما عهد به الشاهسون (وكانوا قد سمعوا أنه من الملمحين) فلاشتك أنهم سيقتلونه في الطريق، لذا هربت أبا الضاياء ليلاً من المدينة ولم أسلمه إلى جند الشاهسون.
كيف نشأ الصراع ثانية؟

يدور الحديث في هذا المقال حول فتنة ميدان دار المدفعية، وحول الأحداث الأخرى التي وقعت بعده حتى حدث قصف المجلس النيابي بالمدفع.

سواء نوابا سعد الدولة والأمير بهادر وغيرهما:

كما ذكروا سالفًا أدخل اغتيال عباس آقا للأتباع الفزع في قلوب رجال البلاط، وكان نتيجة ذلك الفزع أن ساد الهدوء لمدة ثلاثة أشهر، لكن حينما تقدمت قصة الأتباع ولم يظهر فدائي آخر كما كان الظن، زال الفزع تدريجيًا من القلوب وبدأ محمد علي ميرزا ورجال البلاط وغيرهم من أعداء الحكم النيابي العداء ثانية. في هذه الأثناء ساهم وجود شا شال والأمير بهادر وإقبال الدولة ومجلس السلطان وغيرهم ممن التقوا حول الشاه في حله على الصمود في مواجهة المجلس، وكان سعد الدولة من ألد أعداء الحكم النيابي وأكثرهم في حله الشاه ضد. فمنذ أن تنحى عن المجلس وهو يبدع عداءه للنيابية، لكن بعد أن صار وزيراً للخارجية وبعد أن رفضه الموظفون الأحرار في تلك الوزارة ازداد حقده على المجلس والنيابية ورداً من مساعيه التي كان يقوم بها بالتعاون مع آخرين في البلاط، وتردد على الألسنة منذ فترة أن سعد الدولة والأمير بهادر يعدينجلسات السرية ويذرون إلحاق الأذى بالنيابية، ويقال إن الحاج الشيخ فضل الله النوري وكذلك الحاج الشيخ مرتضى آشتياني قد تضامنا معهما ودار هذا الحديث في المجلس وذكر اسم سعد الدولة علانية.
وكما أسلفنا، خفضت لجنة المجلس مبلغ ثلاثمائة وثمانين ألف طومان من نفقات البلاط السنوية، وقيل محمد على ميرزا ذلك ولم يعرف به سببه، ومضى بعد ذلك إلى المجلس وأدى اليمين، لكن سعد الدولة وأتباعه كانوا في هذه الأثناء قد اتخذوا من ذلك ذريعة جيدة لهم وقاموا ببعض الأعمال على النحو التالي: فقد أوضحوا لخدم الخيول والجمال والفراشين وخدم القصور ومثل هؤلاء من صغار عمال البلاط أن المجلس اقطع راتبهم السنوي وحظر محمد على ميرزا على الامتاع عن دفع الأموال لهم. حذى في حين أن مبلغ الثلاثمائة وثمانين ألف طومان قد اقطع من مواضع أخرى ولم تكن هناك علاقة بين هذا المبلغ وبين رواتب هؤلاء العمال السنوية. ونضبنت تلك الجماعة من عمال البلاط الذين كانوا كثرة من الرجال السدح الذين لا دراية لهم بالأمور - لمناهضة النيابية والمجلس - واتحدوا فيما بينهم وجعلوا ينتظرون هنا وهناك ويذمرون النيابية والمجلس، وذات يوم مضوا إلى دار ناصر الملك وأبدوا وقاحة تفوق الحد، وكان الإقطاعيون الذين كانوا مستاءين من الحكم النيابي يزيدون من نارهم من ناحية أخرى كان سعد الدولة وأتباعه يجتمعون ليلةً ويخططون للقيام بالحيل، كما كان كل من الحاج الشيخ فضل الله السيد على الويرد ومؤسس جمعية الفتوى يدعو النيابية ويشاورون، وصورة عامة كانت ثورة سرية لإلحاق الضرر بالنيابية تسعى فيها عدة جماعات.

أثناء ذلك استدعى محمد على ميرزا بعض النواف من المجلس إلى البلاط، ومضى بعض الأفراد إلى هناك، ومنهم الحاج السيد ناصر الله، وتحدث محمد على ميرزا في البداية ثم أمر أحد رجال البلاط بقراءة مذكره تصفيقية كانت قد دونت من قبل، وكان يهدف من وراء ذلك الحديث وثلك المذكرة إلى أمرين، أولهما: أن يتحي المجلس عما حدث له ويتدخل في أعمال الحكومة أو في أعمال القوة التنفيذية، والآخر الآخر: أن يوضح أن الجمعيات التي أقيمت بكثرة هي سبب الفتنة في العاصمة. وكان يقول: "إنه طبقاً للدستور ينبغي على المجلس سن القوانين فقط دون القيام بأي عمل آخر لكن المجلس لم يلتزم بذلك، كذلك أفضلت الجمعيات أمن
المدينة وهدوئها وتدخلت في كافة الأمور السياسية والحكومية، وإذا ما كانت جميعها لرعاية مجلس والمحافظة عليه فقد أقسمت أننا ننسى على ذلك وسوف أرها.

ووضوح أن من قدم هذا الحديث الذي له السمة القانونية هو سعد الدولة، وكانت رغبته هي تقييد الأحرار بآية القانون، ولم تكن هذه الانتقادات دون أساس، فلم يكن خيال أن المجلس لم يكتف فقط بسن القوانين وكان يتدخل في أمور الحكومة وأعمال القوة التنفيذية، لكن هذا كان اضطراباً لأن الحكومة كانت تعزل الأمور قد استطاعتها ولم تكتثر بالقانون، واضطر المجلس أن يضغط ويشتدر فضلاً عن ذلك كان هذا المجلس هو المجلس الأول، وكان هو نفسه مؤسس النظام والدستور، فلا يمكن أن يكتفي بالأسلوب البسيط للمجالس الأخرى خاصة أمام حكومة يملك محمد على ميرزا زمامها، وأقوال الشاه تلك ليست إلا من قبيل الخداع، فهو نفسه يعلم أن المجلس لم يقم بأعمال لا طالب من ورائها.

أما الجمعيات، فهي الواقع كان لها ضلع في كل ثورة وحركة، وكان البعض منها بلا أساس ولم تستطع إلا أن تكون سبيلاً في نشوب الفتن. من ناحية أخرى، كما سنرى من بعد، أنها لم تنجز شيئاً في الأيام العصيبة. وعلى أية حال فهي تعد تأييداً للمجلس ويجب وجودها في كل الأحوال، ولم يجد أحرار طهران طريقاً آخر أفضل من هذا لمساعيهم فاختاروها. وعلى أية حال كانت الشكوى منها في أوقات الفتنة لا محل لها.

كان هذا الحديث يوم الأربعاء الخامس من شهر آذر (10 شوال) وأنهى الشاه أحداثه قائلاً:

فلتمضوا ولتتحثوا فيما ينبغي عمله خلال هذه الأيام الثلاثة أو الأربعة، ولتطلعونى على رأيك يوم الأحد.

ومن بعد يوم الخميس ذكر حديث في المجلس حول هذا الموضوع وتليت مذكرات الشاه وتحدث النواب كثيراً عن أن المجلس لم يقم إلا بدوره ولم يبتعد حدوده.
وأن الجمعيات لم تكن باعتلا الخصوم الفتن، فقد نشب العديد من الفتن في طهران ولم يكن للجمعيات دخل في أي منها، وعزموا على كتابة ردٍ وإرساله إلى الشاه ثم عقروا على نفس الحديث في جلسات أخرى، وفي النهاية كتبوا ردًا ورد في أن المجلس لم يتع حدوده قط والحكومة هي التي يجب عليها أن تلزم حدودها ولا تحول دون أعمال المجلس. أما عن الجمعيات فهي قائمة من منطلق الدستور الحر ولم تكن غير قانونية في أي وقت قط حتى يجب على الحكومة منعها. كتبوا هذه الرسالة وأرسلوها إلى البلاط عن طريق بعض النواب، وأظهروا رجال البلاط اللين والرياء ثانية حيث قلما:

"إن رغبتنا هي استقرار البلاد وأمنها وتحقيق الهدوء للأهالي وما من نية أو أمنية أخرى لدينا.

وعلى هذا النحو أرسلوا الستار.

ضعف أعمال المجلس:

لكن على أية حال لم تبق الحقيقة مستورة، فكان يبدو أن لديهم خطة تستدعي الخشية وكانوا يظهرون علامات أخرى في كل لحظة. من ذلك أن الشاه منح الأمير بهادر في هذه الأيام لقب كبير الحراس دون علم وزير الحربية، كما استدعى سبعمائة فارس من آذربيجان إلى طهران، وعدم الاكتئاب هذا بوزارة الحربية واستدعاء الفرسان كان دليلًا آخر على سوء نية البابا ومساعيه الخبيثة. كما أن الأمير بإرسال كتاب الفزع والفرسان إلى ساوجبلاغ - الذي بشر به فرمان فارما - لم ينفد، وبدلًا من ذلك كانوا يصدون الأوامر في كل مكان يتواجد فيه أحد أتباع البابا حتى يعرض الأهالي على القيام بقتلة، وأرسل الشاه الخليفة إلى الشيخ محمود وراميني الذي نهض منذ فترة ضد البابا وكان داعم الصيغة هناك، في نفس هذه الأيام وقعت ورقة في أيدي الوزراء قال إنها كانت بخط الشاه نفسه كان قد دونها لأبناء السهداء في تكابين وأمرهم فيها بحث الأهالي على القيام بثورة.
وبصفة عامة، لم يمنعوا للصوصية وقطع الطريق في أي مكان، وكما سنورد في موضوعه، تبين النائب حسين كاشاني الفرصة في نفس هذه الأيام وقام بجمع الأتباع والمؤيدين.

وكتب أحد الكتاب الروس - وكان يعيش في طهران آنذاك - هذه القصة:

يقول فيها:

"ما كان يبدو غريباً من وجهة نظر واحد من الأوروبيين أنه مع عدم وجود أي نوع من العرقية، فلا دماء تراق، ولا اضطرابات تقع، إلا أن الأهالي نهضوا دفعة واحدة، ورغم ذلك لم فقد المدينة الأمن والهدوء، وإذا ما وقع مثل هذا الحادث في إحدى الدول الأوروبية لتخصيب الدولة بأكملها بالدماء وقضى السيف والنيران على كل شيء.

والأعجب من هذا أن المجلس لم يبد سوى عدم المبالاة إزاء الاستعدادات والعداءات التي كانت تظهر من قبل الباشائش وأتباعه ولم يتم بمنعها، وبالرغم من أنهم تحدثوا في هذا الشأن في إحدى جلسات المجلس السرية، وقال ناصر الملك - الذي كان رئيساً للوزراء - في وضوح:

"نعتذر أمير بالبلد، وتعذر بأمر بإحياء
للفرسان لأول دليل على استعداد الباشائش.

فكان الحدث يدور حول هذا الشأن في المجلس واتخذ بعض النواب ذريعة لهم واحتدوا في النقاش إلا أنهم اكتفوا بتلك الحدة، ولم يتمكنوا أن يجب عليهم الوصول إلى حل لمنعهم.

واستطاع المجالس أن بحث الأحكام على شراء البنادق ومعدات الحرب، كما قام باستدعاء البنادق من المدن الأخرى. وعلى أي حال فقد استعيد بقوة، واستطاع عزل محمد على ميرزا من الملك بسبب نقضه للليمين، وأطاح بخططه بعمل جرئ.

Persia and Turky in Revolt, by David Fraser. (1)
كما فعلت جمعية تبريز نفسها العمل بعد أيام وجعلت محمد على ميرزا مكتوف الأيدي.

في تلك الأثناء كان للسلطان يعيش في طهران آمالا في العرش، وكان يقوم ببعض الأعمال في الخفاء للوصول إلى هذا الهدف، واستطاع المجلس أن يستمعه وألجموا محمد على ميرزا، وبلئك قذوا قدمته وردته. لكن لم يبق أي منهم بهذه الطرق وأدع الزام في يد الأحداث، وطبقا لما قاله البعض إنهم كانوا يريدون أن يبتغي الأمر في الظلام ولم يروا الحاجة ماسة إلى القوة، وكان هذا التفكير الساذج بجده مكاناً في قلوب بعض الرواد، وما كانوا يتقدمن في أعمالهم دوماً بالجلبة والصياح والحركة والثورة فقامت هذه الحجة لهم وكانوا يريدون عدم القيام بشيء إلا من هذا الطريق.

والأسوأ من هذا في هذه الأيام أن جمعيات طهران اجتمعت في مكان واحد، وبعد التباحث أرسلوا إلى الشاه يطالبون بطرد سعد الدولة والأمير بهادر من البلاط وقيلوا: `لو لم يتم طردهما سيقوم الشعوب نفسه بهذا الأمر.` بعد ذلك كانت هذه الجمعيات تجتمع يومياً في مدرسة السبزوار، وكان كل من ملك المتكلمين والسيد جمال يتحدثان ويذمشر الشاه والبلطية ويوجهان إليهما الرسائل باسم شعب إيران، كانوا يقومون بذلك ولم يرد على فكرهما فقط أن الحاجة ماسة إلى القوة، وكأنهم لم يدركوا فقط أنه إذا ما أسلم الشاه سيفرقهما بقوة البندقية ويقطع المجلس من جذوره، ولكنهم لم يصدقا شيئاً من هذا. وهذا ينبغي القول إنهم كانا في غاية السذاجة.

والأعجب من هذا أن المجلس وكذلك الجمعيات لم يخطروا المدن ولو مرة واحدة بهذا ولم يطلبوا منها المساعدة، ولم يروا الحاجة ماسة إلى ذلك من فرط ساذجتهما، وكانوا يظنون أن ثورتهم وجلبهم وحركتهما كانتا لصد البلاط. وعلى هذا النحو كانت الأمور تسير حتى يوم السبت الثاني والعشرين من شهر آذار (8) ذي القعدة) حيث كانت حكومة ناصر الملك - التي تأتي بحدود الفتنة - تريد أن تكون في منأى من ذلك ففتحت عن العمل وأخبرت الشاه بحقيقة الحال، وسوف نرى أيّة ضجة قامت من نجد ذلك اليوم.
وهذا نموذج لسلوك ناصر الملك، فكان هذا الرجل يريد ألا يظهر عداءه للأحرار وألا يلحق بهم الأذى، والأكثر من هذا أنه لم يبدوا تضامناً. فالرجل الذي تلقى العلم في إنجلترا، وكان يدرك المفهوم الحقيقي للحكم النيابي وقوائده لم يفرق بينه وبين الاستبداد وقلمها أبدًا تعاطفاً تجاه النيابية. وعلى أيّة حال كان الناس يقدرونه هو وأمثاله ويعتبرونهم ممن يحترقون من أجل الشعب والدولة.

الهجوم على المجلس وبداية الثورة:

كما أسلفنا كان الأعداء يستعدون بالمعدات، ولم ينتهي الأمر قاما بعملهم يوم الأحد الثالث والعشرين من آذار (9 ذي القعدة)، ففي هذا اليوم وخططوا الشمس حتى مسست جماعة من أوباش سنكلج تحت إمرة مقتدر نظام وجماعة أخرى من رعاع جالس ميدان تحت إمرة صنبع، حضرت كل منها من طريقها واجهت ناحية مسجد السهقالار، وعندما تجاوزت الشوارع ووصلتنا إلى هناك اندلعت معركة.

وكما ذكرنا، كانت مدرسة السهقالار في هذه الأيام مقرًا للجمعيات وكانوا يجتمعون فيها لأيام طويل، واليوم كان يوجد بها عدد كبير منهم، ولم يأتت هناك الجماعات علموا بقيدهم فرجعوا من قيّد الأعداء لكنهم لم يبالوا. ونظرًا لمكوثهم هناك لفترة طويلة، ولم يخدم لهم استمرارهم قاما الشغل فجأة وجعلوا ينزلون في المجلس والنيابة وخرجوا من المدرسة ببطولية وضجة وأجها نحو المجلس وأغلق أعضاؤه ذเฉพาะاً وقوموا وأطلقوا عدة أصوات على الباب ثم قاموا بإغلاق الأحجار عليه، لكن لما صعد واحد أو أثنان من المجاهدين أعلى المدرسة بالبنادق، بدأوا في إطلاق النار ولم يقاوموا وعاد المشاغبون الذين يذمرون وأجها نحو ميدان دار المدفعية حيث اجتمع فيه عمال الخيول والجمال والفراعش والبنادقة وعلماء الحراسة، وجد الأمير بهادر وغيرهم وكانوا حذاء كبيرًا، وأقاموا الخيام الحكومية وأعدوا المطابخ الكبيرة، وكانت خطة محمد علي ميرزا أن يطلب بالمجلس والحكم النيابي بأيّة هؤلاء الذين جعلوا من ميدان دار المدفعية مقرًا لهم.
من ناحية أخرى فقد غلقوا الأسواق نتيجة للجلبة، وحضر إلى الميدان أعداد
الحكم النيابي من كل صوب وحذب وانضموا إليهم وانتقلت خدمة الخيول والجمال
السجح الجاهلين بأوباش سنجلك وجماله ميدان ورجال الدين العامين ممن أظلمت
دخلتهم، وكانوا يروحون ويجبون في سعادة وجلبة وحركة ويدفعون على التوالي،
في سب الحكم النيابي والحرية، لولا أقاموا الخيام بعد ذلك واستحكم أمرهم صعد
السيد محمد البدري والسيد أكبر شاه وغيرهما من قارئي الروضة والوعاظ على
المينر وتحدثوا بأسلوبهم ولم يكفوا عن توبخ الحكم النيابي وذمه، وكانت تُتردد
على الألسنة جملة تتن ريد دين النبي ولا تريد الحكم النيابي.

كان هؤلاء على هذه الحال بينما تقع بعض الأعمال في البلاط والمجلس،
ففي البلاط كان الأمير بهادر يفخر بنصره، ولم يكشف سعد الدولة عن مشاركة الشاه
في تفكيره وإرشاده وكان لياخيف قائد لواء الفزواق قد شوهد اليوم في البلاط،
والفزواق الذين تحدثوا عنهم بأنهم سيرسلونهم إلى ساروجبلاغ احتفظوا بهم اليوم في
ظهران بحجة صد الفتنة وجعلوه في حرسية ميدان دار المدفعية. أما في المجلس
- فكم أسلفنا - لم يكن لديهم قط أي نوع من الاستعداد، ومع هذا أبدى النواب
صمودهم وضغطهم على النحو التالي حيث قدم المُغفور له بهبهاني واحتشام
السلطة وغيرها إلى قصر بهارستان لإنجاز أعمال اللجنة ولم يهابوا الحديث ولم
يتفرقو، وسارع الآخرون كذلك من الخارج إلى هناك وأعربوا عن تعاونهم، كما
اتجه الأحرار - الدائى منهم والقاضى - إلى هناك، كما كان أداء النيابية
يجتمعون في ميدان دار المدفعية، بينما اجتمع الأخبار في بهارستان ومدرسة
السپسالار، وكان سلوك المجلس هذا شجاعًا وحكيمًا.

وكتب أحد نواب أذربيجان (مستشار الدولة نفسه) قصة المجلس في ذلك
اليوم وأرسلها إلى تبريز حتى تنشر في صحيفة الجمعية، هذا ونورده جزءًا منها في
هذا الموضوع:

في صباح يوم الأحد... توجهت إلى المجلس مبكرًا عن أي يوم، ووجدت
الرئيس هناك وبعض رجال الدولة من أهلهم معين الدولة وغيره، كما حضر جناب

254
السيد عبد الله، ومن أن المرجع - الذي كان على اتصال بالمجلس - كان مجتمعًا في مسجد السبيل السالم وقدم إلى هناك أيضًا صنيع حضرت ومقدّر نظام واجتثاماً مع رجالهما في مكان خاص في أحد أفنية المسجد، وبمجرد أن صادق الرئيس الفتنة والفاسد أرسل علاء الدولة ومعين الدولة أخاه في أثر جماعة من المبجلين، واستعاد ظل السلطان بسبب قرب منزله وغادروا المكان وأحضروا عضد الملك ونائب السلطنة كي يحمل الرسالة من قبل المجلس إلى صاحب الجلالة الملك العظيم وأرسل جناب السيد عبد الله - الذي كان حتى تلك اللحظة يظن أن صنيع حضرت أحد الفضاءة المؤندين له - شخصًا ليستدعاه من المسجد لقاء السيد، وواجه ذلك الخبيث وخدع السيد قائلاً: إنني جئت للدفاع عن المجلس من محاولة الاغتيال والتآمر التي قام بها مقتدر نظام مع آخرين، لكن ما أن خرج حتى نشبت جلبة وضجة بعد عشر دقائق في الشارع خارج المجلس، وأعقب تلك الجلبة هجوم الأرامل والأوشا على باب المجلس وتم قصفه بالبنادق والمدافع.

ومعلوم في ذلك الوقت أن المجلس لم يكن بأكمله باستخدام ثلاثة من البنادقة دون سلاح وجمع من الفوزان العزل مع بعض النواب وجناب السيد عبد الله وبعض المبجلين، وأدى وقوع هذه المؤامرة وذالك الواقعة بشكل مفاجئ إلى وقوع الثورة والفوصا، فأغلقوا باب المجلس على الفور وفكر الحضور في الدفاع عن... وكان يوجد من بين الحاضرين بعض أعضاء الجمعيات ويزال أن أثنا أو ثلاثة فقط قد اعتدوا حصون المسجد والمنارات، وتمكن أحدهم من تفرق الحجم حول باب المجلس، ولم يتورع الأرامل والأوشا عن التحرق على المجلس وقاموا بجحثاً وذنوبياً وتوجهوا إلى ميدان دار المدفعية... وفي كل لحظة كانوا يفكرون في الهجوم على المجلس، وكانت تلك الأثناء لا تصل هنديًا. من ناحية أخرى، استعد أربعة من البنادقة للدفاع وفكرت بداية في الثمانية كتابة من البنادقة، وبعض الأسلحة التي أعطناها، وتحدثنا أن جيش سلم ونور لا يستطيع مواجهتنا وعلى الغور ملأوا بنادق الجند الخارجي وأرسلناهم أعلى المسجد، واستعداد شباب جمعية أذربيجان الغيرون. والخلاصة أن ذلك اليوم نسي تثليلاً على جميع القوى
لدرجة كان فيها لكل دقيقة قيمتها، وفي كل لحظة كانت تتبع الاضطرابات، واستعد الجميع بالسلاح حتى تم إعداد عشرين كتيبة من البنادقة حتى الغروب.

ضغط المجلس وصمود:

لكن المجلس كان يمارس أسلوبه الساحر، وكان احتشام السلطنة يحاول إرسال ظل السلطان أو كامران ميرزا لدى الشاه ويشكو من حادث الفتنة ويطالب بمنعها، وأثناء ذلك لم يتخل عن الحدث بحماسة وأمل. ولم يقبل ظل السلطان والآخرون هذا واضطر احتشام السلطنة إلى البقاء، وأرسلأخويه علاء الدولة ومعين الدولة ولما وصل إلى الشاه واعتبر الأخير هذا مهنة، وأمر بربط علاء الدولة في الفلكة وضربه بالعصا (1)، ثم سلمهما إلى القوزاق ووجهوا بهما إلى مازندران.

ولما وصلت هذه الأنباء إلى المجلس قام الأحرار بالجلبة والثراء، وحاول احتشام السلطنة تهدئتهم بالحكمة وتحدث معهم باللين. في هذه الأثناء وصلت الأنباء تفيد بأن الشاه قد اعتقل ناصر الملك، حيث غضب الشاه على ناصر الملك والوزراء الذين تتحوا بالأمس، واستدعاهما اليوم إلى البلاط، وكان ناصر الملك يعترض بحجة عدم موافقته على الذهاب لكنه استطاع إلى ذلك في النهاية، وقد وخب محمد على ميرزا كثيرا وأمر بضربه بالعصا ثم أمر باعتقاله في حجرة صاحب الدولة. كذلك أدى حدة وبداءة تجاه الوزراء الآخرين لكنه لم يعتقلهم (2).

(1) كما أسفنا الذكر فإن علاء الدولة قد ربط السيد قنديل في الفلكة وضربه أثناء توليهم الحكم في طهران، وكان هذا الحديث أحد أسباب حركة الظابية، وأنهم يطلبون عقبا من جنس العمل بيد محمد على ميرزا، ولم يكن علاء الدولة هذا متاعقاً مع الحكم الظابي إنه كان يبدي تضامنه مع المطالبين به في هذه الأزمة وأخره احتشام السلطنة رئيس المجلس، وكان لمعين الدولة كذلك نفس الوضع.

(2) لم يفض ناصر الملك في المعتقل أكثر من عدة ساعات حيث توجه السفير الإنجليزي إلى محمد على ميرزا مذكراً إياها بأنه تلقى العلم في الحتجزا وأسلم وسماعاً منها فتم إخلاء سبيله، ولم يتم بشيء آخر تجاهه، ومن بعد ذلك اليوم غادر طيران واتجه إلى أوروبا.
ولما كان ناصر الملك من مؤيدي النيابة فقد استاء الأحرار من هذا
وأعرب البعض عن عدم قيمتهم لما حدث وافترحوا أن ينتخبوا بعض العلماء من
النواب ويرسلوه إلى البلاط لإتمام الحجة، واختاروا ستة كان الحاج إمام الجمعة
في خوبيي أحدهم وأرسلوه لكنهم لم يجدوا سبيلًا لدى محمد على ميرزا وعادوا.
في هذه الأثناء، ومع نهاية اليوم، اقترح بعض الأحرار أن يمضي النواب
غيرهم ليلاً إلى دورهم وأن يبقوا في بهارستان، وقام كثير منهم بالجلبة، وقالوا
للنواب: لن نفصل عنكم. وكان هذا تفكيراً صادقاً وقبله النواب. فلما مضى
النواب إلى دورهم في تلك الليلة فما أكثر من كانوا يعترلون ليلاً.
وقضي الجميع الليلة في بهارستان وطلب الأثرياء الطعام من منازلهم وكان
بوفرة حيث قدم للجميع، وطبقاً لما ورد في جريدة الحبل المنية بلغ تعدادهم أربعة
آلاف شخص تعهدوا بالحراسة وظفوا أقاطاً طوال اليوم دون أن يستريحوا للحظة.
وكانت الليلة بالنسبة لهم ليلة مخيفة، فلم يكونوا - كما ذكرنا - يملكون أكثر من
عشرين بندقية، وإذا ما حدث هجوم من قبل الأويش لم يكن يعلم كيفسيتى
الأمر، والجدير أن محمد على ميرزا لم يصدر أوامره بالهجوم على المجلس في
ذلك اليوم وتلك الليلة.
أما من ساعة نوابهم فكانوا هم كذلك قائمين بالليل في ميدان دار الدفعية،
لكنهم كانوا في أمان وودوء نفسي، فضلاً عن أنهم كانوا يمثلون حشدًا كبيرًا وكان
لدي العديد منهم المدافع والبندق فقد كانت طواحين من القذائف والجند تحاصرهم
بالحراسة وهم مدججين بالمدافع، وكان الطعام هنا كذلك بوفرة.
ومن غير يوم الاثنين ازداد الاحتشاد في مجلس آخر واتجه الناس جماعات
إلى هناك وامتلأ بهارستان ومدرسة الس慧فسار ووقف البعض أمام المبنى
واستقرت الجمعيات في المدرسة واختاروا كل واحدة منها حجرة لها، وازداد عدد
البنادق وأحكم البنادق أماكنهم فوق الأسطح وأعلى المنارات والمنازل، كذلك
اختاروا لجانًا للتقال والطعام وأوعدوها زمام الأمر، وفي ذلك اليوم رفعوا علم
المجلس الموفر أعلى الباب كما علقوا عليه كذلك قطعة من القماش الأبيض مدون عليها: "الزموا الهدوء". ولم قد بدأت جلسة المجلس دار الحديث ثانية عن إرسال الرسل ووجهوا بالستة أشخاص الذين تم اختيارهم بالأمس مع مكتوب منهم من قبل المجلس، وأعرب من احتجدوا في بهارستان وأمام المبنى والمدرسة عن ثورتهم وضجتهم وتحدث معهم البعض. وبعد الظهر عاد هؤلاء الستة ومعهم عضد الملك وأحضروا مكتوبًا من قبل شاه بشأن تفريق النواب والمجمعات حتى يفرق الشاه الأوياس، وبعد ذلك تقام جلسة تعرض فيها الأمور، وكان يريد بذلك أن يرضى على قوة المطالبين بالحكم الديبى ويغلب عليهم.

والعجيب أن بعض النواب كانوا يقترحون قول رغبة الشاه، وكانوا يقولون:

وفقاً للأمر، فمن الأفضل الاطاعة حتى تزال الفتنة وينحسى الفساد. لكن الآخرين لم يقبلوا، واقتراحوا أن يتم النقاش في لجنة، وقد أصدرت هذه اللجنة قرارًا غير حكيم وهو تفريق الجمعيات وتشتيت النواب ومضيهم إلى دورهم على أن يعودوا في الغد، لكن لما عرض هذا الكلام على الأهلاء، لم يرسطوا، وقالوا:

"إن نذهب إلى دورنا وإن نترككم." 

وهذا دليل على وجود أشخاص لا قيمة لهم في المجلس، فالرجال من أصحاب الفكر الحكير خافوا على أرواحهم، وكانوا يقولون:

نحن دومًا مع المظالم ونطالب بحقوقا الشرعية ولا نرضى الفتنة والثورة في أى وقت قط، فلمضوا الليلة إلى دوركم، ونحن كذلك، وإذا ما بقينا سالمسن سندوب ثانية.

وكانت خرافات "مظلوم" هذه ذرعة لهم، وما يتحقق الثناء أن هؤلاء التائهين كانوا قلة بين الجماهير الحاشدة.

وعلى أية حال فقد صمموا على الصوم وأقاموا الاستعدادات لليل، ولم يستطع محمد على ميرزا أن يحقق غيته.
انضم رجال الدين إلى الأوباش:

من ناحية أخرى اندفع الأوباش اليوم إلى دور الحاج الشيخ فضل الله والحاج ميرزا أبو طالب زنجاني والسيد علي البوزدي وملام محمد ألمى وغيرهم من رجال الدين وأحضروا كلاً منهم كرهاً أو طوعاً إلى ميدان دار المدفعية. وكما نعلم، كان كل من الحاج الشيخ فضل الله والسيد علي آقا يتعاونان خفية مع المسلمين، وكان ملا محمد ألمى وkıتوهرون غيره يعادون الحكم النبايي منذ البداية، وكان عدم ذهابهم إلى الميدان للغطسية على ذلك، ومضى الأوباش وأحضروهم. في نفس اليوم أرسل بيهائي شخصاً إلى الحاج الشيخ فضل الله واستدعاه إلى المجلس وتحتج الأخير ولم يأت، وأقسم بالقرآن أنه لن يذهب إلى الميدان، ولكن لم يمض طويل زمان حتى جاء الأوباش وحملوه باتشمه، وكان محمد على ميرزا ورجال الدين هؤلاء يريدون أن يقولوا إننا لا نملك أمرًا، وإن هؤلاء الناس لا يريدون الحكم النبايي ويستانون منه. ويقول كاتب الحاج الشيخ فضل الله الذي كتب هذا الحدث إلى ابنه في النجف:

"إنهم جاءوا إلى منزل جناب حجة الإسلام السيد... وقد أبدى استعداده قدر الإمكان حتى لا يذهب معهم، ولم يقتتع الأهالي، وحملوه على الأكتر بك لويل وسيلة حتى يصلوا به إلى السماء، وسبب الإزدمح وهجوم الأهالي وحن جناب حجة الإسلام وتوقف وسط السماء لفترة حتى ضاق فحملوه كرهاً إلى ميدان دار المدفعية حيث كان السادة يجتمعون ومعهم آخرون...."

وتحت أذينا أيضًا رسالة عن الحاج ميرزا أبو طالب أرسلها إلى أخيه في زنجان يقول فيها ردًا على المنتديين:

"نعم، كان هناك في ميدان دار المدفعية - حيث مكثت هناك حوالى الساعة ما يربو على الألف شخص من المعممين وعلماء طهران المشهورين من أمثال جناب الآخوند ملا محمد ألمى، وجناب سلطان العلماء طهرانى، وجناب السيد إبراهيم القزوينى، وجناب الحاج الشيخ عيسى جال ميداني، وجناب الحاج الشيخ..."

259
فضل الله وجناب السيد علي، وجناب السيد مهدي إمام مسجد نورية، وجناب السيد محمد بن السيد علي أكبر، وغيرهم من أمثال جناب السيد علي أكبر البروجردي، والأخوند ملا محمد الإمام وآثمة الجماعة والمدرسون والطلاب والسادات وغيرهم من الأشراط والمرشحين والسفهاء، سبحان الذي لا تقتضي عجائب ملكه.

وكمية يتضح من هذه الرسالة كان الحاج ميرزا أبو طالب من المسيئين للنبي، لكنه كان يعتبر من الرجال ذوى الفهم والتفكير الصائب، ويمكن التصديق بأنه لم يمض إلى ميدان دار المدفوعة وفق رغبته، لكن لاييمكن أن نصدق هذا في الحاج الشيخ فضل الله وغيره، ففي هذه الأثناء اتضح مفهوم الحكم النبي، وعلم هؤلاء من رجال الدين أنه لن يكون هناك وفاق بينه وبين نفوذهم، بل بينه وبين المذهب الشيعي، لذا تمى عدد كبير منهم الإطاحة به من أعماق قلوبهم.

وعلى أي حال فانضم رجل الدين هؤلاء إلى المسيئين جعل من نفوذهم قيمة أخرى واتخذت الفتنة طابع الصراع بين النبي والشرعية ثانية، واعترى السيد محمد الززدي والسيد أكبر شاه المنبر وكان كل منهما يقول:

"تتعلق الفاحشة، ولشرق، ولنطق، ولكن لا تدنو من هذا المجلس، إن الله يغفر الذنوب جميعًا."

وعلت صيحات الأوباش متتالية وهي تقول:

"نحن لا نبغي الحكم النبي، نحن نبغي دين النبي."

وكان اليهود - الذين اندفعوا إلى منازلهم وأحضرواهم إلى الميدان عنوة - يردون الجملة الأولى معهم وحينما لم يردوا الجملة الثانية كانوا يصربونهم خلف رؤوسهم. وكلما شاهدوا أحداً يرتدي قبعة صغيرة من الفراء عدوهم من المطالبين بالحكم النبي وقاموا بإذائه وجردوا مما معه، وزادوا من جرائمهم تدريجيًا، فكانتا يسرقون العباءة والقبعة من كل من يجدونه من المارة ويسلونه مامعه، واندفعوا إلى مقر الجريدة بأمر من رؤاهم وقاموا بأعمال السلب والنهب، وأحضروا ما بداخله من صور وأحرقوها وسط الميدان، وعلى هذا النحو أنها ذلك اليوم.
وفي ليلة الثلاثاء ظل كلا الجانبين في مكانه، وكان البنادقة في المجلس في ذلك اليوم - كما ذكرنا - كثرة، وقام عدد كبير من الشباب بالحراسة ولم يرتحوا طوال الليل رغم برودة الطقس. وفي الميدان كان المسئولون يجلسون كذلك في الخيام، وكان الأبائي يستقرون في جانب ورجال الدين في جانب آخر.

ومن غد يوم الثلاثاء ازداد الاحتفال في بارهستان وحوله، فكان صمود المجلس ليومين مما شجع الأهالي على المشي إلى هناك، كما أزداد اليوم عدد البنادق حيث بلغت المئات، بل الآلاف، وحينما حل المساء كان لديهم ألفان وسبعمائة بندقية.

واليوم قام موظفو مكتب البرق وكذلك عمال السكك الحديدية في المدينة وفي حضرة السيد عبد العليم بالإضراب عن العمل وقدموا لمواصلة المجلس، لكن احتشام السلطة أعادهم حتى يستأنفو أعمالهم، وكانت قوة الأحرار في ازدياد، لكن المجلس لم يتوقف عن أعماله الفائدة، حيث كتب رسالة اليوم وأرسلوها إلى السنارات والنواب السياسيين بشأن الظلم والمطالية بالإنصاف وما فعلته حاشية الشاه لحثه على نقض اليمين وطالبوا الدول الأوروبية بالعون المعنوي.

أما من ساعت نوابهم فقد ازدادوا قوة، هم كذلك اليوم لانضمام طائفة كبيرة من ورامين - ومعهم الشيخ محمود وراميني - إليهم، وقد أقاموا لهم خيمة منفصلة. وورد في صحيفة صور إسرائيل أن أحد رؤسائهم صاح قائلاً:

"نحن نخرج المجلس، وتقدم البسط هناك ليصنعوا منها سروجًا للحم في ورامين".

واليوم اعتلى السيد محمد البزدي وأكبر شاه وغيرها المنبر وكانوا يكثرون في ذم الحكم النبائي وتوبيخه. يقول كاتب الحاج الشيخ فضل الله في رسالته إلى إبنه:

"كانت الناس ترغب غير مرة في الهجوم على المجلس، وكانت هذه رغبة السيد محمد البزدي وغيره كذلك، لكن الحاج الشيخ فضل الله لم يكن يرتضى هذا وكان يمنعهم".

261
ويمكن القول إن هذا الكلام بين صدق وكذب، حقيقة أن السيد محمد وغيره كانوا يريدون تدمير المجلس، وكان الأهلاني على استعداد للاندفاع إلى هناك، لكنهم لم يلتقوا الأوامر من محمد على ميرزا، وليس لأن الحاج الشيخ فضل الله هو الذي منع ذلك. فقد حرض محمد على ميرزا على هذه الثورة من جانب، ومن جانب آخر لم يشا أن يدعو أنه من وراءها، وهكذا كان يصدم بوجهين، وكان يقال إن سعد الدولة أرسل مدفعين إلى بخارستان ليرقوا الجمع بقصف المجلس، لكن محمد على ميرزا لم يكن يرتجض هذا. ويمكن القول إنه كان يخشى من الإطاحة بالحكم النيابي ولم يتجرأ في الإفصاح عن ذلك علانية.

أعمال القتال في ميدان دار المدفعية:

واليوم أريقت الدماء أيضًا في ميدان دار المدفعية وكان ميرزا عنابت - ذلك الشاب الزنجاني - يمضي بينهم وينصت كالآخرين إلى مهارات السيد محمد البزیدوى وتم التمثيل بجسدته بيد الأوباش وليس معلومًا سبب هذا الحدث، وكان من في الميدان يقولون:

"لقد أطلق النار في البداية وتم قتله عقبًا على ذلك، إلا أن المطالبين بالحكم النيابي لم يقبلوا هذا وكانوا يعتبرونه بريئًا مظلمًا."

ويقول كاتب الحاج الشيخ فضل الله:

في عصر يوم الحادي عشر اعتلى السيد محمد آقا المنبر وكان ميدان دار المدفعية ممتلئ بالأهالي، وکرنت واقفاً أسفل المنبر، وظهر شخص من بين النساء وأخرج مسدساً صوبه تجاه السيد الذي كان يعتلى المنبر وأمسكوا بيده ورغم ذلك أطلق ثلاث رصاصات تجاه السيد لكنها لم تصبه، ولم يمض طويل زمان حتى أطلق الأهالي جسد هذا الشخص بالمدى وعلقوه فوق شجرة في ميدان التربية وأثناء انسحال الأهالي بهذا الشخص تعبوا شخصًا آخر كان في حوزته سلاح وألقوا به في حجرة الحاج السيد على آقا وتعقبه الأهالي ولم يسمح لهم الحاج السيد.
على بإذائه. وحدثت اليوم مسيرة كبرى حيث قالوا إن شخصًا آخر قد قُتل، ولكن
لم يعلم صدق ذلك من كتبه. وعلى أية حال أبلغوا هذا الخبر إلى حضرة حجة
الإسلام، فأرسلهم كي ينقلوا جثة المقتول من أعلى الشجرة ويدفنوه."

ويقول الحاج ميرزا أبو طالب كذلك في رسالته:

أما ما كتب بشأن قتل النفس (في إحدى الصحف) فلم أن واجزا في ذلك
اليوم، فقد أطلق شجان من جميع طلقات الرصاص فأصابت إحداهما جنديًا ويقال
إن كل هما - أي القاتل والمقتول - قد قُتل، وثمة شخص آخر كان يجلس بين
النساء واصبح على رأسه النقب أطلق الرصاص تجاه السيد على ولم يصبه،
وأمسكت الدماء به وقتلته الأهلية وكنفتها في منزل جناب الأخوند ملا محمد وبعد أن
توضّحت صبرته الطليقيين وأعقب ذلك قصف بالبندق وكلما حاولت إرسال
أحد الأشخاص لم يوافق من الخوف، وعلت الصحاب وبعد ذلك علم أنهم قتلوا
الجاني.

هذه هي كتاباتهم، لكن لا يمكن تصديقها بسهولة خاصة مع وجود عدم
التوافق بين الكتابتين، من ناحية أخرى - كما سئر - عُلم في التحقيق الذي قام به
صنع حضرت وأنباهه أن الباعث على مقتل ميرزا عنيته لم يكن إلا سوء ظن
الأوبيشة، فقد ورد في صحيفة الجليل المتنين:

كان مع ميرزا عنيته سممانة طومان أخرى، وهو بين الأوبيشة، من
جيه ووضعها في حزانه، وقد رأوا ذلك، كما كان في حوزته ساعة وسلسلة من
الذهب وهذا ما حرض الأوبيشة على قتله."

وتقول كذلك:

"إنهم هجموا عليه في البداية وأصابوه بعدة رصاصات ثم أصابوه بعدة
طعنات بالدمى ولما سقط صرعتهم ابن النقيب ونحى الآخرين جانبًا، وقال: أيها
المسلمون، فلن يكونوا شهداء أمام جرى يوم القامة على أن أول شخص في طريق
الدين أوفق أعين طالبي الحكم النسب. قال هذا وفَقَ عين ذلك الشاب بالسنين ثم

263
علقه أعلى شجرة حتى يصوب الأوباش عليه بالحرب.

وفي هذا اليوم أصابوا كذلك على آذا الصراف الذي كان طريق الفرار منذ فترة، كما تلقبوا اسمائ شاغرد الدرزي حتى لأنه زار وأصابوه في ظهوره. وفي عصر ذلك اليوم توالت برقيات المدن، وكما سنذكر من بعد كانت هذه البرقيات باعتها لخشيء مهمل على ميرزا أكثر من أي شيء آخر.

وفي يوم الأربعاء كان كلا الجانبين في أماكنهما، وقامت اليوم جمعية عبد العظيم مع جماعة لمساعدة المجلس، وطبقا لما ورد في صحيفة الجميل المتين:

"بلغ تعدادهم ما يقرب من ثلاثة أو أربعة آلاف من المسلمين."

كما قدم كذلك البندقية من شميران وشهربار وغيرهما من المناطق المحيطة بطوران، وكانت البرقيات تصل من المدن على التوالي، واضطر محمد على ميرزا إلى طلب الصلح لذا اختار اليوم نظام السلطنة مافي - وكان كيلاً - لرئاسة الوزراء وتشكيل الحكومة، ولم تأثر الوزراء حتى الشاه ونظام السلطنة كي يباحتما مع المجلس بشأن الصلح، ولم لم يكشف المجتمع - رغم كل هذه الغلبة التي نالها في تلك الفترة - عن أسلوبه السيئ، وكذلك كان يطالب بالصلح وتحقيق الهدوء فقد وجهوا بالعصم أشخاص - الذين اختيروا من قبل - إلى البلاط حتى يبدأوا التباحث مع الوزراء وكان للمجلس عدة مطالب، هي:

1- طرد سعد الدولة من طهران.

2- عزل الأمير بهادر من منصب المراقب العام.

3- معاينة الأوباش الذين قدموا إلى المجلس والذين أفسدوا الأمور في دار المدفعية.

4- تشكيل قوة من مائفى جندي لحراسة المجلس (من أولئك الشباب الذين كانوا يقومون بحراسة المجلس في تلك الأيام).

264
5- عودة علاء الدولة ومعين الدولة إلى طهران.

وبعد هذا النقل، لكن الوضع ظل كما هو عليه في ميدان دار المدفعية إلا أنهم لم يكونوا يقومون بأعمالهم البذيلة السابقة باستثناء الأوباش. وفي يوم الخميس خلعوا الخيام وفرقوا الأهالي ولجأ رجال الدين والأوباش إلى البلاط لكي يقضوا ليلة الجمعه هناك لكنهم عادوا ثانية يوم الجمعة وبسطوا الخيام في الميدان وجمعا جماعة حولهم وباعث على هذا الذهاب وتلك العودة هو وصول برقية تبريز إلى جند أذربيجان وإعادتهم عن تأييدهم للأعداء (كما سئر في هذه البرقيات). من ناحية أخرى فقد محمد علي ميرزا قوة المقاومة وكان يبادر بالصلح، لذا رأى رجال الدين والأوباش أن وجودهم في الميدان مما يستدعى الخشية فلجلوا إلى البلاط، ولكن من ناحية أخرى رأى الوزراء أن وجودهم أثناء التباحث بشأن الصلح غير ملائم ولم يرتدوا بقاءهم هناك واضطروا إلى العودة ثانية، وسوف نرى بآية فضائح مضوا من هناك مرة أخرى.

أحد الأعمال المهملة الصادرة من جمعية تبريز:

في يوم الأحد، حيث نشبت الفتنة في طهران، أمر محمد علي ميرزا أن يخبروا المدن بأنه حينما تحل الحكومة فكل من لديه كلام من الحكم عليه أن يبلغه للشاه مباشرة، كما أمر بأن تبلغ مكاتب البرق أية مدينة عما حدث من فتن واضطرابات، ويقال إنه في نفس اليوم أرسل كل من السيد بهبهاني والسيد طباطبائي البرقية القصيرة التالية إلى مكتب البرق حتى ترسل إلى جميع المدن:

"إن المفسدين يقومون بالمخالفات والدولة بصدد نقض العهد.

كما أرسل نواب أذربيجان البرقية التالية:

"إن جمعية تبريز الوطنية ومجلس النواب والنيابية في خطر، وإن الأمير بهادر جنگ وسعد الدولة يقومان بأعمال القتل ويطلبان الحل اللازم".

265
لا أن هاتين البرقيتين لم تصلا، وواقع الحال إنه لما كان معظم الموظفين في مكتب البرق من مؤيدى النائبية أخبروا المدین خفیفة بما وقع، وعلمت قروين بداية بحقيقیة ما حدث ومن بعدها الرشیع تبیرز وأبلغوا كذلك بقیة المدین. وفي جميع هذه المدین قام المطالبون بالحكم النائبی بالجلیة والضجیة، وأرسلوا برقات المواساة وعرضوا في كثير منا إرسال المساعدات إلى طهران، إلا أن جمیعة تبیرز قامت بعمل حکیم لحل هذه المشكلة وذلك لمساعدة رؤساء المجاهدين حيث عزلت میرزا من الملك بذریة نقضه الیمن، وأطلعت طهران بهذا في الحال، كما أطلعت میرزا نفسه والمجلس النایبی. من ناحیة أخرى، جلس الرؤساء الحریة في مكتب البرق وأبقروا إلى الرشیع وتوقرین واصفین ویلد وشریان ومشدوث وخوری وأروامی وغيرها من المدن، وطالبوا أن يتضامنوا معهم في هذا وأن يضموا أصولتهم إليهم، وأدی هذا الأمر إلى نتيجة سریعة وعظیمة لأنهم قبلوا هذه الرغبة في جميع المدن وأرسلوا جميعا برقات الاستیاء من مک لمرداد على میرزا إليه هو شخصیا إلى المجلس النایبی، وكانوا يطلبون من المجلس اختيار خلیفة له.

وهذه البرقيات التي ظلت تتتولى منذ يوم الثلاثاء قد أثربت تأثیرًا شدیدًا في محمد على میرزا، خاصة برقات الاستیاء من ملکه حيث زادت من مخاوفه. وكما ذكرنا، أنه شكل نتيجة هذه البرقيات حکومة يوم الأربعاء، وحث الوزارة على التباحث مع المجال والوساطة، ولما كانت جمیعة تبیرز تبید ضغطها وكانت البرقات تتولى كنکذ، دخل محمد على میرزا من باب ضعیف واستعان بنواب روسیا وأنجلترا وحثهم على الوساطة.

وما زاد من مخاوف محمد على میرزا أن ظل السلطان كان يأمل في العرش منذ فترة، وكما ورد في كتاب "أبی"، كان يتبعث في هذا الشأن مع نواب روسیا وأنجلترا وكان محمد على میرزا يخشی من أن يتقدم في هذه الأثناء ويصل إلى الملك يتعاونه مع رواب الحریة، في الوقت الذي لم يكن الأحرار فيه راضین عن ظل السلطان، والظن بأنهم كانوا يرتدون ملکه كان ضیبًا، وكان نواب

266
روسيا وانجلترا يظلون أن ثمة ارتباطًا بين ظل السلطان وهذه الأحداث، وهذا ما لم يكن، ولم يكن لذلك الظن أي أساس من الصحة.

وعلى أي حال كان عمل جمعية تبريز في محلة للغاية، ولم تكتف الجمعية بذلك وأقعت بلثمة أخرى على رقية الاستبداد، حيث أرسلت برقيات إلى جميع رؤساء أذربيجان - وكان تحت أيديهم الجند والفرسان في طهران، وكان ميل محمد على ميرزا والأمير بهادر إليهم كثيرًا - وأنبأوه بأنهم إذا ما فتحوا أيديهم على المجلس النيابي سوف يدمرون منازلهم في أذربيجان ويقضون على نسائهم.

وكان ذلك البريقية في محلها، وكما رأينا أنه نتيجة لذلك خشي رجال الدين والأوبار من بقاتهم في ميدان دار المدفعية وأزالوا الخيم ولجأوا إلى البلاط، ولكن لما كان الخوف يملك محمد على ميرزا لم يستطع المحافظة عليهم في البلاط.

وذكرنا أنهم عادوا ثمانية إلى البلاط، والآن نورد جزءًا من هذه البرقيات:

"من قرويين إلى تبريز (الثاني عشر من ذي القعدة) - الحضور المبارك في جمعية مjahdi أذربيجان المبجلة أكثر الله من أمثالهم، بخطأ التفتتش (؟) وبعدم ثيبة الحكومه تم الاستيلاء على ميدان دار المدفعية وتزيل بنيان النيابية وتوقفت كل من طهران وقرويين عن العمل كما توقف مكتب البرق في طهران، وصارت أرواح النواب عرضة للتهلكه، واستقر المجاهدون للتضحية حتى آخر قطرة من دمائهم، والأمر يخرج عن السيطرة ونحن في انظار الرذ."

(جمعية مjahديى قرويين)

"من الرشت إلى تبريز - الحضور الأعضاء المبجلين لجمعية تبريز. بآذربيجان شيد الله أركانها، إن أركان دار الشورى في الله، وليس في الإمكان حضور نواب طهران في مكتب البرق، وتم إجراءات بالفعل والقول من قبل الحكومة، ووقع الإضراب العام ويلزم للإجراءات المفيدة نبات الفرد.

(الاجتماعيون العاميون)

"من طهران إلى تبريز - إن أساس النيابية ينهار ويتعثر مجلس الشوري الوطني لهجمات المستبدين، وقد اتخذ خمسة آلاف من البنادقة من فدائي الشعب"
أصدر المجلس مقرراً لهم، وتم الإضراب العام في إدارات الدولة والأسواق، وصارت طهران كيوم البحر حيث يأتينا من كل الأطراف على التوالي الأهالي المؤذون، وصارت الحياة في تدهور منذ خمسة أيام، وسوف نطلعكم على بقية الموضوع.

(تقى زاده)

من تبريز إلى جميع المدن - إن الشاه الذي وافق على قانون الحكم النبي
وأقسم عليه ينفسي العهد الآن، وبسبب هذه الخيانة يقوم أهالي آذربايجان بخلعه من السلطة، وأطلعتنا القناص والنجف، ووجب عليكم أيضًا خلعه وإطلاع السفرات

(جمعية تبريز الوطنية)

من الرشت إلى جميع المدن - إن نواب دار الشورى يتعرضون
للأخطر، إذا فإن أهالي جيلان على وشك التحرك بكل قواهم إلى طهران،
ولتتحركوا أنتم كذلك، ولتخلصوا النواب من الأخطر.

(جمعية الرشت الوطنية)

من تبريز إلى طهران - جناب السيد تقي زاده، لقد تم إعداد ألف مسجد
وفراس مسلح على الفور بجميع الاستعدادات لتوجه وإياد التضحيات بشكل لا
حصر له وهم في انتظار الآن.

(مؤيدو دار الشورى الكبرى)

من تبريز إلى طهران - نعرض على كافة المسؤولين عند الجند والمدفعية
والفرسان الغيورين في آذربايجان: أيها المواطنين، يا إخوة الإسلام، لقد أقسم
الجميع قسمًا غليظًا منذ عامين على أن نخطو خطوة نحو النبيتية، وقد ذهبتم
واسترحتم لشهر، ووصل الخبر البارحة أن عدداً من المستبدين الذين لا يعرفون
الله قد اتفقوا حول الشاه وجعلوكم أداة لهم كي تحملوا البنادق وتقتلوا المسلمين،
فلتعلموا، أولًا: إذا ما لحقت لطمة بالنبيتية فما هي إلا شهور ونرى آذربايجان
جمعية مjahideen أذریابیجان

من الرشت الى تبریز - الجمعية الموجودة، إن ما صرحت به بأن يرقية
جمعية السيد محمد إبراهيم قفایچی - أحد أحرار تبریز - ليست مطالبة برقيعة
أهالي أذریابیجان وأعمالهم، فتلك البرقية الأولى التي تم إرسالها كانت عديدة وتم
إدراج صورة آخر برقيعة عينا إلى المقام الرفيع للمجلس المقدس، والإجراءات
المحيرة التي شهدت من قبل شهاب تعارض وقواعق النيابية وبنود الدستور في
الحقوق الملكية، ومنذ ثلاثة أيام وهم يستكون الأهالي بإزاحة آلاف الأرواح، وتم
إرسال برقيتين إلى الشاه على الفور ولم يصل رد حتى الآن، وحضر كافة
الأهالي إلى مكتب البرق دفعة واحدة وأقسموا على كلمة واحدة وأبرزوا جلبة لم
تشاهد حتى الآن في غيلان وطلبوا الانفصال عن اللواء وآنا أعرض أنه بموجب
قانون النيابية - الذي وقع وأقسم محمد على میرزا نفسه عليه وبخلافه الآن - يجب
لا يظل على عرش السلطنة، ونحن الشعب نعلن خلعه من السلطة ونطالب مجلس
الشورى أن يعين ملكا على الفور وأن يثف لنا بشري ذلك برقية".

جمعية جیلان الوطنية

"من تبریز الى طهران - إن جماعة جند الفرقة الخامسة من شقات وسائر
إخوئی متحدون معنا منذ ثلاثين عامًا، وقد تناولنا معنا الخبز والملح، نحن المسلمین
نكتب إليكم من باب الأخوة، لقد أخبرت جماعة تبریز المقدسة طهران وأصحاب
المقام الرفيع بالأمس بأن ألف مjahید قد أخذوا البارحة من بئی ووجهوا به إلى
منطقة بقممنی ثم توجهوا إلى منازلكم كي أقدم اسماء الجند المقيمين في بلاط

269
ظهران وأذكروهم واحدًا واحدًا، وقد أضرموا النيران في نسائهم وأطفالهم، ويقولون إن الجند قد تعاونوا على المجلس والشعب وتعرضا بالأدلى لأطفالهم وذويهم، فلترجع على الفور حتى بخروا تبرز برقيًا بتركتك، ولتصدر الأوامر إلى المجاهدين كي يعودون، وإلا فانَا أسير، يجب أن أقدم اسما جميع جنود أذربيجان ويعتم المجاهدون، وقد تحرك اليوم ألف مجاهد تجاه مدينة اهر للقضاء على المجاهدين هناك بالاتفاق مع جمعية المدينة ولوندوان نحو منزل الفرسان المتمم إلى قراءة داغ والثائر بهادر، وهم ينلون الإغارة على منزل الحاج ميرزا رفع خان معاون الشاه لقتله، وقد أضرموا النيران في منزله، كما قتلوا أعيان مفاخر الملك داروغه، ولتعلموا واجبحكم أنتم كذلك.

(إقبال لشكر)

ولكي تضح النتيجة التي ترتبت على هذه البقريات وكيفية تأثيرها على الشاه وحاشيته، نورد في هذا المقام بعض الجمل التي وردت في كتاب "آبي" الإنجليز، فهو يشير إلى أحداث يوم الأحد الثلاثين من شهر أذار بقوله:

"في ذلك الوقت ازداد الأمر خطورة، وأرسلت جمعية تبرز الظافرة برغبتها - آلا وهي الإطاحة بالشاه - إلى كل الأرجاء، وثارت المدن الكبرى التي كانت تمتد فيها جذور المطالبة بالظام النبازي، وتولت البقريات من مناطق شيراز وإصفهان وكرمان وقوزون ومشيد وررتشت، وذكرنا جميعهم، إذا مستعونون بتوجيه مجموعة من المحاربين إلى طهران.

ويشير إلى أحداث يوم الثلاثاء الثاني من شهر دي بقوله:

"لقد علم المطالبون بالنظام النبازي في عصر ذلك اليوم أن الغلبة صارت لهم، ورغبوا في مزيد من السيطرة، فهدوا حرس الشاه بأنهم لم يكفوا عن تأييد الشاه سيتم أسرا نسائهم وأطفالهم، كما هددوا لواء الفوزاق على النحو السابق، وتحدثوا علانية عن قتل الشاه، واستاء رجال البلاط وتمكنهم الخوف، كما خشي..."
الشاه على حياته خاصة بعد أن بدأ البعض من حاشيته والمقربين منه في الابتعاد عنه، ودار الحديث في كل ناحية بأن الشاه لن يعيش أكثر من أسبوع.

ويشير إلى أحداث يوم الأربعاء الثالث من شهر دي، بقوله:

"لم يخرج الشاه من قصر الحريم، وفي المرتين اللتين طلب فيها وزير هولندا المفوض التصريح بلقالته كي يتحدث معه بشأن اعتقاض سعد الدولة، لم يأت الشاه له وتحجج بمرضه.

ظفر المطالبين بالحرية وانتهاء الفتنة:

كما ذكرنا، كان الوزراء يتبادلون حول الصلح لاختبار نواب المجلس، وقد وهن الشاه لدرجة أنه كان يوافق على كل رغبات المجلس دون أية استفسارات، وكان يطلب فقط الإبقاء على الأمير بهادر تحت الحراسة، وورد في كتاب "آبي" أن ثمة شيئاً آخر كان يرغبه وهو طرد بعض النواب من المجلس، لكنه خشي من التصريح بذلك.

ويلغ حد الخوف لديه إلى خشية من رجال الدين وأوباش ميدان المدفعية وأرسل يوم السبت كي يقتلعوا الخيار ثانية. وأولئك الذين افضح أمرهم كانوا يخجلون من المسن إلى ديارهم، وقاموا بتأجير عدة منازل بالقرب من ميدان دار المدفعية في محلة إرك وتوجهوا إليها.

لقد ألقى الشاه بالدرع واستسلم دفعة واحدة، لكن لما كان رؤساء الحرية في تبريز لا يزالون يقيمون في مكتب البرق بطابعون المجلس بالرد على رغبتهما في الإطاحة بالشاه، ومن ناحية أخرى كانت برقيات تبريز تؤثر بشدة في قادة أذرbaiجان، وكانوا يعلنون عن استيائهم من تأييد الشاه، ورغم كل مباحثات الصلح، إلا أن جمعيات طهران لم تكن حتى ذلك الوقت قد تفرقت من مدرسة السبعسالار، ولم تتفتح الأسواق، وكان الأهالي في انتظار النتيجة الأخيرة.

وصلت صيحات أهالي تبريز إلى طهران، ودار الحديث في كل مكان.
حول خلع الشاه، وتملك الاضطراب من محمد على ميرزا وسعى لحماية نفسه. وكما ورد في كتاب أبي، تدخل النواب السياسيون لكل من روسيا وإنجلترا في تلك الأثناء، وكانوا يصرعون على بقائه في مدة الحكم (حتى لا تتصد جذور الفتنة من إيران) وكتبوا رسالة في هذا الخصوص بمعاونة شيرش الدولة وأرسلوها إلى رئيس المجلس، ونتيجة لهذه الأعمال تمثل بعض المبادئ في الخفاء، وسوف نرى إنه في جلسة يوم السبت التاسع والعشرين من شهر آذار (15 ذي القعدة) حيث كان المجلس يبحث حول نقض الشاه للقوانين، وأبدى بعض النواب حدة في حديثهم، قام تقي زاده معترضاً، وقال: "للاجدى من هذه المبادئ التي تدور... لقد تم اتخاذ القرار في جلسة خاصة وسوف يخبر الجميع به.

وعلماً بعد ذلك في جلسة اليوم التالي أن المبادئ قد انتهت، وأن الشاه وكذلك نواب المجلس قد أقسموا على القرآن ووقعوا عليه، وبعد هذا الحديث حضر النواب الجدد إلى المجلس ومعهم نسخة من القرآن الذي أقسم الشاه عليه ووقع خلفه، وفي البداية تلى ذلك القسم، ثم تلى قسم النواب الذي كان أيضًا خلف القرآن.

هذا ونورد في هذا المقام هذين القسمين:

قسم الشاه:

نظرًا لسوء ظن الأهالي بسبب تلك الثورة التي وقعت خلال هذه الأيام في طهران وفي سائر ولايات إيران بأننا - لا سمح الله - نعارض الدستور ونقضه، لذا فمن أجل إزالة سوء الظن هذا، ومن أجل اطمئنان خواطر عامة الشعب، نقسم على هذا المصدر الشريف أننا ندافع ونرفع بحق أساس النظام الديني والدستوري جميعها، ولن نتخلى قط عن تنفيذها، ولكل من يصرف بما يعارض النظام الديني سوف نوقع عليه أشد العقاب، وأيما بدر منا أي نقض للعهد أو معارضة سنكون مسؤولين أمام الله وفوق للعهد والشرط والقسم الذي أخذناه من نواب الشعب. ليلة السابع عشر من ذي القعدة عام 1325 هـ.
قسم النواب:

في ذلك الموقف، وبسبب إزالة سوء الظن من قبل الأهالي، ونظرًا لظهور تلك الثورات، نسمح نحن عبيد صاحب الجلالة ملك الملوك محمد على شاه القاجاري خلد الله ملكه على كلام الله المجيد إنا نحن نواب الشعب الموقعين أدناه لنخون قط أساس سلطنة صاحب الجلالة الملك المقتس طالما أنه كان مدافعًا عن الدستور وحدود النظام النيابي وراعيًا ومنفذًا لهما، وأنا سنخدم حدود ملكنا المتبوع العادل وحقوقه، وأينما نقضنا ذلك العهد والقسم فنحن مسئولون أمام الله والرسول، السابع عشر من ذي القعدة.

وكم ذكرنا كان حلف اليمين هذا في الجلسة الأخيرة ليوم الأحد السادس عشر من ذي القعدة وكان قد أعد من قبل وثني في المجلس، وتدوين التاريخ على كليهما بأنه السابع عشر من ذي القدر بحري سهًا ما. فقد ورد في كتاب "أبي" أنهم اقترحوا أن يأتي الشاه بنفسه إلى المجلس وبؤدى اليمين هناك، ولم كانوا يعتقدون أن قدومه وإنهاء تلك الأعمال سينئد حتى ما بعد العشاء (متى كانت تمتعت جلسات المجلس منذ بداية اليوم وحتى ما بعد العشاء)، وضعوا تاريخ حلف اليمين ليلة السابع عشر لكن الشاه خشي من القدوم إلى المجلس وامتنع عن الحضور لذا اكتفوا بإحضار مذكرة القسم فقط.

وهذا دليل آخر على عدم تقدير المجلس، فبلا من أن يستفيد من الحدث ويعزل محمد على ميرزا من العرش ويقطع جذور الفتنة ويهز من ناحية أخرى بد الأجانب عن البلاد صار أدارة في أيديهم، والأمر من هذا أنه قام بخداع الأحرار ونفذ هذه الأعمال من وراء الستار.

وعلى أية حال فبعد تلاوة ذكرات اليمين تم تقديم الوزراء الجدد كالتالي:

نظام السلطة رئيس الوزراء ووزير المالية، أصف الدولة وزير الداخلية، الأمير ظفر السلطنة وزير الحربية، قائم مقيم وزير التجارة، مشير الدولة وزير
الخارجية، صنع الدولة وزير العلوم والمنافع العامة ومخبر السلطنة وزير العدل.

وبعد تقديمهم، تحدث النواب في أشياء لا طائل من ورائها، فأحدهم يمدح
"الشعب" والأخر يمدح "الحكومة" وثالث يقرأ "الحمد لله الذي هدانا لهذا..." وبهذا
الحديث أنهى المجلس أعماله، والعجب أن لم يرد بينهم قط التذكير بحناكة أحرار
تبرز أو ذكاء المطالبين بالحكم النبوي في قزوين والرشت وفطقنتهم. وفي نفس
الليلة أو من غدها أرسل ذلك المجلس البرقية القصيرة التالية إلى المدن:

تشكر للبلاد غيرتها النبيلة شكرًا جزيلًا، لقد زالت أسباب الخلاف، وتجدبت
نواباً للبرقية_walked_ النبوي الوطني وتم ذلك وفق كلام الله المجيد، ولذلك أصبح كل
شخص مرفي الحال مشغولاً في عمله كما كان شأنه سابقًا.

(دار الشورى الكبرى)

كما أرسل مشير الدولة وزير الخارجية البرقية التالية إلى نواب إيران في
الدول الأجنبية:

إن الشقيق الذي دب بين الشعب والحكومة قد زال تمامًا بحمد الله حيث
تعهد صاحب الجلالة والمجلس النبوي الوطني بالقرآن المجيد على حفظ أسس الحكم
النبي، والحكومة الجديدة مهتمة بالإصلاح ومشغولة به.

(مشير الدولة)

صمود تبرز وعدم جدواه:

كما ذكرنا، كان رؤساء الحرية في تبرز بجلسون في مكتب البريد يوميًا
وبطلبون الرد من طهران، ولمما كان الصمود يبدو من خلال حديثه كان عدد كبير
من المجاهدين يستعدين للمضي إلى طهران إذا ما استدعى الأمر، وكانوا يوم
الاثنين كذلك في مكتب البرق حيث وصلت برقية الحاج ميرزا آفا فرشى إلى أحد

274
أتباعه وكان يطلع فيه على حديث الصلح هذا وانتهاء أمر الفتنة، ثم جاءت برقيات المجلس الثوري (وكانت أطول وأفصح مما بعثوا بها إلى المدن الأخرى) وكانت توضح ما حدث بعد تقديم الهدية، ولم يرض أهل تبريز عما ورد بها، وقال البعض:

"من الأفضل أن نستدعى النواب إلى مكتب البرق ونناقش معهم". هذا ونورد البرقيات التي تم تبادلها فيما بينهم:

- من تبريز إلى طهران:

"السادة نواب آذربيجان والمجلون ضاحف الله تعالى من قدرتهم، لقد حضر اثنان من النواب المجلونين مبكرًا إلى مكتب البرق ومعهما رسالة مشفرة ولن يوقفهم أكثر من عشر دقائق...

(جمعية آذربيجان الإقليمية)

رد طهران:

"بعد عرض السلام، نحن في انتظار الأوامر".

(مستشار الدولة، حاجي ميرزا، آقا إبراهيم)

رد تبريز:

"بعد تقديم السلام، لقد وصلت برقيات مجلس الشورى الوطني والرسالة المشفرة لصاحب الجلالة، ورغينا التباحث في كيفية الأوضاع الراهنة وكيفية استئناف الأمن والتعرف على الأوضاع، فالشعب يبدى الصمود لكلمة قالوها، ولتقولوا كلمة أو كلمتين عن طريق الشفيرة حتى يعلم أنكم صاحب الجلالة".

(جمعية آذربيجان الإقليمية)

رد طهران:

"الوضع الراهن هو أن الوزراء أحضروا القرآن الذي ختم الشاه عليه إلى المجلس البارحة، وتم وضع الشرح الذي دونه المجلس في الحاشية خلف القرآن...".

...
وختموا عليه، والبنود المشروطة هي: رعاية الدستور وتنفيذها بشكل كامل، وإدارة جميع كتائب الجيش في وزارة الحربية، ونفى سعد الدولة، وعدم تدخل الأمير بهادر في المهام الحكومية، ومعاقبة الأشرار ومن يحضرونهم، وإنشا لجنة خاصة بالمجلس، وإعادة علاء الدولة ومعين الدولة - الذين تم طردهما - وتم وضع هذه البنود بناء على الملاحظات التي أبداهما العقلاة، وضمنا ثمة مطلب آخر وهو أن جماعة الأشرار قد تفرقت بالأمس، واجتماع المشدرين في إحدى المناطق واستعراض خلف أحد الاستحكامات واستقر الأهالي في فناء داخل إرك وتقرر أن تفتح الأسواق، إلا أن الأهالي لم يقرروا وطالبوا بتنفيذ هذه البنود، وحضر نواب عن السبعين جمعية موجودة في طهران في مسجد البسباسار، وانشغل السادة وحجج الإسلام والدول في المجلس بتهيئة أسباب أمن الأهالي، وتقرر في هذين اليومين أن ينعقد المجلس رسميًا في البلاط في حضور الصفوة، ويتم أداء اليمين مجددًا بشكل رسمي.

(الحاج ميرزا آقا إبراهيم ومستشار الدولة)

رد تبريزي:

نحن نقع بين المحظورين بهذا التفصيل الذي أرسلتموه برقية، وفيما يفصل بأن الشعب اتفق على الصمود لتنفيذ كلام آخر فيهم لم يكفوا تحت أي عذر، لذا فأنتم متدرون بالمحظورات ونحن لا نعلم أيه مهمة لنا.

(جمعية آذربيجان الإقليمية)

رد طهران:

نحن في غاية الامتنان والأمل من حس نوابكم الغيور، ولكن اعتمادًا على رضاهم وتفتيشهم في تضحيات هؤلاء العبد وحسن خدماتهم نحن نطلب منهم جميعًا ألا يوقعوا الخلل في فكرنا وفكركم بالسليقة والعقائد المختلفة، فالمجلس المتقدم حافظ لحقوق إيران بأكملها، وحين يتم القيام بهذه الوظيفة المقدسة القبلية يتم وضع كل شيء في حيز التنفيذ وتعليم عامة الشعب البصير أن الصلاح في نوابه.
ومقاومة أخاد الأمة حتى اليوم وأوامر المجلس المقدس بلغت حد الكمال وصارت
باعثًا لحرية الشعوب وغيبتها، ولا شك أنهم يرعون هذا الأسلوب المقبول في هذا
الوقت وسوف يتم وقاية دار الشرور وعظمتها بهذا الأسلوب الصحيح، وتم السماح
لنا فتوحتنا إلى المجلس حيث لا تجب الفلقة في مثل هذا الموقف الدقيق في الوقت
الراهن، وبمشيئة الله سيتم مراعاة ما فيه صلاح الأمة بتوجهات حضرة إمام
العصر عجل الله فرجه، وسوف نعرض نباعًا نتائج الإجراءات القادمة.

(مستشار الدولة، حاجي ميرزا، آغا إبراهيم)

وكان هذا رد طهران الأخير، وأولئك الذين انخدعوا بخدعون الآخرين على
هذا النحو. ومستشار الدولة على قيد الحياة الآن لكنه لم يعلم بعد خمسة وثلاثين
عامًا أن ثمة خدعة قد انطلت عليه في ذلك اليوم، ولم يعلم أي خدع خدع بها
الآخرين، وكان جزاء مثل هذا المجلس وأولئك النواب أنهم أدركوا ذلك بعد عدة
شهور وغرقوا عبضهم بشكل مخزي.

نعم، في نفس اليوم - يوم الاثنين - كان ينبغي على سعد الدولة الخروج من
طهران، فخرج من البلاط واتجه إلى سفارة هولندا واعتصم هناك. واستدعى
الحاجة في ذلك اليوم إلى فتح الأسواق، ولكن لما شوهد آنذاك شعب بسيط مرة
أخرى من قبل الأرباس لم يفتح الأهالي الأسواق، لكنهم فتحوها من غد ذلك اليوم
ومضى السيد بهبهاني إلى الجمعة التي كانت في مدرسة السيسالار وأمرهم
بالتفق. ومن بعد يوم الأربعاء وصل ما يقرب من سبعمائة فارس مدججين
بالأسلحة والبندق من منطقة ساوة لمساندة المجلس النوابي (1) ورغبهم طائفة
المجاهدين في قرويين في الوصول يوم الخميس.

وكما ذكرنا، تغلغلت المطالبة بالحرية في مدينة قزوين وظهرت من هناك
نهضة وحركة ذات قيمة، وفي هذا الحدث قاموا كذلك بعمل جليل وهو أن ميرزا
حسن - رئيس المجاهدين - اتجه إلى طهران لمساندة المجلس النوابي ومعه مائة

(1) ورد هذا فقط في صحيفة تدعي وطن، ولم يرد شيء من هذا في جريدة "الحبل المتين" والمجلس.

277
من المجاهدين، وكان يقال إن هؤلاء الرواد إذا ما أخذوا الإذن من المجلس النبوي
سنصل إليهم جماعات أخرى. هذا وقد وصل ميرزا حسن بالآمس، وحضر فرسانه
اليوم، وقامت جمعيات طهران باستقبالهم ووقفوا أمامهم بالعدد والآلات، ومضوا
في الشوارع بكل تبجيل ووصلوا إلى بهارستان، وكان المجلس منعقدا وحياهم
أعضاء المجلس لكنهم أذنوا لهم بالعودة إلى قزوين بحجة أنهم يقومون بالصلح، ولم
تعد هناك حاجة إلى تواجدهم في طهران.

وهذا نموذج على حماسة الأهالي، ولكن مما يسافر له كانت القيادة التي
أتلقت بهذه الحماسات في طريق جيد واستفادة منها جد قليلة ولم يستطيعوا فعل
شيء إزاء خبث بعض الوزراء ونواب المجلس. وخلاصة الحديث أن المجلس لم
يقدر هذا الحدث جيدًا.

انتهاء أمر رجال الدين:

ما كان يستدعى الخزي في هذا الموافق أكثر من أي شيء آخر هو موقف
رجال الدين، فقد تعاونوا مع البلاط في العداء للحكم النبوي وجلسوا مع الأوباش
القبدات. ولاح ماضر محمد علي ميرزا لعقد الصلح مع المجلس جتهم تحت
موطنه وصاروا عرضة لضرباته. وكما أسلفنا، أنهم أقنعوا الخيام في يوم الخميس
واجروا إلى البلاط، لكنهم عادوا إلى الميدان ثانية من الغد وظهروا هناك قرابة
الليلتين حتى يقيموا الخيام ثانية بأمر الشاه، واضطروا إلى البقاء، واستأجروا
منازل في إرك وظهروا هناك عدة أيام، وخدعم محمد علي ميرزا يقوله:

"لقد اقتربنا أن يأتي مبعوثون من المجلس للجلس معكم لتغيير الأوضاع
إلى الأفضل".

ولكن لما كان هذا الاقتراح موجودًا في اتفاقية الصلح فقد افتدوا عن
بعضهم البعض وعاقوا الأوباش، واضطر محمد علي ميرزا لأن يبدئ استياءه.
منهم دفعة واحدة، لذا خرجوا فجأة من إرك يوم الخميس الرابع من شهر ذي (20) ذي القعدة واتجهوا إلى مدرسة مروى ودخل الجميع هناك واستقرت في الحجرات التي خلت من الطلاب ووضعوا منبرًا هناك اعتلاء رجال الدين وتحدثوا من خلاله. إلا أن طابع الحديث قد تغير هناك فكانوا يمتعون عن السب والنذم، وعلى سبيل المثال كان السيد آفا يقول:

"أيها الناس، هناك عدة بنود في هذه اللائحة تخلف الشرع المقدس، ونحن على أهبة الاستعداد لأن يشكل مجلس يحضر فيه بعض رؤساء المجلس وبعض منا ونتباحث حول كل شخص تم اختياره من قبل الشعب، وإذا ما كان قولنا هو الصائب يقبلنا، ويزيلون عيوب المجلس، ولو لم يكن صائبًا نمضي إلى ديارنا".

ونفس هؤلاء الذين أقاموا مطبخًا ضخمًا في ميدان دار المدفعية كانوا يحملون قدر الأرز كل يوم للقراء والمعدمين، ورمواها مكتوبًا على جدران المدرسة مفاده "يسطع كل شخص التبرع بمبلغ مائة دينار ولو حتى طومان واحد لرؤساء القوم الذين جلسوا جوعي في هذا المكان بهدف حماية الشرع، ولن يضيع هذا عند الله". وكتبت صحيفة "الحلب المتين" تقول: "لم يكن هذا أكثر من أكذوبة".

وكانوا يحملون هنا أيضًا قدر الأرز فوق رؤوسهم.

ومن غير ذلك اليوم دينت البرقيات وأرسلت إلى كافة المدن وطلبوا العون من الأهالي تحت مسمى تأييد الشرع، وطبقًا لما ورد في جريدة "الحلب المتين" لم يعلم من أين أتوا بهذه الأموال لإرسال كل هذه البرقيات رغم ما كانوا يعانون من جوع!

والإجابة من ذلك أن السيد محمد البدري اعتلى المنبر وكان يقول:

"لقد أغلق الأهالي الأسواق في جميع المدن لتليبدنها خاصة في تيريز". في حين أن الأهالي كانوا يبدوا استياءهم منهم في كل مكان، وتلك البرقيات التي أرسلوها وصلت الردود عليها من كل جانب بقية بالإستياء، وقد نشرتها جريدة

279
المجلس والحمل المدين ووصل رد مطول من خروى امتلأ بالدح والذم في رجال الدين. ومن استر أباد أرسل من يدعى كلاينتر برقية يقول فيها:

"إلى الحاج الشيخ فضل الله... أرجأ الله بك وبتأييك إلى الدرك الأعلى من النار حتى يستريح المسلمون."

نعم، لقد قضا يومي الخميس والجمعة في حرية، ومن يوم السبت وضعت الحكومة حراسة حول المدرسة ومنعت التجوال، وانقضت ثلاثة أيام على هذا النحو، وكما كان يقال إنهم يريدون أن يمضوا إلى السفارة الروسية بهذا الحشد للاستعمال هناك، وكان هذا أمرًا مخيفًا، وما أكثر النتائج الخبيثة التي تترتب عليه. ومضى بعض الوزراء إلى المدرسة ورأوا الحاج الشيخ فضل الله وغيره، وحوهم على تقرية الأهالي بأنفسهم وقبلوا ذلك.

وفي ليلة الأربعاء العاشر من شهر دى فرقوا الأهالي ليلاً ومضوا هم كذلك إلى ديارهم. وفي نفس هذه الأيام أرسل السيدان برقيات من طهران إلى الآخوند وغيره في النجف وشكيا فيها من الحاج الشيخ فضل الله، وصرفته، ووصلت الردود من النجف ونشرت على صفحات الجرائد، وسوف أورد واحدًا من هذه الردود في هذا المقام:

"حجة الإسلام السيد بيهاني والسيد طباطبائي، لقد وصلت البرقية الثانية، ولما كان النورى مخلًا للهدوء ومضدا فإن تصرفه في الأمور حرام."

(محمد حسين نجل ميرزا خليل، محمد كاظم الدين، عبد الله المازندراني)

ولما كان ينبغي أن يتم القبض على رؤساء الأوباش، واختفى كل من صنع حضرت ومقترن نظام وغيرهما، فقد تم القبض على الحاج معصوم فقط، وبذلك انتهت فتنة ميدان دار المدفعية. لكن ثمة مشكلة أخرى ظهرت في هذه الفترة وهي أن الأوباش الذين فروا واجломوا كانوا يخرجون ليلاً ويضربون كل من يجدونه,

280
ولما كان الشاه وحاشيته يساندونهم ولم يمضن مجلس السلطان - خامد الشاه - عن رعايتهم وتغليدهم، قاموا دون ردع بكل عمل قبيح كضربهم لبياء الوعاظين - أحد نواب المجلس - وإهانته. وفي ليلة الأربعاء السابع عشر من شهر دى (أذى الحجة) مضى ثمانية منهم إلى دار فريدون الزرادشتى - أحد التجار - وأيقظوا ذلك المسكن، واستولوا منه في البداية على خمسمائة وستين طومانًا ثم قتلوا زوجته أمام عينيه، وكان واضحًا أن القتلى ينتمون إلى الأوباش. ومن ناحية أخرى، مضى الشيخ محمود إلى ورامين وعاش هناك في هدوء.

وبصفة عامة، ما كان يُشاهد أن البلاط لم يتعهد بمعاقبة الأوباش، ولم يكن تعهد في هذا الشأن إلا من قبل الخداع، وكانت الزيادات تصل من المدن حول هذا الموضوع، ودار حديث عنه كذلك في المجلس لكن دون جدوى.

اعتقال رؤساء الأوباش ومعاقبتهما:

لما ازداد استياء الأهالي في تلك الأثناء من محمد على ميرزا انسوط الألسنة في المذمة (خاصة بعد وقوع حادث ساروجبلاغ الذي سنورده من بعد)، وكانت صحف طهران - خاصة "مساوات" - لم تعرف حدا في كشف المستور، وكانت تسوق الحديث بشكل واضح عن خلع الشاه وبرون قصة الملك لويس السادس عشر، وخشى عصد الملك - رئيس العشيرة القاجارية - وشعاع السلطة - شقيق الشاه - من أن ينتهي الأمر بخروج الملك من الأسرة القاجارية ويزول أمرها، ووضحا ذلك إلى محمد على ميرزا وصرح عصد الملك إليه بأن الملك لا يجوز مع وجود استياء الأهالي الذي لا حد له، وأوضح في النهاية سوء مسلمه تجاه المجلس، وأثرت هذه الأحداث في محمد على ميرزا وحثته على عرض السلام والصلح مرة ثانية مع المجلس وجعل يسترضى الأحرار.

من ناحية أخرى، عقدوا جلسة في البلاط يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر دى (9 ذي الحجة) حضر فيها السيدان واحتشام السلطة وبعض النواب.
وجلس الشاه نفسه معهم على الأرض وتحدث بلسان التواضع، كما تحدث السيدان حديثًا مقبولًا بأسلوبهما، وفي البداية أبدى الشاه استيائه من مذمة بعض محرري الصحف والأحزاب وشكًا من عدم منع المجلس لذلك، ثم قال:

أمّا الآن في حضوركم بكلام الله أننى سأعلن قدر استطاعتي مع الشعب ومجلسه طالما الروح في جسدي، ولن أمنح الفرصة للخائنين، وأن أجهد وأجد لحفظ الحدود وتنفيذ القانون وتحقيق الأمن والأمان في إيران لدرجة تفضي إلى حقد العالمين.

قل ما سبق وأقسم للمرة الثالثة بالقرآن، وأقسم السيد بهبهاني كذلك باسم شعب إيران، ولكن يمنح محمد على ميرزا ذلك اليوم القيمة وبعض ذلك العمل، قال: في الواقع، ينبغي أن بعد اليوم هو أول أيام الجنس على عرش السلطة، وفيه الساعة الأولى لتأسس الحكم الذاتي واستقراره.

على هذا النحو كان الحديث يتوالى حتى انتهت الجلسة، وبعد غد، حيث انعقد المجلس، دار حديث حول هذه الجلسة وأعرب النواب عن أمانيهم بأسلوبهم الساذج وأخذوا يمثلون، واقترحوا أن يذهب السيدان إلى النجف وأن يبرق المجلس إلى مدن إيران بما حدث.

ولا تمس الحاجة هنا إلى كلام، فلم يكن هذا كله إلا نفاقًا، ولم تتأت نتيجة من ورائه، ونتيجته الوحيدة هي هذه الجلسة التي رفع محمد علي ميرزا يده فيها عن حماية الأوروبية دفعة واحدة، وانتهز ظرف السلطة - الذي كان وزيراً للحربية وحاكمًا على طهران - الفرصة، وأمر بتعقب الأوربيين، ولما ألحت جماعات طهران في هذا الخصوم كثيرًا قام عمالي الشرطة بالتحرى برقة البعض منهم من غد ذلك اليوم.

وكما ذكرنا، كان مجلس خادم الشاه يحمي رؤساء الأوروبس، ولما علموا بذلك مضوا في البداية إلى داره وقضوا على غلامه الزناني وقاموا باستجوابه، وعلموا من أقواله أن صنع حضرت - أحد رؤساء الأوروبس - مر البارحة بتلك الدار لكنه
اتجه مع الفجر إلى دار حماة حتى يقضي الليلة المقبلة هناك. علموا بذلك وأسرعوا إلى هناك ليلًا. مع جماعة من الشرطة والجنود وقوات حرس الحدود وحاصروا الدار، ونزل من كانوا فوق السطح وقُموا بالبحث في الحجرات لكنهم لم يعثروا على من يبحثون عنه. وعندما رغبوا في العودة وقعت نظر أحدهم على ملاصبة التي كانت قد وضعت في أحد الجوانب. وعلّم أنه كان متواجداً في المنزل فأقاما بالبحث ثانية حتى أخرجوه من بين الحريم وقبضوا عليه وهو بزي نسائي وأحضروه إلى مقر الشرطة.

وسر الأحراش من هذه الأحداث. ومن ناحية أخرى علم مقدّر نظام غريب أنهم لن يطلقوا سراحهم، ولجأ ثلاثة منهم وهم مقدّر والسيد كمال وسماعيل خان إلى منزل ظفر السلسلة إلا أن الأخير امتعب عن حمايتهم وأرسل إلى الشرطة كي يرسلوا هؤلاء الثلاثة إلى المحكمة مع صنيع حضرت والحاج معصوم خان.

وكان مقتل فريدون الزرادشتى داعيًا لاستياء المجتمع لأن الزرادشت في طهران وفي غيرها من المدن كانوا قد توقفوا عن مزاولة أعمالهم وكانوا يريدون القصاص من القتلة. ولمما تم استجواب غلام مجلل الزنجي في هذه الأيام علم أن القتلة هم نفس الأرواح الذين كانوا في ميدان دار المدفعية حيث قضوه انتقامًا من المجلس والدستور (الذي منح المساراة إلى الزرادشتى)، ولما علمت أسماؤهم حاولت الشرطة القبض عليهم. أما عن هؤلاء الخمسة الذين أرسلوا إلى المحكمة، فقد علمت المحكمة أن الحاج معصوم خان كان بريئًا، لكن صدر الحكم التالي على الأربعة الآخرين يوم الاثنين الثالث عشر من شهر بهمن (29 ذي الحجة):

"نظرًا لقيام جماعة من المفسدين والأشرار والعوام المشتبهين بالعهد بالثورة والطغيان ومعارضة أسس النيابة المقدس في الناسع من ذي القعدة عام 1325 ولم يبرزوا حريمة الأشهر الحرم وأغاروا على مجلس الشورى الوطني المقدس شيدنا ركناه على عكس رغبة أولى الأمر في الدولة ورؤساء الأمة واستخدموا الأسلحة وتوجهوا من هناك إلى ميدان دار المدفعية واحتضنت معهم"
جماعة من المعمنين راغبى الفتنة وتعاونوا معهم ودعوا إلى ثورة تحت مسمى الجهاد وقاموا بأعمال همجية وأصابوا على أقلا الصنوف وأعمال الخيانة دون سبب وقُتلوا عنايت الله البرئ في أفعى صورة وعلقها فوق شجرة، وقاموا بالممارسات سواء في بيارستان أو في الميدان أو في المجامع والمحافل، وكان سبب الأخطار مقتدر نظام واسع والدين خان والسيد محمد خان وصنع حضرت والسيد كمال، وتم التباهي وقلب النظام والإشارة إلى الخاص والعالما أمى أدى إلى وقوع الوحشة واضطرب الأمة وتهيئة أسباب انقلاب الملكة والفساد ومعارضة النياية وشكوى عامة الشعب ومن قبل... صاحب الجلاله المقدس ملك الملك الراجل في النياية... بحكم العدل والإنصاف بموجب الأمر الملكي تقرر أن ينالوا جزاءهم في المحكمة وقاموا بمحاكمة الأشخاص المذكورين بعد استجوابهم، وبعد إثبات التقصير تم توقيع العقوبة عليهم وفقًا لقانون الشرع المنير، وفضلًا عن اعترافاتهم على أنفسهم أو تصريحاتهم في حق الآخرين في الاستجواب فقد ثبت أثناء محاكتمتهم أن المشار إليهم هم الأمويين الناهبين للارذال والأوائل وقادة الأجيال والرعياء والمسلمين عن الأمور المشروعة للقئين والمفسدين وأسات الأمور الوحشية، وارتكبوا ما يعارض النظام والأمان وعارضوا قوانين النياية المقدسة - ودروا لإحداث فتنة عظيمة وأمر السادة المستطابون حجي الإسلام والمسلمين - مقتدر الأئمة ذخار الأيام كهوف الأراز والأيتام - السيد عبد الله المجتهد والسيد ميرزا حسن محمد المجتهد والسيد إمام الجمعة وغيرهم - متعت الله المسلمين بطول بقائهم - بعقابهم بالضرب والتعذيب الزاجر الموجع الذي يقضي إلى العبرة للمفسد والحيولة دون وقوع مثل هذا النوع من المجازد والأعمال غير الشرعية، ثم أرسلهم بعد ذلك مقديمين بالأغلاب إلى كلات لحبسهم هناك عشر سنوات، وحكمت المحكمة بسرعة تنفيذ حكم السادة العلماء الأعلام والمجمع المقدس لحضائر حجي الإسلام دامت بركاتهم، فضلاً عن حرفان كل واحد من هؤلاء مما كان له من امتيازات عسكرية ومدنية. فاعتبروا يا أولى الأبصار".

284
موضوع خاتم المحكمة
(الشيخ على القاضي أرداوي، أحمد بن محمد المهدي، معاون حضرة، محسن مجد الملك)

وكان واضحًا أن هذا الحكم قد اشتد وقعه على البلاط ورجال الدين وغيرهم من أعداء الحكم النبوي، لكنه نفذ في نفس اليوم في قضاء المحكمة في حضور وزير العدل والحرية ونواب الجمعيات ومنئ المشاهدين، وجدوا كل واحد من هؤلاء الأربعة ألفًا جلدهم ثم أجلسوا وهم في حالة يرثى لها على عرفة وتوجهوا بهم إلى كلاب. أما قتلة فريدون فسوف نورد قصتهم في موضوعنا نظرًا لوجود التحقيق والتحري بشكل أكثر.

أول سفك للدماء في تبريز:

نتحدث هنا ثانية عن أنغريان، قفي هذه الأثناء كانت تقع هنا كذلك - سواء في ساوجبلاغ أو في تبريز نفسها - بعض الأحداث. أما في تبريز، فكما أسلفنا الذكر، فصل مير هاشم جماعة ولم يكف عن التمرد ووجد رعاع الدولة الميدان أمامهم قاموا قدر استطاعتهم بإفساد الأمن والأمان، وآلم القنصيل الروسي للقبض على نائب كاظم وأتيبعه لذا هدفت بانفجارة الدولة لتآيد ذلك وأغبروا عن عصيائهم ومقاومتهم، وبين الحين والآخر كانت تتشب فائتة أخرى وميضى الرعاع ليلًا إلى الديار ويشلون الأثرياء أموالهم. وكان القنصيل يقول: "تسلل بعض الأشخاص ليلًا إلى باب القنصلية وكان في نيته القتل". وتحجج بهذا واستدعى خمسمة وعشرين من كتاب الوزاق إلى تبريز وقسم حرس القنصلية. وتمت مناقشة هذه الرواية في المجلس في طهران، واستفسروا من وزير الخارجية لكنه لم يستطيع الرد بوضوح، وهذه القصة كانت بعلم البلاط.

285
وكان فرمان فرما لا يزال في تبريز يحاول منع ذلك، ولما رحل طالب
الجمعية بيجار بيجي معه ذلك ولكن لم تُر نتيجة، وكان واضحًا أن الأمر سيفضي
إلى سفك الدماء. في هذه الأثناء حل عيد الأضحى، وكما نعلم، كانوا ينحورون في
عهد الاستبداد جملًا في هذا العيد، حيث يزرون ذلك الحيوان الأصمن بالجلاجل
وخصائص من الشعر ويمضي الفرسان من أمامه ومن وخلقه بالبوق والطبول
ويطوفون به في الأسواق لمدة يوم أو يومين ويعرضون عن فرحتهم. وفي يوم العيد
يذبحونه، وقيل أن تزايل الروح جسده يندفع رجال البلط حوله وياخذ كل منهم
قطع من نحمه ويحملون رأسه إلى ولي العهد أو إلى الشاه، وكان هذا عملًا دمويًا
سبيًا لذا منعته الجمعية، لكن مير هاشم - الذي حصل على الحكم وكان يرى نفسه
في عالم آخر بسبب سخاء محمد على ميرزا تجاهه وقوة نذاقه الدوتشي وسرخاب
- يأمر بإعادة الأضحية بالجمل، ونحر رجال البلط القدامى - كعادتهم - جملًا
وحملوا رأسه إليه وأخذوا منه الخلطة والكافاة.

وأدرك الأهالي من خلال هذا العمل أن لمير هاشم نية أخرى وأنه لن يلين
أبدًا، في نفس اليوم اندفع الرعاع والأوباش - المتمنون إلى الدوتشي - إلى السوق
وغلقوا الحوانيت تهدئة بالسلاح. وأثناء الليل أطلقوا وابلاً من الرصاص على
حوانيت مجيد الملك ومضت جماعة إلى دار الحاج مهدى أقا وأضرمو النار فيه، واضطرت الجمعية إلى البحث عن حل وقامت الخبرة إلى المجاهدين
وأصدرت أمر القتال والصد، وبدأ القتال بين الطرفين من يوم الجمعة السادس
والعشرين من شهر دی (21 ذی الحجة).

واتخذ أهالی الدوتشی حوانيت السيد حمزة مقرًا لهم، واتخذ المجاهدون كذلك
بعض الأماكن كتلاة لهم، ولما انطلقت الرصاصات فما أكثر من قتل بلا ذنب من
المارة، وأرسلت الجمعية مدفعًا فوق جسر "قصر" الواقع بين الدوتشی وغيرها من
الأحياء، ولما لم ير أهالي تبريز قتالًا حتى ذلك الوقت ولم يسمعوا صوت المدفع،
ولما كان يقال: "أغلق فلان المدينة بالمدفع"، ظن جميع غفير من الأهالي أن المدينة ستتمز من جراء مدفع واحد لذا عم الخوف والاضطراب أرجاء المدينة، ورغم ذلك لم يطلقوا نيران المدفع.

واستمر القتال لمدة يومين قتل خلاله ما يقرب من العشرين فردًا من كلا الجانبين وقتل من المجاهدين من يدعى الحاج خليل فرشجى وهو أول ضحية من مjahدى أذربيجان، وكان لهذا الرجل محل في السوق وكان من الأثرياء. وعلى أية حال، فقد انضم إلى المجاهدين بدافع الغيرة والرغبة في الحرية رغم أن عمره كان يتجاوز الخمسين، وكان يحمل بشحونة ما تقل حمله من المدافع والذخيرة. وفي هذا القتال الذي أربع الكثير من الأهالي لم يتمكروا وتقدم بشجاعة حتى أصيب في رأسه على أثر إحدى الطلقات وأسلم الروح. وكان الأويشة يمضون ليلًا إلى الديار ويسلبون الأثرياء أموالهم، ومضت عدة أيام على هذا النحو، وفي الخامس من شهر بهمن بدأ القتال والقتال مرة أخرى وأرهقت أرواح البعض.

في أثناء ذلك كان نواب الجمعية يلتقيون مع طهوان في مكتب البرق وكانوا يطلبون بحل الاستقرار المدينة، واختاروا من البلاط إجال الملك - أحد نواب الجمعية - لرئاسة الشرطة وعهدها إليه بأزمة الأمور في المدينة، ومارس عمله على الفوز وحالة دون وقوع القتال. من ناحية أخرى، لما حل شهر المحرم وكان ينبغي استعداد الأحياء للعمل لخروج المجامع التي تدق الصدر، كان هذا داعيًا آخر لإخماد نار القتال. ومع بدايات شهر المحرم كان نصف الأسواق مغلقًا والنصف الآخر مفتوحًا، لكن المجامع التي تدق الصدر كانت تتجلب في سهولة. من ناحية أخرى، استطاع إجال الملك تحقيق الاستقرار في فترة وجيزة، ونبا جميع الحرس زيًا جديداً موحدًا، كما اختار جماعات من فرسان الشاهسون ومن الفوارق لحماية مقتر الشرطة. وخلاصا الحديث، أظهر إجال في هذا الوقت العصيب حكنته، وحقق استقرار المدينة بعد تلك الاضطرابات، وأتذكر جيدًا كيف

287
كانت هذه الجماعات تمضى في الأسواق بصحبة الموسيقى وكيف عم الهدوء.

واكتسبت هذه المعركة أهمية في تاريخ الحكم النبايي، فمع الأضرار التي ألحقتها كانت تتضمن منفعة ما وهي أن الأهلاء شاهدوا المعركة وخرجوا من حالة الهلع الذي لم يكن له داعٍ في هذا الشأن. كما رأى المجاهدون كذلك المعركة فتعلموا واستعوا لمعركة أعظم. ونتيجة لهذه المعركة أنه بعد قصف المجلس وإرسال الشاه جيشًا إلى تبريز لم تتخذ هذه المدينة كغيرها نمازها وأبدت صمودها، وكان ستارخان في هذه المعركة أحد القادة، ولما أبدى حنكة وشجاعة ذاع صيته وعمت شهرته كما أبدى مجاهدو القوارض كذلك حنكهم خلال هذه المعركة.

مقاومة أهالي الدوتشي:

ولكن رغم هذا القتال وسفك الدماء لم يتم اعتقال رعاع الدوتشي لأنهم صمدوا في حيهم ولم يقربوا هذه الناحية، والحقيقة أنه تم منع التجوال بين الدوتشي وسرخاب وبين غيرهما من الأحياء؛ واتخذ الانقسام في هذه الفترة شكلاً أشد، وكان إجلال الملك يرى أنه إذا ما أراد القبض على الرعاع مستتألف الحرب ثانوية، إذا تغاضى عن ذلك وكان يحاول ألا تقع الاضطرابات ثانية. وفي العشرين أيام الأولى من محرم كانت طوائف من الدوتشي وسرخاب تأتي إلى السوق، وكان الدوتشي يبدون حقدهم وغضبهم قدر إمكانيهم، خاصة في يوم تسوعاء، حيث أحضروا جملًا إلى السوق. ولن تكن حرب الحديث في هذا المقام عن حكايات الجماعات التي تدق الصدور في شهر المحرم - وكان هذا السلوكي أحد مشاكل عهد الاستبداد وظل أوعمًا بعد الحكم النبايي - لكننا نحتاج هنا إلى حدوث موجز في هذا الشأن:

لقد ظهرت هذه الجماعات على أثر المزج بين جهل الشيعة وأهواء العامة واستغلال الرعاع وكانت تنتشر في جميع مدن ايران، لكن رواجها كان أكثر في
تبريز، وكانوا يقومون بهذه الأعمال منذ اليوم الأول من شهر المحرم وحتى الثاني عشر من نفس الشهر، وكان لهذه الجماعات - التي نهبت من أماكن مختلفة - وضع خاص. فعلى سبيل المثال كان هؤلاء الدوتنش يحضرون في يوم تاسوعاء جملًا إلى السوق على النحو التالي: يلبسون أحد الرجال جلد الجمل ويجلسون فوق أريكة وبحرونها، وكان هذا هو أسلوبهم الخاص حيث لا يفعل حي آخر. وكان يقال إن هذا الجلد كانوا يجلبونه من حي آخر وسله الدوتنش منهم، لذا كانوا يحاولون حمايته، ولما يحل يوم تاسوعاء يأتي حشد كبير من رجال ذلك الحي (خاصة من النساء) على النحو التالي حيث يمسك كل منهم بيد الآخر ويبسرون سلسلة طويلة ويعضون الجمل في المنتصف، وكانوا يرسلون من يقلون الشعر ومن يدقون الصدوع، وكان الرعاع يحملون البندق الصغيرة، وكانوا يذكرون هذا الجمل في الأشعار التي يلقونها، وكانت هذه الأشعار تتردد على الألسنة في تبريز، وكانت تسرد هنا وهناك أثناء الحركات المطالبة بالحكم النبائي وكان معظمها على نفس الوزن والقافية، ويتشد بنفس النغمة التي كان يتغنى بها مدقو الصدوع.
كان الدوتنش في يوم تاسوعاء - كعادتهم السنوية - يحضرون جملًا ويلعثون عن عصيائهم وتردهم، وحينما يصلون إلى أشعارهم إلى: "لمعت بينه قوم بي حياتك (أي لعنة الله على مثل هؤلاء عديمي الحياة) كانوا يثيرون إلى الأحرار وبيذا يتنقولون منهم. وبعد عشرة أيام من محرم بدأوا في ذلك الحين أيضاً بنشر جريدة باللغة التركية، ولما كانت تكتب بطريقة السؤال والجواب بين واحد من العامة وأحد رجال الدين، وكان العامي يطلق اسم "ملا عم" على رجل الدين عرفت هذه الجريدة نفس الاسم. وفي هذه الجريدة التي كانت تدوم باللغة التركية التبريزية دارت المقالات حول توبيخ المطالبين بالحكم النبائي وممتئتهم ونقتهم، ولما كان استياء مير هاشم بشكل أكبر من عدم انتخابه لنيابة الجمعية كان يقوم بتمثيل الجمعية أكثر من أي شخص آخر. وقد شهدت أعداد هذه الجريدة حتى العدد الثامن أو التاسع لكن الصادرون منها كان أكثر من ذلك. فضلاً عن هذا كانوا يكتبون بعض المقالات باللغة الفارسية ويطبعونها بالحجر ويوزعونها، ولما كانت
إحدى هذه المقالات في متناول يدي أورد جزءا منها تحت عنوان "هذا كابنا ينطق عليكم بالحق" وتبدأ كالتالي:

"أيها الإخوة الفطناء، يا من تؤمنون بالقرآن المبين، افتحوا عين العبرة واطروا طريق الحمية، واجعلوا اسم إيرانيك الواعيا، تاريخها على النسخة الآلية. إكمالًا لتواريخ سائر الدول، إنكم لم تعلموا أنكم عشتم مثلًا طويلة مع سلاطين متدنيين، فلنا تخنعوا للسلاطين المستبدن، ونتملكوا الآن حماسة الوطنية والغيرة على الوطن، ماذا حدث لكم حتى أصبحتم أسرى خمسة أو ستة أفراد من الفوقاريين، ولا تظنوا أنهم لم يكونوا لصوصًا محتالين فقط... انظروا إلى ما آل إليه أمر المسلمين حيث قال جناب المستطاع السامي السيد الحاج ميرزا أبو الحسن الشهير براججي: "متى يا نواب الشعب أوجبتم القتل وفي أيّة شريعة (يقصد أهالي محلّي سرخاب وشربين) كي تصدروا حكما بقتلكم؟!"

ويقول مرتضى جايب في رده "إنه لا يقرأ شرح اللمع والشرع، إنك تعلم ولا ترجع عن هذه الأعمال". ولم يرد شيخ مسلم ممصوب هذا على مير تقي بـ"نعم يا صديق جايب فإن أصل المقصود من النقابة هو تنفيذ شرح اللمع وقراءة الشرائع والشرع المنير، ولا بيع للشاي المر، وأنت تعلم، ولهم يوجون إهانة حضرات السادة العلماء والساسة في التنبيه في قانون المفسدين كما كان يفعل جناب المستطاع السيد مير جواد إمام الإصلاح في محلة "مقصودية" حيث كان يأمر بالمعرفة وينهي عن المنكر في عهد الاستبداد ولا ينكر شخص، وقد جاء في المعركة للإصلاح إلى محلّ "شرتين" وشاهدوا صدقه، وقال حسن الدعوة إلى أهالي سرخاب وشرتين: "لا أتحررهم، فأننا ذاهب لإسكات الأهلاء في تلك المناطق، وما أن أمر بذلك حتى أطاعوا وتزعموا الصمت، إلا أن أهالي المنطقة لم يهتموا بحديث جناب السيد المذكر ولم يصمنوا، وكان جناب المشار إليه ينقد المفسدين والمتقنين بالنبيبة دون أي غرض شخصي قائلًا: لم يوجبون القتل والإغارة على أهالي محلّي "سرخاب وشرتين".

(على مسيو)
ويقول في القد، إنك جئت خالي الوطاش وصبرت مالكا في محلتنا،
ولآن تعلم من محلتي سرخاب وشتران حديثا لا طائل منه، يا أهل تبريز، لعلكم لا تعرفون على مسيو هذا ولا تعلمون ماذا يعني لفظ "مسيو" فهو يعني في اللغة الفرنسية "سيد"، أما ذلك الشخص الذي يتمتع بالأصل والنسب فيقدمون على اسمه لفظ "مسيو"، مثل "مسيو برين" وغيره، وذلك الذي يرتد عن الإسلام يجعلون لفظ "مسيو" لاحقا على اسمه، وهذا هو ظاهر الحال، واسمه يعني أنه ملحد، ويعجز قلم الكتاب عن شرح سيئات باهته، ومن بين ذلك العزاء في حضرة سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء، فدولما يستهزئ به ويمنع النواح، ويلوم على المجلس نقاشه أكثر من مرة اتجاهه إلى العشق بعد سفره إلى إسطنبول تحت مسمى "القية"، وقد تأذينا واغتستنا منذ ذلك التاريخ غسل التوبة كى لا أعود إلى ذلك ثانية، وذلك الملحد الذي ادعى أن العزاء في تلك الحضرة أمر خاطئ واردت عن إسلامه لا يلزم دليل أو برخان آخر على كونه، وسعي من خبث فطرته كى يتهاوي أساس العزاء في سيد الشهداء عليه السلام وينهر.

فرمان فرما في ساوجبلاغ:
أما في ساوجبلاغ، فكما أسلفنا، اتجه فرمان فرما من تبريز إلى هناك، ولما بلغ "مياندوب" أسرع أهالي المدينة - وكان معظمهم يؤيدون إيران من أعمالهم - وأعربوا عن سعادتهم، وبهذا سيطر على المدينة ثانية. لكن محمد فريق باشا القائد العثماني الذي كان على بعد بضعة فراسخ وكان يبحث على الثورة للاحقة الأكراد - قام بمحاولات أكثر في هذه المرة، ولم يضن الأكراد بما لديهم من قدرة في المناطق الخارجية عن ساوجبلاغ حيث دمروا وأراقوا الدماء فيها، ثم تجاوزوا الحدود دون حياء وأرسلوا إلى فرمان فرما بأن "اترك لنا المدينة وارحل". ورغم أن فرمان فرما لم يكن لديه أكثر من ألف ومائتي فرد، وكان الأكراد أضعاف هذا العدد، إلا أنه رد عليهم رداً غليظاً وأعاد الرسول.

291
وفي يوم السبت العشرين من شهر دي قدم إلى المدينة ما يربو على الإثني عشر ألف شخص فجأة، واستولوا على جميع التلال التي حولها وقاموا بأعمال القتال، وقسم فرمان فرماً الجند والفرسان على ضواحي المدينة وأصدر أمره بالقتال، وقدم بنفسه في يده البنقية وقاوم، ووضعما مدفعين في مبنى الحكومة، وجعلوا يطلقون النيران منهما، ولم يصب أحد رجال المدفعية بأحد الطلقات أخذ فرمان فرماً مكتبه خلف المدفع واستمر القتال اثنتي عشرة ساعة وقتل منهم حوالي مائة شخص، وعلى أية حال، لم يتقدم الأكراد في أموره هذا وعادوا، لكنهم مارسوا أعمال السلب والنهب في القرى وغلقوا الطرق، في نفس اليوم الذي دارت فيه الحرب، قطعوا الطريق بين ساسوبلغاغ و"مياندواب" وكانت الأسلحة والأموال (ثمانية آلاف طومان) قد أرسلته فرمان فرماً قد قاموا بسحب ذلك كلهم.

 أثناء ذلك كان فرمان فرماً وأهالي ساسوبلغاغ يترقبون وصول المساعدة من تبريز أو طبران، لكن مر عشرون يوما ولم يصل سوى عدد قليل من جند الشاهسون، وقام محمد عليك على ميزاً غداة يوم الجمعة يعمل طيب حيث مضى بنفسه متوجهاً إلى مكتب البرق التابع للبلاط وأبرق إلى رؤساء العشائر وقادة آذربيجان حتى يبادروا بمساعدة فرمان فرماً، ولكن لما كان هذا نفاذًا لم تشاهد منه أية نتيجة ملموسة.

 من ناحية أخرى، سللت الحكومة مسلكاً مخادعاً، حيث كانت تقول: لما لم يرسل العثمانيون أنباءً عن القتال فلا ينبغي أن نقاتل جيوشهم، وعلينا فقط السعي لسحق العشائر المتمرة. كما أرسلوا أمرًا إلى فرمان فرماً بعد محاولة الأكراد إلا عندما يتجاوز العثمانيون الحدود في وضعه ويدخلون الأراضي الإيرانية. ومن ناحية أخرى، فيما يختص بـ"ساسوبلغاغ" لما لم يتأتي أي عمل من الأكراد قام فريق واحد بنفسه بالعمل واتجه إلى المدينة مع الجيش والمدافع، وأرسل فرمان فرماً شخصًا وأعطاه رسالة، فيها "إنكم لم تتلووا الحرب حتى الآن، فكيف تتقدمون..."
إلى المدينة؟ فأجاب فريق: "إن إعلان الحرب أكثر من هذا حيث قد قدمت إلى المدينة على مسافة نصف فرسخ برقعة عشرين ألف جندى وستة مدافع، ولن تخرج من المدينة خلال الست ساعات القادمة سنبدأ القتال على الفور.

ومن هذا الرد لم يتبقي لفرمان فرما القدرة على الصمود فغادر المدينة وعد إلى "ميادينواب"، وعلى هذا النحو وقع حادث مخز، ودخل العثمانيون المدينة واستحكموا فيها، والعجيب إنهم يقولون "إنا لم نعبد على أراضي إيران". وكان محمد علي ميرزا ووزراءه يقولون: "لم يرسل العثمانيون حتى الآن يعلن الحرب".

باستغر فرمان فرما في "ميادينواب" وأخذ يجمع الجيشه. في هذه الآلانية بدر تصرف من الحاج محمد رضا - أحد التجار - وينبغي أن يكون اسمه في التاريخ بسببه، فقد أرسل خمسمائة طومان من العراق إلى فرمان فرما كي يستفيد منها خلال الحرب وقيل فرمان فرما الأموال وتم إليه الشكر برقية.

من ناحية أخرى، وكما أسلفنا، كان الروس والإنجليز والألمان بدون تعاطف في هذه الصراعات تجاه العثمانيين، وفضلًا على سبيل المثال والعصا الأخرى كانوا يتبادلون مع طهران وسطنبل، كما شكلوا لجنة بالنفث من الحدود ودار حديث عن خط الحدود. ولو كان العثمانيون بعد بضع أراضي إيران ملكًا لهم إلا أنهم لم يستطيعوا أن يجروا "سواجبلاغ" ضمنها، لذا اضطروا إلى تركها في اليوم الأول من شهر رمضان وأظهروا الكرة الطريق إلى إيران ثانية. والأخير من هذا إنه بعد وصول هذه الانتفاخ إلى طهران، أراد محمد علي ميرزا أن يتحجج لبيباد بعمل محمود وأرسل إلى المجلس المذكرة التالية:

"إلى احتشام السلطنة - وصلت الآن برقة من سواجبلاغ" تفيد بخروج العثمانيين ولما كانت بشري للحكومة والشعب فقد أرسلت إليكم، فقدموا ملاحظاتكم عليها واستلواها حذاء في المجلس علانية حتى يعلم الشعب إنى حرمته راحته وكم تحملت من مشاق لدفع ودفع هذه الطوائف المغيرة دون إرادة دماء، وأمل أن يتم صلاح الأمور بالاتفاق والإتحاد المعنوي للمجلس المقدم مع الحكومة. محرم 1226 ق."
هكذا كان يزهو بعمل لم ينجذء، بينما كان الأكراد يقومون
عمال
مفسدة فيما حول أرموي، وكانت برقيات الشكر تصل على التوالي، كذلك لم يكن
نائب حسين كاشاني وأباها يكرون عن ظلماتهم في كاشان، وكان الأهالي يرفعون
غيرتهم بالشكيك مطالبين بالإنصاف، من ناحية أخرى لم يخرج العثمانيون من
الأراضي الإيرانية رغم مغادرتهم "ساوجبلاغ"، ولم تتأت فائدة من وراء اللجنة
ومساعيها.

حادث الثامن من شهر اسفند:

كان محمد على ميرزا يبدى سلوكاً طيبة تجاه المجلس، ويمكن الظن أنه في
باس أنذاك من العراك مع المجلس، وتعهد كرها أو طوعاً بحمايته، لأنه كما سبق
ودكنا كان يتخذ كل حادث حجة ويخطو خطوة أخرى نحو الصلح مع المجلس
وكسب وده، ومن ذلك ما حدث في بدايات شهر اسفند عندما استطاع المجلس أن
يسن قانون المطبوعات، فاغتفر الشاه الفرصة وأرسل مذكرة للثناء على أعمال
المجلس والإعراض عن سعادته، وقد تلقت هذه المذكرة في جلسة السابع من اسفند
(24 محرم 1326 اق)، ولكن من غد ذلك اليوم - أي يوم الجمعة الثامن من اسفند
(26 محرم) - وقع حادث عكر صفوف المياه دفعة واحدة، وذلك حينما اتجه محمد
على ميرزا إلى هضبة "دشتان" للنزهة، وخرج من البلاط في مظاهرة الإجلال
حيث كانت هناك عربة تتقدمه وأخرى خلفه، وكانت العربة الأخيرة ملكية تجرها
ستة جياع بينما يلفت الغلامان حوله ومعهم الأمير بهادر، وكان يسير بهذه العظمة
وذلك الإجلال، ولمما انتهوا من شارع حديقة الحيوان(1)، وأرادوا أن يروا من
شارع ظل السلطان، سقطت عبوة حارقة على الأرض فقذأ وقتل شخاص وجرح
البعض وتحطم زجاج السيارة، وانفجت عبوة أخرى على بعد خطوات وقتل
البعض وجرح البعض الآخر، ولم يصب الشاه الذي كان فيجلس داخل العربة التي

(1) هو نفسه ذلك الشارع الذي يطلق عليه الآن شارع البريد.
تجرها الجياد، وما أن سمع صوت العبوة حتى نزل من العربة والتفت الحاشية حوله وأسرع بتوقيعه إلى دار رئيس ساقط العربات حيث كان على مقربة منهم، وبمجرد أن سمع غلمان الحراسة صوت العربة حتى تفرقوا وجعلوا يقومون بأعمال السبل والنهب والتصديقية، وبعد ذلك حينما سمعوا أن الشاه لا يزال على قيد الحياة عادوا ثانية وزالت الثورة وتكال فساد الأمور الذي بدر عنهم، واستراح الشاه سعادة في هذه الدار ثم مضى إلى البلاط مترجلًا. وفي اليوم نفسه أبحر إلى المدن بمعلومات حول هذا الحادث.

من ناحية أخرى، لما علمت طهران بما حدث أعراب الأحرار بأسلوبهم المعتاد عن استيائهم وأقام الأهالي الزيادات. ومن الغد، انعقدت جلسة خاصة في بهارستان استمرت حتى منتصف ذلك اليوم، واختاروا رسلًا أرسلوه إلى الشاه كي يعبروا عن أسفهم ومواساتهم له، ثم أرسلوا البرقيات إلى المدن وطلاببا بإقامة الزيادات والاحتفادات في جميع الأماكن. ووصلت من تبريزي ثلاث برقيات من السيد بهبهاني واحتضان السلطات ونوافذ آذربيجان، وأمروت الجمعية بالاحتفال وأرسنت إلى الشاه برقية تأسف على الحادث وسرور بنجاته.

وفي نهاية ذلك اليوم حيث انعقدت جلسة المجلس تحدثوا ثانية عن الحادث، وتحدث بعض النواب بكلام هراء إما من قبيل التملق وإما لسذاجتهم، فكان البعض يقول: "لا يصدر هذا العمل من إيران، ولا شك أن الجاني أجنبي". وكان المجلس يلح على أن يتم البحث والتحقيق حتى يقبضوا على الاثنين الجناة، فقد كان يذكر اسم شخصين حيث تم إلقاء قبائلتين.

وقامت الشرطة في نفس يوم الجمعة بالبحث والتحري، واتجهوا إلى الدار التي أقيمت فيها القبلتان، ولم ما بضعة أيام ولم يأت أحد إليها فتحوا الباب ودخلوا وعثروا هناك على بعض المعدات الناسفة، وبعد يومين أو ثلاثة قاموا باستجواب أربعة من أهالي آذربيجان - كانوا يتجهون من عبد العظيم إلى طهران - في مقر الشرطة، وكان ثلاثة منهم من أهالي "اسكو"، وهم: مشهدي محمد،
ومشهدٌ عبد الله وأكبر، أما الرابع فيدعى زينال وكان من أهالي قرنا داغ، واعترفت الشرطة مرتكبي الحادث لكنهم لم يفعلوا شيئاً معهم. من ناحية أخرى، لما كانت جمعيات طهران تلح على أن يكون التحقيق علانية وأن يتم استخدام القسوة والعسف، لذا لم تأت نتيجة من هذه التحقيقات، وتم إطلاق سراح الأربعة بعد عدة أيام.

ولما كانت الشرطة تشتك في صانع القنبلة فقد قامت باعتقاله ليلاً من داره، وانتقد الأحرار سلوك الشرطة هذا، وسوف نرى أن هذا الموقف أوجد مجالاً للصراع.

وأدى محمد على ميرزا فورًا في الأيام الأولى ولم يتخذ هذا الموقف ذريعة لإبداء استيائه من المجلس والأحرار، لكن حينما لم تسفر التحريات عن نتيجة بدأ في الضيق ورسل مجلس معتناً:

"لم يظهر أثر خلال بضعة أيام على تحديد المحرضين على الحادث والقبض على مرتكبيه فلابد من إجراء بعض الإجراءات حتى تتضح خيانة المجرمين وتكتشف أغراض المحرضين.

وكما سئري من بعد، لم تسفر جميع تحريات الشرطة في هذا الصدد عن نتيجة، وما علمني في الأعوام الأخيرة أن حيير عم أو علي هو المخطط لهذا الحادث وهو كذلك صانع القنبلة أما من قام بإلقاء القنابل فيهم الأربعة السابق ذكرهم (وكان مشهدي محمد أو علي من بينهم) وهم أنفسهم من بعثت بهم لجدة باكو إلى طهران.

وهذا نموذج آخر لأعمال حيير عم أو علي يوضح أنه أحد مثيري الفتنة الصادمين، وكان يحاول القيام بأعمال جسام، وكان هذا هو ثاني عمل عظيم له بعد مقتل الأتراك ولو كان النجاح قد كتب له لحقق نتائج عظيمة، فلما كانت هذه القنبلة قد قضت على محمد على ميرزا لاتخذت حركة المطالبة بالحكم النقابي بعداً آخر.

296
مقتل قوام الملك في شيراز:

كانت الدماء تراقب كنذل في شيراز خلال شهر اسفند, فكما أسلفنا الذكر، كان قوام الملك الشيرازي من ألد أعداء الحكم النبوي, وفي ظل الضغوط التي قام بها المجلس استدعية الحكومة إلى طهران, لكن لم يتم فيها أي تحقيق أو مؤاخذة على قوام وعاد إلى شيراز, ثم بعد عدة أشهر دون أن ينتقد المجلس أو الأحرار ذلك. وكان هذا هو أسلوب المجلس, فكان على علم بأدوار من أعداء الحكم النبوي وكان يتعبهم ثم ينمي ما حدث بعد فترة ويعمل معهم بحسن النية. وكل من استدعوه إلى طهران وآلياً إلى طهران بقية فترة ولم يفعل أي شخص شيئًا معه, وطبق ما ورد في جريدة الحبل المتنين: "صارت طهران أحد الأماكن المطهرة فهي تظهر مثل هؤلاء المذنبين!

وبعد عودة قوام الملك إلى شيراز احتدم النزاع والانقسام هنا ثانوي. حقيقة أن المطالبة بالحكم النبيي لم تتغلغل في شيراز, وكان أهل شيراز يبكون أحقادهم وأهواءهم أكثر من غيرهم, وظهر بين مؤسسي الجمعية الإسلامية التي شكلوها ذلك العداء والانقسام, وكانوا يبرقون على التوالي برقيات الدم في بعضهم البعض.

من ناحية أخرى, فإن من قاموا بعادون قوام وأسرته من قبل قد اغتموا الفرصة في ذلك الوقت وكانوا يحاولون الانقسام تحت مسمى المطالبة بالحكم النبيي.

وأفضى الأمر إلى نشوب الفتنة في شيراز في النهاية, لدرجة أن أرسلوا إلى المجلس بإلبان بطرد الشيخ يوسف الذي كان قد أرسل إلى طهران للتمثيل عنهم, كما اعتمض أعداء قوام في شاه جراح واستدعوا السيد عبد الحسن الباني - أحد رجال الدين العظماء المشهورين-, لمساعدتهم, وجاوا برفقة سبعين من البندقية واحكم أسطح شاه جراح وقتل المدينة لمدة تربو عن الثلاثة أشهر. وفي شهر اسفند أرسلوا برقياً صلح إلى طهران وكان يظن أن الفتنة انتهت ولكن لم تمض عدة أيام حتى وقع حادث قتل قوام على النحو التالي: في يوم السبت السادس عشر من اسفند (، صفر) عندما كان قوام في حديقة ديوان خانه وكانت تلتقي حوله 297
جماعة كبيرة اقترب فجأة أحد الشباب وأصابه بأربع رصاصات وقته في الحال، واضطررت حاشية قوم ثم قاموا بالبحث ومزقوا ملبس القاتل وبدنه وأخرجوا ورقة من جيبه مكتوب عليها: تغمة الله البرجوردي، رقم 19 قاتل الدولة ابن قوم الملك الشیرازی.

وكان هذا أمرًا يثير الحيرة، فقد علم من بعد أن نصرة الله هذا هو خادم معتمد ديوان، ولما كان معتمد ديوان من الاد أعدد قوم وقام بهذا العمل بتحريض منه متبعة أسلوب عباس آقا قاتل الأتراك، ولكن لم يكن هنا عامل مؤثر أكثر من الأحقاد بين الشخصين. وحمل أبناء قوم والدهم المقتول من على الأرض واتخذوا هذا دريبة وأغاروا على ديار من يعاديهم وقبضوا على بعض الأشخاص. وعلى هذا النحو ظهر النزاع والانتقام ثانيا، وبعد ذلك في التاسع عشر من سفند أثناء إقامة مرسوم عزاء قوم وقع حادث آخر وقتل فيه اثنان من رجال الدين المشاهير وجرح أحد أبناء قوم، ويقول صاحب اختيار - والى فارس في هذه الفترة - في برقيته إلى المجلس في هذا الشأن:

"البارحة، في عزاء قوم الملك، أصاب السيد أحمد دشتی سالار السلطان برصاصه وهم مشغولون بعلاجه، وأصابت رصاصات السيد الشيخ وقُتل شخصان ومزق الأهالي جسد السيد المذكور."

لكن الجمعية الإسلامية قلبت هذه الحكاية في برقيتها المطولة، وكانت تقول:

"في صباح اليوم أثناء إقامة مجلس العزاء في حسينية قوم الملك ثم إطلاق الرصاص من فوق الأسطح وضاءة الخشخاشة، حيث أشوا جنب الشيخ محمد باقر حجة الإسلام والحاج السيد أحمد معين الإسلام بإطلاق النيران، وأطلق الشيخ محمد باقر رصاصتين أصابهما قدم سالار السلطان وقتل شخصان، كما قتلوا إمرأة، وفر الحاج معين الإسلام، وابتدع خمسة قيد عن الخشخاشة ووصل آقا بيك قائد الأشرار وقام بعمله بإطلاق الرصاص، بعد ذلك جاء البنادقة وأطلقوا النيران على..."
جسدته وعقدوا قدمى السيد البريء وأحضروه إلى الحسينية وعلقوه على المشنقة،
وبعد ساعة جاء الحكم بأن يضرمو النيران في جثته، وقام عديمو المروعة هؤلاء
بإشعال بالنفط، ووضعوا ثراح في خندق تتطابر به الرياح.

سحق أهالي ورممين:

على هذا النحو انتهى عام 1287، ومع نهايات هذا العام وقعت في طهران
بعض الأحداث نوردها في هذا المقام: لما تلقي بعض نواب المجلس كسعد الدولة
وغيره، عزم المجلس على اختيار غيرهم، وفي نهاية شهر بهمن اختار الأشخاص
التالي ذكرهم:

حكيم الملك، مستوفى الملك، الشيخ حسن الزيدي، مؤمن الملك، الأمير
أمان الله ميرزا، معاضد السلطة، مجد الملك وحسين قلي خان نواب.

وغير نظام السلطة بعض الوزراء، وقدم للمجلس السياسة الجديدة في جلسة
السبت التاسع من شهر أسفند (24 محرم) على النحو التالي:

نموذج السلطة رئيس الوزراء وزعيم الداخلي، ظفر السلطة وزعيم الحربية،
صبحى الدولة وزعيم المالية والمصلح العامة، مخير السلطة وزعيم العلم، مؤمن
الملك وزعيم التجارة ومدير السلطة وزعيم العدل.

والشيخ محمود ورامين الذي أوردنا اسمه من قبل كان أحد أعداء الحكم
الثاني، وقد قدم في حادث ميدان دار المنفعة مع جماعة من أتباعه لمساعدة
الأوبار، ولما قصدت الأمير في الميدان عادوا إلى ورامين، ولم يهدأ الشيخ محمود
وقام أتباعه بالثورة فيما حول هذه المنطقة، ثم أعلنا عصيانهم علانية، واستعما
عن دفع الضرائب، ومع ذلك الذين كان يديه محمد على ميرزا ورجال البلاط
تقاء المجلس والحكم الثاني لم يبديا إلا غلظة، ولما كانت الأبناء تصل إلى كل
الأرجاء حول هذا العصيان كان الشاه بعد الجيش في ورامين إلى يستدعيه إلى
طهران ويطيح بأساس الحكم النيابي، لذا ضغط المجلس على الحكومة وطالب بسحقهم. ومع استياء محمد علي ميرزا في دخيلته اضطر الوزراء لأن يرسلوا إليه كتابة من الفوزان والجند ومدفعين، ولم يصب ذلك الجيش إلى إمام زاده جعفر صمد أهالي ورامين في جريمة أمامهم وشكلوا الاستماع، ولكن ما أن بدأ القتال وعند أصول المدافع اضطرد الشيخ وأتباعه وتسبوا، ومضى كل منهم في طريق، وتوجه الشيخ محمود إلى طهران خفية، وبلغ دار طباطبائي واعتصم هناك. لكن طباطبائي لم يمنحه الحماية واضطر الشيوخ إلى العودة وتوجه إلى بهارستان واعتصم هناك. وكان هذا في أواخر شهر شعبان، وبعد انقضاء أيام البيروز حيث كان المجلس منعقدا، دار حديث عن الشيخ محمود واعتصامه، ومن العجيب أن بعض النواب كانوا بدون تأديبهم له لكن آخرى أقترحوا أن يتم إرساله إلى المحكمة، ولم يمض أرسلوه عنوا وودعوه السجن بأمر من المحكمة. وعلى هذا النحو نال أحد رؤساء ميدان المنفعة الجزاء. والعجيب أن المجلس الذي كان يعاقبهم لم يتم بذلك تجاه الشيخ فضل الله وسيد على وغيرهما، ولم يبنوا الظن بمحمد علي ميرزا الذي هو مصدر كل هذه المسألة وكان يسعى لرعاية جانبه على النحو الذي ذكرناه، وكان هذا أحد الانتقادات التي كانت توجهها بعض الجرائد الجادة.

وانتهى نابي حسين الكاشاني - الذي ذكرناه من قبل - الغرصة، وشكل في كاشان جماعة للسرقة وقطع الطريق، وطالما علت صيحات أهالي كاشان بسببه وسبب أبنائه وأتباعه، ولم لم يبد الحكومة اهتمامًا، اضطر رجال الدين في كاشان إلى إصدار قوى الجهاد حتى سعى الأهالي أنفسهم، لكن كان واضحًا أن الأهالي لم يكونوا في حاجة إلى مثل هذا الأمر.

عودته الصراع بين الجمعيات ورجال البلات:

على هذا النحو انتهى عام 1286هـ وحل عام 1287هـ - 1907م وهو عام لا نظير له في تاريخ الحكم النيابي في إيران، ففى الأسابيع 1908م.
الأولى من هذا العام لم تقع أية أحداث، وعم الهدوء، وفي هذه الأيام تتحي احتشام السلطنة عن رئاسة المجلس والتمثيل فيه وذلك نظرًا لقيام بعض الجرادين بانتقاد أسلوبه المرازي لمحمد علي ميرزا. وفي جلسة السبت الخامس عشر من شهر فوروردين انتخب ميرزا اسماعيل خان ممتاز الدولة بدلاً منه، لكنه كان من صنوف صناع الدولة واحتشام السلطنة.

وفي النصف الأخير من شهر فوروردين نشبت القتلة ثانية في طهران ونشب الصراع ثانية بين البلاط والجمعيات. وكما أسلفنا كان محمد علي ميرزا مستاءً بشدة من حادث إقلاع القتلة على موكبه وشاهد أسلوبه مع الشرطة وكان يطالبهم بالعثور على مرتكبي الحادث، وكانت الشرطة ترسل الجنود ورجال الشرطة ليلة إلى منازل هذا وذلك وتهجع عليهم وتحقيق معهم. واستمر هذا الوضع حتى ليلة الأربعاء التاسع عشر من شهر فوروردين (3 ربيع الأول) حيث انفجعوا في منتصف الليل على دوار أربعة من العمال (وركان حيدر عمر أوجلي وضياء السلطان من بنيهم) وقبضوا على هؤلاء الأربعة بشكل مزدوج وتوهوا بهم إلى مقر الشرطة وقيدواهم بالسلاسل، وفي الغد أرسلوا الأربعة إلى قصر جلستان (قصر محمد علي ميرزا) حتى يحققوا معهم هناك.

ولما انتشرت هذه المعلومات قامت جمعيات طهران بالثورة والجلبة ثانية وجعلوا ينددون بأنهم قد انتهوا حرمة بعض بنود الدستور (حيث انفجعوا إلى منازل الأهالي والآن يقومون بالتحقيق في قصر جلستان) وأعربوا عن استيائهم. ومن غد يوم الخميس اجتمعت الثورة واجتمعت الجمعيات مرة أخرى في مدرسة السبهالار وأرسلوا مذكرة إلى المجلس. وهكذا يتضح أنهم أتباع حيدر عمر أوجلي أو نقول على الأصح أن لجنة باكو في طهران كانت تملك زمام الأمر وكانوا يريدون ألا يتم التحقيق حتى لا يكشف السينار عن أمرهم. وأيًا ما كان استدعى المجلس الوزراء وسأل عن حقيقة الحاد وأنى الوزراء عمهم، وعلم أن الشاه كتب مذكرة إلى حاكم طهران مباشرة، وأصدر أمرًا إلى الشرطة دون علم وزيري العدل والداخلية، وانتقد المجلس هذا التصرف منه.
وعلى أية حال، ففي يوم الجمعة الحادي والعشرين من فروردين (8 ربيع الأول) أحضروا المقبوض عليهم من قصر جلستان إلى المحكمة وحققو معهم ثانية في وجود نواب عن المجلس وعن الأهالي. ولما كان الأحرار يقومون بالجلسة والثورة جلس النواب مع الوزراء واقترحوا أن يأتي حاكم طهران ورئيس الشرطة - اللذان نقضا الدستور - إلى المحكمة لينالا الجزاء القانوني. لكن محمد علي ميرزا لم يخضع لهذا الاقتراح واحتدت مع الوزراء وقال: "سأتحلى أنا بنفسى مع المجلس"  

وتراجع الوزراء من جراء هذا الرد الفظيف المسلط ومكنوا في ديارهم وازدادت الثورة والجلبة ثانية. وكانت الجمعيات تقوم بأعمال الجلسة والصياغ في مدرسة السهبالار وكانوا يصبحون حيناً ويتأهون حيناً آخر، وكان الحديث يتتابع في المجلس ومضى البعض إلى الشاه وتباحثوا معه، وكان يرد عليهم بقوله: "أنا حيث أن الشعب لا يريد أن أنعقب من آرائنا فلتؤرث سأغض الطرف عن ذلك". وكان واضحًا أنه كان يقول هذا من قبيل الاستياء.  

وانتقى أسبوع على هذا النحو، ولما لم تسفر التحقيقات مع هؤلاء الأربعة عن شيء كما ظن أنهم أرباء حمدت نار غضبة الشاه، ولما كان الوزراء يلحن في قول مطالب الشعب أمر محمد علي ميرزا - كرهاً أو طوعاً - بإطلاق سراح حيدر عم أوغلو وغيره ورفعى رغبة الوزراء أن يحضر حاكم طهران ورئيس الشرطة إلى المحكمة وياعداً لنقضهما الدستور والقانون، ومرت عدة أيام حتى تم إحرازهما إلى المحكمة واستجابهما وكانت الصيحات تشاهد من الجمعيات حتى انتهى الأمر دون نتيجة.  

على هذا النحو انتهت الصراع ومضت الجمعيات إلى أعمالها، لكن هذا كان نصرًا كبيرًا لجمعيات طهران حيث أثروا عليها في الصحف وأنبا نواب آذربيجان تبريز بالحالف في برقية طويلة، وكانوا يطلبون من آملات تبريز في بعض الرسائل تتبيل مملك آملات طهران ونتيجة لهذا بدأوا في تبريز في تشكيل الجمعية، وسوف نرى أنهم شكلوا عدة جمعيات.
وعلى أية حال فقد أنهوا هذا الحديث حول القتيبة والبحث عن مرتكبي الحادث، ولم يتقبهم محمد على ميرزا ثانية، وفي نفس الأسابيع تم التباحث مع نواب روسيا السياسيين، وبدأ التخطيط لحادث قصف المجلس.

حادث بيله سوار:
في تلك الأثناء كان يحدث فيها هذا الصراع في طهران ثمة حادث دموي مخذ كان يقع في أذربيجان على حدود بيله سوار. وكيفية ذلك أنه في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر فورندي (100 ربيع الأول) وبعد أن مرت ساعتان من الفجر، عبر دوبلنافز القائد الروسي مع ستة من الفرسان الروس الحدود دون أن يخبر جمرك إيران بحجة أن جواده هرب إلى الأراضي الإيرانية، وتقدم في أراضي إيران مسافة نصف الميل، وكان يوجد في تلك المنطقة شخصان من عشيرة قوجه بيلجو يرعى الخيل، واقترب دوبلنافز منهما بحجة أن جواده هرب وانضم إلى جيادهم وما أن وصل حتى أطلق الرصاص على أحد هذين الشخصين وأصابه في قدمه كم أصاب الآخر الذي أراد القرار. وكانت هناك جماعة من قوجه بيلجو آنذاك في سوق بيله سوار يمارسون التجارة، ولم أعلموا بما حدث أسرعوا للانتقام لأنابؤهم، ووقع قصف بالرصاص بين الجانبين وقتل دوبلنافز واثنان من الروس، وتمكن أحد الجرحى الروس من الوصول إلى القاعدة الروسية وأنباءهم بما حدث، واندفع جند الروس في الحال إلى بيله سوار وفتحوا أيديهم في أعمال القتل وصرعوا سبعة وثلاثين من الأبرياء واندفعوا إلى مبنى الجمرك وأضرموا النار فيه هو ونائبه وخمسة وثلاثين مقر للنقط وقاموا بأعمال السلب والنهب في جميع القرى، وبعد ذلك برتبة أيام أثاروا ثانية على أراضي إيران وقطعوا سبعة من قرية زرجر وأضرموا النار في مانتي وسبعين منزلًا، بعد ذلك توجهوا إلى شهر يسيون وفروا عبر الشهابسون وقتلوا عشرين شخصًا، وبعد ثلاثة أيام اندفعوا إلى محلة جواهد كندي، وبعد قيامهم بأعمال السلب.
والفتنه أضرموا النيران في خمسة وسبعين منزلًا وعلى هذا النحو فتحوا يد الجور
على أرواح الفلاحين المساكنين ومتلكاتهم ودمروا عدة قرى في وقت قصير. وقد
أخفت الحكومة هذا الحادث لفترة حتى وصلت معلومات عنه إلى بعض النواب
وذكروه في المجلس، واستدعى المجلس الوزراء للحضور ومناقشة ما حدث، ودم
حضر الوزراء تحدث وزير الخارجية بإيجاز حول الحادث ورد بأننا نتباحث مع
السفارة الروسية وقد أرسلنا القائد فلان من آذربيجان إلى بيله سوار ومعه
أربعمائة فارس وانتهت القصة على ذلك النحو.

كان هذا الحادث ثمرة لتحالف روسيا وإنجلترا من جهة، ومن جهة أخرى
كان نتاجاً للنزاع بين البلط جوالا ومعشش الشاه إلى الروس. وعلى أية حال، لقد
كان ضررًا مخادعًا في تاريخ حركة الحكم السياسي، وما كان مخطئًا أكثر من هذا أن
انروس اتخذوا من مقتل دوميتلازف والإثنين الآخرين ذريعة لهم وجعلوا يضغطون
على الحكومة الإيرانية ووضعوا جيشًا بالقرب من الحدود وكانوا يطالبون ولى
آذربيجان بمطالب صعبة كالقبض على الجناة ودفع عشرين ألف طومان كتعويض
وما شابه ذلك، والعجيب أن العلاقة الطيبة بين البلدين ظلت قوية، وكان سفير
روسيا في طهران يقوم بالوساطة أثناء صراع الشاه مع المجلس، وواضح أن
نوابهم لم تكن سوى الضغط على آذربيجان.

في تلك الأثناء كانت آذربيجان تتعرض للضغوط من كل ناحية لأن
الشاهون كانوا لا يزالون يغرون ويجهمون منذ الشتاء، والآن حيث حل الربع
بتسع ميدان الإغارة والهجوم، وغلقت الطرق في كل من أردبيل وقره داغ خلخلاء
وسركاب وكانوا يقومون بأعمال السلب والنهب في قرى كل مدينة من هذه المدن
وقد قدموا حتى بلغوا مشرف طهران، واستقر فرمان فرما إلى آذربيجان في
ماندواب بعد هروب من سنجبلاغ، ورغم ما واجهه من صعوبات إلا أنه أعد
جيشًا، وكان يأمل في المضي إلى جند الشاهون بهذا الجيش لكنه تتحي في تلك
النحوة، وفرق ذلك الجيش.

304
وفي أرومي كان الحكم هناك لمحتشمة السلطة وكانت هي المدينة الوحيدة التي تمتعت بقليل من الأمن والهدوء، وفيما حولها انتشر الأكراد فرصة حلول الربع ولم يضمنوا قدر استطاعتهم عن أعمال القتل والنهب، ورغب أن البرقية التي أرسلت بها جمعية أرومي إلى تبريز في السابع من أردئ بهشت (٢٤ ربيع الأول) كانت واحنة من أولها إلى آخرها، ورغم ما كان واضحًا فيها أن بعض العاطلين سيئ الطولية كانوا يتخللون في الأمور باسم الجمعية إلا أنها كانت توضح مقدار المعاناة التي تعرضت لها تلك المناطق، لذا نورد بعضها في هذا المقام:

... لقد أضرمت نيران الجور في أروميّة وما حولها، لقد تمّت أعمال القتل والإغارة في جميع القرى، وفصولت رموز ما يريّب على الآلتين من النساء والرجال والأطفال ومزقت بطونهم، والآن يوجد في قريتين فقط (شیطان أباد ودام آغیل) ما يريّب على المائة جثة للمسلمين مختلطة بالدماء يقومون بتغسيلهم وتكيفهم، وغلقت طرق المدينة من الجهات الأربع، وسلبوا كل ما كان موجودًا في الطرق من أموال التجارة وجعلوا المسافرين عرًا وقطعوا رؤوسهم ومرقوا بطونهم ولم يتم أى إجراء فيه علاج مما حدث من قبل الحكومة... وقد هاجموا اليوم كذلك وسلبوا أحد جهات المدينة وقطعوا خطوط البرق، ولم مرّت عدة أيام على هذا النحو فصوب يأكل الكل لحم أخيه ميتًا، وحسرتاه، فحسرة القلب عظيمة والمحتة والمغام لا حدود لهما.

(جمعية أرومي الوطنية)

وقد كانت الجمعية الإقليمية في تبريز تشتعل حرقة على حال أرومي وأردبيل، وكانت تسعى ليل نهار لإيجاد الحل، ولكن لما لم تكن الحكومة تبت تعاونها لم ينتقم الأمر، وقد حل مقتدر الدولة محل فرمان فرما في تبريز، واعترفت الجمعية عاطلًا، واقترحت على طهران أن بحل الحاج نظام الدولة - رئيس المعسكر - محل الوالي، وقبلوا في طهران وتولى العمل، واستدعى فوجين من الجند من شقاقٍ حتى يرسلهم إلى الشاهسون، ومع أنه قام بهذا العمل بعلم وزارة الحربية،
لكن لم يمض يومان حتى وصلت برقية شديدة اللهجة من قبل أمير نظام كي يرسل الأفواج إلى طهران... وهذا دليل واضح على أن الحكومة كانت تريد بقاء الفتنة في أذربيجان. من ناحية أخرى، لما خطط في تلك الفترة لتصفيه المجلس كانوا يحتاجون لهؤلاء الجنود في طهران.

هروب رحيم خان من طهران:

لم يكن محمد علي ميرزا راغبًا في استقرار الأمن في أذربيجان، كما كان بعد لها مشاكل أخرى ويقوم بخدعه، إحدى هذه الخدع هو حادث هروب رحيم خان من طهران وتوجهه إلى أذربيجان الذي حدث في نفس الأيام، وقد ذكرنا من قبل القبض على رحيم خان نتيجة ثورة أهلية طهران وتفتيده بالسلاسل في المحكمة، لكن عندما انقضت فترة كان بعض النواب ورؤساء الحرية بدون مواساتهم كأسلوبهم المعتاد في التناسي وكانوا يأملون الوساطة، وكان رحيم خان برسل الرسائل قائلاً: "إذا ما كان أبنائي قد قاموا بالقتل، فلم أكون أنا في التبدا؟ وما شاع على الأنسنة بشأن قره داغ لهو كذب صراح، ولن يقتل أبنائي أكثر من أربعة أشخاص.

(بالرغم من أننا أوردونا ذلك الحادث في برقية جمعية تبريز وقد أحصيت عدد القتلى الأبرياء وبلغ عددهم مائتين شخص.

وأيًا ما كان، كانت أقوال رحيم خان هذه تؤثر في العديد من روساء الحرية، وبعد ذلك عندما وقعت فترة ميدان دار المدفعية ضمي الأرخاش إلى سجن المحكمة وأطلقوا سراحه هو والقائد المفكح بجنوردي، لكن عندما انتصر المجلس فيما بعد كان محمد علي ميرزا يبدي ضعفي وخوره، إذا لم يعيدوا رحيم خان إلى السجن ثانية، وأذاعوا كذبًا:

"إنهم عندما مضوا في ذلك اليوم ليلوا قبود رحيم خان لم يسمح لهم وقال:

لقد قيدني الشعب وينبغي أن يطلق الشعب سراحه.

306
وكتبت إحدى الصحف المتملقة هذا وأوصلته إلى مسامع الجميع.

من ناحية أخرى فإن نظام الملك - وزير العدل الذي نعلم أنه من أدوات محمد علي ميرزا - لم كان حاضرًا في حادث إنزال رحمي خان على أذربيجان وقتله للأهالي كان يشهد بعدم جريمة رحمي خان في هذا الشأن وكتب هذا وقد أُدنت لجنة المحكمة بإطلاق سراح رحمي خان، وتم ذلك في أواخر شهر دي. وبعد عدة أيام اصطحب المغفور له طيباتاني رحمي خان وقدم إلى المجلس، وهناك تحدث رحمي خان بلطف، وقال باللغة التركية:

"لقد أرسلتموني كي أتحدث، ومضبت إلى ساروجبلاغ وسحقت الأكراد." وسرعان ما صدق النواب هذا الحديث وأثنى إمام الجمعة في خروي عليه، وبعد ذلك أقسم رحمي خان على القرآن وأخذ منه العهد بالآ يخطو خطوة في طريق العداء للدستور.

على هذا النحو صارت شخصية رحمي خان من الشخصيات النزيهة، ودخل في عداد المطالبين بالحكم النيبائي وعانق طلقًا في طهران وقالوا إنه لن يخرج منها، لكن في بداية شهر أذري بهشت وصلته الأبناء عن طريق قروين كي بيادر بالتوجه إلى أذربيجان وخلال ذلك كان يجرد كل من يراه من المسافرين من ملابسه ويفصل خطوط البرق في كل مكان، فأصدر محمد علي ميرزا أوامره لإعادته إلى أذربيجان، وكانت هذه الأثناء سبيًا في استياء الأحرار في طهران. من ناحية أخرى، فقد بلغ رحمي خان قره داغ خلال أيام وإنضم إلى أتباعه، لكنه استمر في خداعه وكان عليه القيام بأعمال أخرى، هذا وقد قدم إلى قرية اسطان التي تبعد فرسخين أو ثلاثة عن تبريز، ومن هناك كتب رسالة إلى الجمعية التي تتقبل أسبه وتأمر بقدومه إلى تبريز كي يضع يده في يد الشعب.

ومندما وصلت هذه الرسالة إلى تبريز جلس نواب الجمعية بتشاورون، وكانوا هم أيضًا مثل نواب المجلس النيبائي في فكرهم الواهي ونسانهم للأمور، وأثنوا جميعًا في لسان واحد على رحمي خان، ومن غد يوم الأربعاء السادس عشر من أذري بهشت (6 ربيع الآخر) مضى بعض نواب الجمعية الإقليمية وغيرهم إلى 307
قرية إسبران وقابلوا رحيم خان الذي كان قد قام إلى هناك ومعه ماتنا وخمسون فارسًا. ومن قد يوم الخميس أخذوه وأحضروه إلى المدينة، وبعد ذلك بيومين أو ثلاثة حيث كانت الجلسة منعقدة تحدث رحيم خان هنا أيضًا، وصار أحد ملالي الشعب، وهذا الرجل كان أميًا جمالًا وشاعت على الأسئلة حكايات تثير الضحك حول جهالته، ورغم ذلك خدع النواب قليلًا الفكر الضارع — سواء في طهران وسواء في تبريز — بالتملح ومعوق الكلام وجعلهم أدوات لعمله.

في نفس الأيام اختير مخبر السلطنة من قبل طهران لولاية تبريز، وأخذ طريقه عبر جيلان والقوزاز، ولم يصل إلى تبريز يوم التاسع عشر من أردية بهشت (8 ربيع الآخر) قاموا باستقباله من قبل الجمعية استقبالًا عظيماً، ولما ذكر اسمه بالطيب فقد تمت التوصيات عليه من قبل طهران، أحبب الأهالي عن سعادته، وقام مخبر السلطنة من الطريق مباشرة إلى الجمعية وظل هناك فترة حتى توجه إلى قصر شمس العمارة، ومن غد ذلك اليوم قام بعمله ونال رضا الجميع. وفي نفس الأيام وقع حادث مثير آخر من قبل رجال الشرطة، فعندما تحدث البعض بالسوء عن إجلال الملك قام رجال الشرطة بفتح وخلعوا الملابس الرسمية وقاموا بالضجة والجلبة في الأسوق وأطلق بعضهم الرصاص في حوالته محجب الملك وأدخلوا الرعب في نفوس الأهالي، وأخذ مخبر السلطنة الفتاة بمساعدة الجمعية، لكن بعضهم فلقت لجاهه ولم يكف عن أدى الأهالي ومضروتهم ليل نهار، ومنهم من كان يطلق عليه "آيت خليل" فلما وجد مثله في الجرأة والشجاعة والظلم، لقد كان رجلاً أرجح لا يعرف حذاً في أدى الأهالي، فحينما يزع النهار نقل وأخذ بنديقة في يده ونهي منتهجًا إلى السوق وهو في حالة ثانية شديدة فقبضوا عليه بأمر من مخبر السلطنة وأودعوه السجن. وكان هذا الرجل بعد من الزرع، وقد أبدى شجاعة فائقة في القتال السابق الذي وقع بين الدوتسش وسرخاب وصار بعد ذلك أحد الموظفين التابعين للشرطة، وبعد ذلك لما كان الروس يضغطون وكانت الحكومة ترغب في أن ترسل جيشًا إلى جند الشاهسون لاسترضائهم، تحدث مخبر السلطنة مع نواب الجمعية، واقتراحوا أن يرسلوا رحيم خان لهذا الأمر.
واقع الحالة إنهم جعلوا مئتين من أعضاء الجمعية في صحبته ليشرحوا أفعاله.
وعلى هذا النحو أنى رحيم خان خطته ومنحته الجمعية التي خدعته بثمانمائة
بندقية ومدفعين ومدفعين وألف طومان ووجهتهم إلى قره داغ يجمع الجنود
والفرسان ويبضى إلى الشاهين، لكننا سوف نرى أنه استقر في قره داغ حتى
قدم إلى تبريز بامر من محمد على ميرزا واستخدم تلك المدافع والبنادق في تدمير
الجمعية. ولا شك أن رحيم خان قد خرج من طهران بأوامر من محمد على ميرزا
ولنفس السبب، لكن ليس معلوماً علم مخبر السلطة بهذه الحيلة من عدمه.

قدوم إمام الجماعة والمجتمد إلى تبريز:

وخدعة أخرى لمحمد على ميرزا تجاو تبريز وهي قدموم إمام الجماعة
والمجتمد إلى هذه المدينة المباكر لحادث رحيم خان أو بعده بفترة وجليزة. وكما
ذكرنا، لقد قام الأحرار بطردهما من تبريز، وكان إمام الجمعية يقيم منذ اليوم الذي
رحل فيه إلى محلة تزلجة ميدان وهي منطقة تبعد عن تبريز ببضعة فراسخ وتقع
على مشارف طهران. أما المجتمد، فكما ذكرنا مضى إلى طهران وأظهر هناك
حكاية الاعتدام في عبد العظيم وتم له ذلك بمساعدة الشيخ فضل الله وغيره، وبعد
الخروج من الاعتدام لم يذكر شيء آخر عنه، ويقال إنه مكث في شميران، ولا
علم لنا من أين وكيف تم خطة عودته إلى تبريز في تلك الأثناء، وما كان يشاهد
في الظاهر إنه قد إلى المجلس يوم الخميس العابر من أردشير (28 ربيع
الأول) ولا شك أنه قد تحدث في الخارج مع السيد بهيائي وقال أثناء الحديث:

"لكن فيما يختص بجنب حجة الإسلام السيد الحاج ميرزا حسن آغا فقد
طلب أهلآ أذربيجان واستغاثوا كي يحضر، ولمما كان في الواقع إمامًا وزعيمًا
لمملكة ولم يكن من اليهين أن يظلوا بلا إمام أكثر من هذا فقد قدموا إلى المجلس
الآن، ولا ريب أن المجلس الملتئم يرى ويدعو على حضوره."

وقال ممتاز الدولة بعض الجمل في هذا الشأن، منها:
كلما بادر بالحضور كان أفضل.

والقصة سالفة الذكر تدل على سذاجة المغفور له السيد بيهاني، ولا زيب أنه انهدأ بالبلاط، وكان هذا أمرًا يثير الوعي، لأن تبريز كانت أثناذًا من أشد مؤيدي الحكم النيابي ومجلس الشورى، ولم يكن ليلق بأن يسعد أهالي تبريز يقدم المجتهد إلى هناك والأعجوب من هذا هو صمت تقت زاده وغيره ممن كانوا يعدون من نواب أذربيجان. وأيًا ما كان فقد بادر الحاج ميرزا حسن بالاستعداد وميضى، وأبلغ بعض النواب في تبريز بحقيقة الحال، ولم يرتد أهالي تبريز ذلك، وأعربت الجمعية الإقليمية عن استيائها إلى طهران، كما أبرقت بعض الجمعيات بذلك، ولكن إلى أن وصلت تلك البرقيات إلى طهران، كان الحاج ميرزا حسن قد خرج من هناك، ولما كان أهالي تبريز يلحون على إعادته من زورين ويستدعون النواب إلى مكتب البرق، وصلت برقمية طويلة من طهران، وكانوا يطالبون بتخطي أهالي تبريز عن سخطهم.

من ناحية أخرى، فإن الحاج مخبر السلطنة كان يبدى تأريده للمجتهد بحجة الدستور وكان يريد إعادته، من هذا المنطلق اضطر أهالي تبريز لأن يلزموا الصمت، وأثناء ذلك كانوا يأملون في أنهم إذا استقبلوه واحتموا به بشكل جيد ربما يكفر الانقسام بين أهالي تبريز وتنسي الضغائن القديمة.

أثناء ذلك استعد إمام الجمعية أيضًا للعودة إلى المدينة، ولما كان الحاج ميرزا حسن لم يرغب في العودة ولم ينجز مخبر السلطنة أي نوع من الحيلولة باسم القانون فقد جاء إمام الجمعية بداية إلى المدينة يوم الأحد الثالث من خرداد (٢٣ ربيع الآخر) واستقبله الأحرار، وبادر لاستقباله ما يربو على العشرة آلاف شخص وفقًا لما ورد في جريدة الجمعية، لذا قدم إلى الجمعية الإقليمية مباشرة، ودار حديث بينه وبين النواب من قبل إيداع الحب وحسن النوايا، أو نقول بالأحرى من قبيل الرباء والتملقي.

بعد ذلك رغب الحاج ميرزا حسن في يوم الأحد العاشر من شهر خرداد (٣٠ ربيع الآخر) في الوصول إلى المدينة، وهنا قامت الجمعية الإقليمية
والجمعيات الأخرى وكذلك قام جميع الرؤساء باستقباله وحدثت حركة في المدينة بسراً وأعدوا لاستقبال حافل له وتقدمت نواب الجمعية إلى حديقة الحاج إبراهيم الصراط وأعدوا هناك جهازًا لاستقباله، وتمكنت مجتمع الأهالي حتى فرسخ واحد خارج المدينة واحتشدوا عبر الطريق. ورغم تخلص الأحرار من أحقادهم ودخولهم من باب المطالبة بالسلام والصلح كان أعداء الحكم النبائي يبذلون حقتًا لا حد له، وقد أحسموا الحاج ميرزا حسن على مقعد مريج وطوية الأهالي الطريق وهم يحملونه فوق أكتافهم، وكما ذكرت جريدة الجمعية كنما شهد استقبال بهذه العظمة.

على هذا النحو كانت خطط محمد على ميرزا تم الواحدة ثلا أحرًا بيد السبدين والمجتمع النبائي ومخبر السلطة ونواب الجمعية الإقليمية، وبدلاً من أن يرزق قدم إمام الجمعة والمجتهد الانقسام، جعله أسوأ من ذي قبل وازدادت واقعة أعداء الحكم النبائي بعد قدمهمه، يوسف نرى أي عداء أبداه نفس هؤلاء من رجال الدين ضد الحكم النبائي قبل مضى شهر.

أثناء ذلك كانت إحدى مشاركات آذر بايجان هي حكم الحاج محطم السلطة في أرومي. فهذا الرجل الذي رأس المجلس لمدة ثلاثين عامًا ونُبقًا كان في ذلك اليوم من مؤيدي الاستبداد وعمال البلاط، لذا استقر في أرومي، وبدلاً من أن يضطده وبعد جيشًا من أهالي هذه المدينة ومن الفلاحين والجند والفرسان الذين كانوا تحت يديه، واصد الأكراد الذين، أرسل دون حياه برقية إلى تبريز، وقال بعد عرض المظالم المحزنة للأكراد: "إن الشعب والحكومة اللذين لا يستطيعان تجهيز خمسة آلاف شخص على الحدود لحفظ الرعاية ينبغي أن يشاهدوا هذه الأيام.

إحدى الخذع التي بُدرت عن الحاج السيد محمد الپژدي:

نعود ثانية إلى طهران. فقد بُدرت هنا خذعة واسعة من الحاج السيد محمد الپژدي في شهر "شهر بور"، وهذا الرجل قلما وجد نظيره في الوفاقة والخداع.
وكان يبدى عداءه تجاه الحكم النيابي أكثر من غيره، ففي كل حين كان يقوم بعمل ما، وفي شهر نيسان الماضي فكر دفعة واحدة في خدعة وهي أن يصدر إعلانات بالجيلاتين على لسان مjahدي القوقاز أو تبريز تفيد:

"نحن بهائيون ونقوم بهذه المساعي لإظهار ديننا، ويجب أن يكون الإيرانيون بهائيين وإلا سيتم قتل الجميع.

ووزعها في طهران وفي غيرها من المدن حتى ساء ظن العامة بالمجاجدين، كما أرسل محمد علي ميرزا شخصيًا ومعه الأموال إلى عبد البهاء (عباس أفندى) الذي كان يؤيده كي يكتب لوحات باسماء بعض دعاء الحرية في طهران وتيريز ويثبى على البهائية ويزف بشري النصر، وأخذ هذه اللوحات إلى مكتب البرق وهذه اللوحات تقدم معلومات أكثر عن الحادث إلى الأهالي.

لقد فكر في تلك الحيلة في تلك الأثناء، فلما كان الإيرانيون يبدون العداء الشديد تجاه البهائيين، وكل أمر كانوا يسببون الظن فيه كانوا يعدونه عن البهائية، لذا كانوا يأملون نتيجة عظيمة من وراء هذه الحيلة، لكن اكتشف الأمر في هذه الأيام وعلم قبل أن ينفذ، وتناولت جريدة الحبل المتين في طهران (في عددها السادس والأربعين) هذا الموضوع في مقالها الافتتاحي وكتب الحاج السيد محمد يده عن الأمر وحاول تنفيذه هذا العام مرة أخرى. وكيفية ذلك أن أحد المطالبين بالحكم النيابي شاهد في منتصف شهر آذار بlient أحداث الأشخاص ليلة في السوق وهو يلصح الإعلانات على الجدران ولما قرأ واحدًا منها وجد وجه في دور حول محمد علي ميرزا وجعله يتقرب من هذا المضمون:

"نحن جماعة البهائيين الذين نسعى للحرية وإظهار ديننا منذ عهد ناصر الدين شاه، وابتلينا بأعمال القتل والإغارة ثم تحملنا هذه المضرات في طريق الحكم النيابي حتى نكون أحرارًا كغيرنا، وقد وضعنا أساس الحكم النيابي من أجل الحرية، ولما لم تنتقم رغبتنا اضطررتنا إلى إلحاق تلك القبلة... لو لم تمنح الحرية لنا لن كف قط عن القيام بأي نوع من أعمال القتل والحرب والإغارة...".

312
والأشخاص الذين تم ذكرهم من روساء الحرية كان واضحًا أنهم من البهائيين.

لقد أدرك ذلك الرجل واقع الحال، ومن الغد مضى إلى المحكمة وأنيآها، وما يستدعي السرور أنه بقليل من البحث عثرنا على أحد هذه الإعلانات، وقد اعترف على الآخرين وتم القبض عليهم واستجوابهم، وكان أحدهم ابن أخ الحاج السيد محمد والآخر يدعى السيد أهنتاب الخلخالي، وكان هذا الأخير أحد المخادعين، وقد انضم إلى بلاط مظفر الدين شاه وحصل على أموال كثيرة ثم انضم بعد ذلك إلى محمد على ميرزا(1).

وقال هؤلاء:

"لقد أعطانَا السيد على أقا هذه الإعلانات."

لكن حينما استدعنا السيد على المحكمة أبدى عدم علمه وأقسم على ذلك، وهذا ما أشتر وقع على المقبوض عليهم، واشتر أحدهم بالحقيقة قائلًا:

"لقد صدرت هذه الحيلة من الحاج السيد محمد."

وقبضت المحكمة على الحاج السيد محمد وقامت باستجوابه، وانتهى التحقيق في المحكمة بعد عدة أيام وأقترح أن يخلعوا عن رأسه العرامة السوداء - التي هي علامة السيادة - وأن يلقوا به مقدّماً في السجن. وعلى هذا النحو سقط هذا السيد المخادع في القدر والسجن.

في نفس هذه الأيام وقع حادث كذلك للشيخ محمود ورامينى، وكيفية ذلك أنهم كانوا يعتقلون ما شاء الله خان الكاشاني - الذي تم القبض عليه - في سجن المحكمة، وقد هرب ليلةً من هناك في أواخر شهر أردية بهشت مع بعضه.

(1) وكان من الطبيعي أن ينضم إلى المطالبين بالحكم النفيي بعد سقوط محمد على ميرزا، وكاهن يعتنى المثير في طهران وتبريز، وقد توفي منذ بضعة أعوام.
الأشخاص وخلاص نفسه، وبعد هذا الحادث صدر الأمر من المحكمة بالآلا يحفظوا
هناك على أحد من المساجين ذوي التهم العظيمة - وكان من بينهم الشيخ محمود -
وأن يرسلوه إلى مخزن الحكومة، ولما كانوا يخرجونهم بسط الشيخ محمود-
وكان رجلاً عنيفاً وفخاً - لساني في منظمة الحكم النبائي والمحكمة، هذا وقد-
أحضروا إلى المحكمة وضربوه ضرباً مدحناً بالعصا ثم توجهوا به إلى المخزن.
وبعد عدة أيام نفذ الحكم في قتلة فريدون الزرادشتى وكانوا تسعه. وكما ذكرناا,
قيدوا على قتليه وكانوا يستجوبونم في المحكمة، ولما انتهوا أفرت المحكمة حكمًا
لكل منهم بقدر تهمته، ونفذ هذا الحكم في الثالث من شهر خرداد (۱۲ ربيع الآخر)
في فناء المحكمة وفي حضور عدة آلاف من المشاهدين حيث ضربوا البعض
بالسوط ألف جلدة بينما ضربوا البعض الآخر بعدد أقل، ثم أرسلوا اثنين منهم إلى
السجن في طهران وبسيعة آخرين إلى كلات.
على هذا النحو نال كثير من رؤساء قتلة دار المدفعية ومن الأوباش العقاب
هناك ولما كان هذا دليلاً على نزاع الحكم النبائي والدستور كان أثره طيباً في نفس
الأهالي، ومع أن عقاب قتلة فريدون هذا قد أغضب مؤيدى المذهب الشيعى واشتد
عليهم أن يضرب تسعة من الشيعة بالسطوف جزاء لقتل أحد الزرادشتى، وكان هذا
مما أحرق قلوبهم، ولكن بشكل عام نتجت نتائج حميدة من هذا العقاب.
في نفس هذه الأيام بدأ أمر حسن من قبل محمد على ميرزا قابله أمر حسن
آخر من قبل المجلس، وكيفية ذلك أنه في الخامس والعشرين من أردی بهشت (۱۴ 
ربيع الآخر) - وكان يوم ميلاد الشاه - وقذ ذكرنا إنه في العام السابق في نفس
التوقفات دار نزاع بين المجلس والبلط، إذا امتنع الأهالي عن إقامة الزينات
والاحتفالات، وذكر ذلك أيضاً هذا العام حيث أمر محمد على ميرزا بنفسه بعدم
إقامة الاحتفالات بسبب وجود هذه الأحداث على الحدود (حادث بيله سوار،
وسوومبلاغ وأرومي) بل وأمر بوجب تنفيذ نفقات ذلك إلى أهالي القلى، وأرسل

314
أمر المنع بريًا إلى الولاية والحكم، وكتبت رسالة كذلك من قبل وزارة الداخلية إلى المجلس في هذا الخصوص، لكن المجلس اقترح إقامة الاحتفالات في كل مكان وتم ذلك في طهران وتبريز وبعض المدن الأخرى وأعربوا عن سرورهم وأطلقوا على مثل هذه الحماقة اسم "أصالة الشعب".

آخر أعمال النقاف الصادرة من محمد علي ميرزا:

في الوقت الذي عتم فيه الفتنة في أرجاء إيران، وكما ذكرنا، كانت الصحوات تعلم من كل جانب، فضلاً عن الأحداث المخزية في كل من بيله سوار وأرومي وإغارة جند الشاهستون وقطاع الطرق والموانئ لنائب حسين الكاشاني وما أشبهه، ازداد حول طهران نفسها الChocolate وقطاع الطرق، بل تملك الأوباش زمام الأمور في العاصمة نفسها مرة ثانية وكانوا يضربون المارة ليلاً، وإ bazı هذا كله لم ير من محمد علي ميرزا سوى عدم الاكتراض، بل كما سيق وذكرنا، كان يمنع مساعي الآخرين. ومع كل هذه الأدلة على خبث سربرته إلا أنه خدع أعضاء المجلس ورؤساء الجمعية الذين نهضوا للاحتقاء به ببراض منه. وإذا ما أردنا الصدق لم يكن هؤلاء يعذبون في دخالتهم بحسن سربرة محمد على ميرزا، لكنهم نظرًا لعدم كونهم رجالاً مضحين بالروح ولم تكن لديهم الشجاعة لاجتثاث شأفة مسارى البلاط، لذا تمكن من خداعهم ببروضه الأفلاق واهتموا بها.

في نفس الأيام تبحث حكومة نظام السلطنة بسبب عدم تقدم الأمور ورؤيتها لهذه الضغوط التي تتعرض لها. من ناحية أخرى، لما تجاوز تردى الأوضاع الجدد وكتبت بعض الصحف كذلك المقالات شديدة اللهجة، وأُوصِلت جريدة "مساوات" الأمير مع محمد علي ميرزا إلى المحكمة، كتبت جريدة "الحلب المتين" وكانت إحدى الصحف الفائرة - مقالات تحت عنوان "آخر نفس إيران" أو " نهاية حياة الإيرانيين"، وانتقد بعض الأمراء والقاجاريون ثانية وأرادوا أن يسعوا. وفي يوم السبت التاسع من خرداد (29 ربيع الآخر) عقدوا جلسة عظيمة
في منزل عضد الملك رئيس عشيرة قاجار وتناقشوا معاً، وكان يرأسها الأمير الأعظم وعلاء الدولة ومعين الدولة والقائد منصور جلال الدولة (ابن ظل السلطان)

فضلًا عن عضد الملك، وكانوا يقولون:

"أن تحل هذه المشاكل التي داهمت إيران من الداخل والخارج طالما أن الشاه لم يظهر قبلاً تجاه المجلس، ولم يتعاون مع الشعب، ومن ناحية أخرى فإن هناك البعض في البلاط يعادي الحكم النبوي وهم لا يتركون الشاه يظهر سريرته تجاه المجلس."

كما كانوا يقولون:

"ينبغي القيام بشيء حتى يبعد الشاه هؤلاء، وطالما أن هذه النتيجة لم تتحقق لا ينبغي لنا أن نتفرقن من هنا."

لذا عقدوا نفس الجلسة في الغد، وأثناء ذلك اشتركت الجمعيات أيضاً وأرسلت نوائياً عنها إلى هناك وعظم الأمر. من ناحية أخرى، عندما سمع محمد على ميرزا قصة ذلك وأدرك أن المحرض عليها هو ظل السلطان، لأنه كنا ذكرنا كان راغبًا في العرش (وكان في الخامسة والستين من عمره) ومع أنه مضى آنذاك إلى ولاية فارس، وكان يعيش بعيدًا عن طهران، لكن أتباعه كانوا لايزالون يسعون، ولما كان ابنه بعد أحد رؤساء المنتمين في هذه الجلسات، فهذا ما جعل محمد على ميرزا يسيء الظن به. وفي يوم الاثنين كانت الجلسة منعقدة، وفي نهاية ذلك اليوم مضى عضد الملك برقة مشير الدولة - الذي انتخب لرئاسة الوزراء بعد نظام الملك - إلى الشاه وأبلغوه مطالب الأمراء والقاجاريين، وطالبوا بطرد الأمير بهادر وشاشمال وغيرها من البلاط. ولمما كان محمد على ميرزا في مباحثات سرية مع الروس خلال تلك الأيام، وكان ينفذ آخر خططه للإطاحة بالجلس (وكان تلك الجلسة المنعقدة في منزل عضد الملك قد أحكمت فكرته هذه) فقد قبل هذه المطالب للتغطية على أعماله، وأمر بألا يبقى هؤلاء في البلاط وأن يطردوهم، وكتب مشير السلطنة وفقًا لأوامر الإعلان التالي ووقعه بختامه:

316
منى أنا مشير السلطنة رئيس الوزراء إلى جانب حضرة الأشرف السيد

عضو الملك مد ظله العالي عن فخامة الأسمى نير الدولة الشريف التي تنثر

الجوهر تحت موطئ قدمه المبارك الملك أرواحنا فداء، لقد عرضت المطالب

المباركة للأمراء والوزراء والأعيان وعامة الشعب، وتمت الموافقة على المطالب

الخاصة بتصريف البلاط في حضور الملك، وسيتم طرد الآثى ذكرهم: الأمير بهادر

جنب، شاهنشاه، علي بك، موفر السلطنة، أمين الملك ومفاخر الملك من بلاط العدل

وسيتم عزلهم من الخدمة، وتأمل في إصلاح شيوط المملكة بعد إزالة هذه

العوائق.

ولما وقع هذا الإعلان أعرب الأحرار عن سعادتهم دون أن يسيروا الظن

وبادر المتحدثون من هنا وهناك لقراءة ذلك الإعلان على الأهالي ورفوا البشري

إلى الجمع، كما تباهى الأمراء رجال البلاط في منزل عضده الملك بذلك وعدوه

نصرًا لهم. وكان هذا هو آخر أعمال محمد على ميرزا الخداعة، وفي ليلة ذلك

اليوم، وبعد منتصف الليل مضى الأمر بهادر ومعه عشرون من البنادقة واعتصم

في السفارة الروسية، وبحث الآخرون عن ملء للاحتفاظ فيه، لكننا سوف نرى أن

هذا لم يدم سوى يومين أو ثلاثة.

أحدى المحاولات الخبيثة الصادرة من النواب الأجانب:

في نفس هذه الأيام شوهدت محاولة خبيثة من قبل نواب روسيا وإنجلترا

تبعت خدعة محمد على ميرزا وجب أن أذكرها هنا، وقد عثرنا على هذا الحدث

في كتاب "أبي" وقد أبلغنا به سفير إنجلترا وزير خارجية، كما وجد كذلك في كتاب

براون، وقد ورد على لسان السيد تقى زادة، يقول سفير إنجلترا:

"في ذلك اليوم قال السيد دوهرتوك الذي قدم لزيارتي: إن الشاه يعرف أنه

قد ضاع وأنى أرغب بشدة في أن نحافظ على روحه، وكان ظن السيد دوهرتوك
أن الأمر انتهى بصعوبة لا حد لها وأن الوقت قد حان لكي نتدخل نحن السفراء.
وكان يدرك أنه من الأفضل أن نرسل برقيًا لأنهم كانوا في قلعة قليوب) ونطلب لقاء مشرى الدولة الذي كان قد تتحي منذ خمسة أيام، ومع ذلك فزمزم الأمور في وزارة الخارجية كان في يده. فقلت إنني سعيد جداً أن تقوم بمثل هذا العمل، لكنني لا أظن أن تتأت نتيجة من الحديث مع مشرى الدولة لأنه لن يبلغ أقولنا بصدق.
إذن من الأفضل أن يكون رئيس المجلس حاضراً في هذه الجلسة. فقال السيد دوهراتويك: لا يمكن عقد الأمل في رئيس المجلس أكثر من مشرى الدولة، إذن من الأفضل أن يكون عضد الملك حاضراً كذلك. هذا وأبرقنا إلى مشرى الدولة حتى يطمعهم بعد الثالثة والنصف عصرًا، وعندما وصلنا إلى منزل مشرى الدولة في الساعة المقررة رأيت السيد دوهراتويك هناك، ولكن ممتاز الدولة وعضد الملك قد تذرعا بحج واهية (يقول براون أنهما أبدعا على وجوب أن يكون حديث السفراء
عبر طريق وزير الخارجية) وتحدث السيد دوهراتويك وقال إلى وزير الخارجية:
نحن نطلعوا نبأ عن الدولتين الصديقتين لإيران على الخشبة من هذا الطريق الذي تسير إيران فيه، فهذا الطريق نهايه في غاية السوء، نحن نأمل أن تطلعوا
أتباعكم وأعضاء المجلس باسم وزير الخارجية عن خطورة هذا الطريق. (وقد
أورد براون كلام سفير روسيا على النحو التالي: ليس هناك أمان على روح الشاه،
فلم يقوم الأهالي بإبعاد الخدم والإتباع عن الشاه خاصة الأمير بهادر الذي يرعاه
كالكلب الحارس؟ لقد تجاوزت الجمعيات حدودها ويريدون خلع الشاه عن الملك
ونحن لا نريد هذا، وإذا ما حدث سوف تضطر روسيا إلى التدخل في شيء
إيران وسيتم ذلك بمساعدة إنجليزها. ويقول: ثم ذكر سفير إنجلترا بعد ذلك بعض
الجمل التي تفيد بسذاجة نواب المجلس وسلوك الجمعيات المشين)...
وكتب السفير يقول: حينما قمت من هناك قال السيد دوهراتويك: لا أظن أن
مشرى الدولة سبليغ كثيرًا أو قليلاً من كلامنا، إذن فمن الأفضل أن نقابل عضد
الملك، ويقول: مضيفنا إلى منزل عضد الملك وهنا أبلغنا حدثنا. ويقول براون في
نهاية حديثه: بعد مغادرة السفررين سارع مشرى الدولة إلى المجلس وبلغ الرسالة

318
غير اللائقة التي كانت تقع نهاية الدولة وتقى زاده ومستشار الدولة وقرر
هذان الشخصان الآخرين عدم استخدام اليد السلكية والآلات الهجوم في مواجهة ابراهيم.
وقد ذكرناها، كانت هذه القصة تثير الحب من كل جانب في قرة تتمثل
الخدا من قبل سفير روسيا، إذا كان تقوى زاده عنفًا في حديثه مع براون، وأشار
إلى أن هذا حجة لأعماله، وكانت نية سفير روسيا هي بث الفزع، لأن الروس-
كما سنذكر من بعد في تقارير لياخوف - كانوا يخطبون في نفس هذه الأيام
للإطاحة بالمجلس بالساحة، وكما كتب في البند الثالث من التقرير الثاني
أنهم كانوا يريدون أن يتخلو الأحرار عن فكرة المقاومة. ولم لم يكن سفير
إنجلترا دراية بهذه الخطة فقد اكتشف بحثًا زييمليه.
وواقع الحال أن حجة السفيرين في هذه المحاولة منعتهم من القدوم، وكانت
رغبة ظل السلطان أن يعترا بجلسات منزل عضد الدولة تسير في تحقيق تلك
الرغبة وأن يعتبروا أن له دورًا في منعها، لكن السر الخفي هو الذي أوضحناه. أما
تقى زاده ونظرًا لعدم خروجه من المنزل يوم قصف المجلس وعدم إدراة القيادة من
قبله فقد قام في لندن بكشف الستار عن الحقائق عند براون وغيره، ومن ذلك ذكره
لهذه القصة وهي أن سفير روسيا كان يقول:
"إن روسيا سوف تضطر للتدخل في شؤون إيران.
والقصة التي أوردها براون نقلًا عن تقوى زاده وهي غير جديرة
بالتصديق، فمن المحال أن يصدر مثل هذا الكلام على عبام أحد السفراء السياسيين
في وجود سفير سياسي آخر، وإذا ما كان قد قيل بالفعل لم يكن يخفيه سفير
إنجلترا ولكن قد كتب إلى وزير خارجيتنا في رسالته. ولقد قلنا إن سفير روسيا قد
قال مثل هذا الكلام قبل كقل كل من ممتاز الدولة وتقى زاده يرتضيان أن يخلما
أيديهما على الديوبكة من جراء كلام ذلك السفير؟ هل لم يكن بوسعهما أن يردوا: نحن
اضطرتنا لطرد الأعداء من البلاء محافظا على الديوبكة، وله روسيا تزيد ألا

319
نسعى لرعاية النيابية! وإذا ما كان الروس يبغون السيطرة على شيء على إيران الداخلية فلم يتخذوا سلوكًا حسنًا مع محمد على ميرزا لمنع ذلك، ولو لم يكونوا يرغبون أو لا يستطيعون عزل محمد على ميرزا من الملك أو طرد الأمير بهادر من البلاط لما لحقت بأي منهما أيّة نتيجة سيئة قط.

وبعد هذا كله، وكما أسلفنا، حدث هذا يوم الأربعاء الثالث عشر من خردل (الجمادى الأولى) ولم يمض محمد على ميرزا حتى ذلك الوقت إلى باغشة، ولم يكن قد بدأ الحرب مع المجلس علانية. وكما رأينا كان الحديث عن طرد الأمير بهادر وغيره، ولم يكن يدور بينهم الحديث حول القتال مع محمد على ميرزا أو عدم القتال معه.

ويقول براون بعد ذلك:

"إن تقي زاده ومستشار الدولة عزما على عدم استخدام البنادق وآلات الحرب في مواجهة الشاه عندما قيل إن شعبًا مريضًا أفضل من شعب ميت؟ ولندع ذلك وكما سنرى من بعد، بعد مضي الشاه إلى باغشة كان تقي زاده نفسه ضمن من أصروا على القتال. وواقع الحال، عندما حل يوم القتال لم يخرج من بيه خوفًا على حياته وتصرف تصرفًا غير لائق، وعليه كيف يمكن القول "أفضلية عدم القتال مع محمد على ميرزا خشية من تدخل الروس في شيء من إيران?" فإذا تصرف سي من تقي زاده جعل التاريخ في حيرة من تصرفه غير اللائق في إخفاء الحقائق."
بحث حول أوضاع الأهالي

يدور الحديث في هذا المقال حول التغييرات التي ظهرت بعد تسع أشهر من حركة المطالبة بالحرية، وكذلك حول أوضاع بعض الصحافيين.

التغييرات التي طرأت خلال حركة المطالبة بالحرية:

كما أسلفنا، كانت الفترة منذ بداية الحركة المانحة للحكم النيابي وما بعدها لمدة تسع أشهر فترة خاصّة (وقد أنهينا أحداث تلك الفترة في الجزء الأول من هذا الكتاب) وخلال التسعة أشهر تلك حدث مائي:

أولاً: كانت الحركة المطالبة بالحكم النيابي حركة عامة، وكمما ذكرنا إنه بالإضافة إلى المدن ثار الأهالي وانقضوا كذلك في العديد من القرى وعلت صيحاتهم.

ثانياً: عد رجال الدين الذين أن الحكم النيابي هو رواج للشريعة، وكانوا يتعاونون مع الأهالي في كل مكان من هذا المنطلق، ووفقًا لقول أحد الأشخاص: كانوا يظنون أن المائدة التي أعدت كانت لهم لذا ساعدوا في مدها.

ثالثًا: لم يكن أعداء الحكم النيابي سوى رجال البلاط، ولم يستحوا في إظهار العداء جهاراً، ولم يكن محمد علي ميرزا يبدو ضعفاً شديداً في إيجاد العراق.

لكن بعد هذه الفترة التي انتهت برئاسة وزراء الأتراك خمدت انتفاضة القرى - والتي كانت جد عظيمة - من جانب ولزمت المدن الصغيرة الصمت، وكان اسم
الحكم النيابي يذكر فقط في المدن الكبرى التي يوجد في كل منها جمعية. وكانت تظهر هنا أيضًا بعض الأحداث (كما أوضحتنا في الجزء الأول)، ولم يكن يسمع صوت من مشهد وهمدان وزنجان ومراغه وسیبزور ومثل هذه المدن، بينما كانت الثورات تتشاب من كرمانشاه وشيراز وأردبيل وأرومیه أكثر من غيرها. أما أصفهان فكانت تكتفي بالعارض والأعمال ذات الوجهين، وكانت تبرز وخوا وطهران والرشت وقزوین فقط هي المدن التي تغلقت فيها جذور المطالبة بالحكم النيابي وكانت تدخل المساعی.

ومن ناحية أخرى، كان رجال الدين يخدعون أنفسهم بأن الحكم النيابي ليس رواجاً للشريعة، وأن هذه المانعة لم تبسط من أجلهم، ولهذا فإن عددًا كبيرًا منهم - الذين قدموا مساعدته على أمل تحقيق مصالحهم الخاصة - نحو أنفسهم، ونهض الحاج الشيخ فضل الله أتباعه في طهران وأظهروا العداء علانية. ومن ناحية أخرى، صار الآتاك رئيسًا للوزراء وقام بالصراع من قبیل خطة الضغط على المجلس، ومن هنا اتخذت مقاومة البلاط لمواجهة المجلس طابعًا آخر.

هذا وقد قسما فترة الحكم النيابي القصيرة (منذ منحه وحتى قصف المجلس) إلى دورتين منفصلتين، فإنها يفصلون التسعة شهرًا الأولي منه عن الأربعة عشر شهرًا التالية عليه. في هذه الفترة الثانية فقد المجلس هيبته حيث خمدت تلك الثورة التي كانت لدى النواب في بدايات الحركة. من ناحية أخرى، لما دار الحديث حول الدستور والشريعة أبدى معظمهم تأييده للشريعة إلا من قبیل الارتباط بالدستور وما من قبیل خداع الأهالي. فضلًا عن هذا كان كثير منهم يتعاون مع الآتاك خفیة ويراعون تأييده، وقد ذكرنا أعمالهم الواحدة للآخر، وفي كل حادث كانوا يبدون عدم جدارة وكانوا يضععون أمام البلاط، ولما استغانت بهم تبرز ليخلصوها من أزماتها أعربوا عن مساوئهم ولم يفعلوا شيئًا، ولم تقض أعمال الآخرين إلى نتيجة. والأخیر حمامة من هذا كله هو ذلك الأسبيب الذي اختاروه لأنفسهم وكانوا يريدون آلا يقتربوا أبدا من القتال وسفك الدماء، وألانوا
الأعداد عن طريق النص والمواعظة فقط، هذا وكانوا يندفعون دومًا، وكما شاهدنا قد أفضى الأمر بهم إلى أن يندفعون من قبل رجيم خان الأمى.

حقيقة أن معظم هؤلاء النواب كانوا أسرى أفكار الدروشة، وكنت عقولهم مكثفة بالأشكال الصوفية أشعار الخرابات وغيرها، ولن تنسى ثورة من مثل هؤلاء، إنهم لم يكونوا جديرين للتنبأة في المجال الذي ينبغي فيه السيطرة على زمام الحركة والثورة في الدولة. وإذا ما ظهر بينهم بعض الشباب من أصحاب الحماسة فكان لكل منهم مبدأ آخر. واكتفى المجلس الأول بأنه لم يستطع أو لم يرد أن يحث الشباب في طهران وغيرها من المدن على التدريب العسكري، ودار الحديث غير مرة، وكتب الصحف المقالات ووردت القتلى من النجف لكن هذا كله كان بلا جدوى وترد هذا العمل فقط في تبريز، ومن العجيب أن المجلس لم يكن يعرب عن عدم رضاه عن ذلك.

وفي طهران تبع الأهالي النواب، وما كانوا يتقدمون فيه هو تشكيل الجمعيات ومشاركتهم في أحداث الثورة والضجة والبلدة. وكما سنرى، بلغ تعداد جمعيات طهران مائة وثمانية جمعية في الأيام الأخيرة. ولفتنا جيدا، أي معنى لأن يكون هناك مائة وثمانية جمعية في مدينة واحدة؟! فبدلاً من أن يجتمعوا كلهم تحت لواء جمعية واحدة ويعمون في استعاداتهم كانت كل جماعة تشكل جمعية لها وتكتسي بمحاولات الضجة والبلدة.

والآخرون من هذا أنه بعد حدث ميدان دار المدفعية الذي كان من أعظم نتائجه أن الجمعية الإقليمية في تبريز أضعت موقف محتم على ميرزا وخضع لقرار القبض على صنيع حضرت وغيره، وقبضوا عليهم وعاقبواهم، وبعد ذلك ألحقوا العقاب بفريدون الزرادشتي والسيد محمد البدري وغيرهما، وظنت جمعيات طهران أن هذا كله ثورة لجهودها واعترضه نصرًا لها وتباهت بذلك. بعد ذلك تعاودت أمام البلاط في حادث القبض على المرتكبي حادث اغتيال الشاه ونفت كلماتها. ودفعة واحدة اعتبرت نفسها ذات قوة وزادوا من قدرتهم وكأنما المصدر في الصحف عن هذه الجمعيات، وكان نواب المجلس يرسلون البرقيات إلى
المدن تفيد بانتصاراتهم. وأفضى الأمر إلى قيام بعض الأشخاص في تبريز بإقامة الجمعيات، وأقيمت العديد منها تحت اسم "الاتحاد"، "القدرة"، "المشاركة"، "المساواة"، "الحقيقة" وما أشبهه، وجاء نقى خان رشيد الملك - الذي تزعمه من حكم أردبيل - إلى تبريز، وهنا دخل في زمرة المطلوبين بالحكم النقابي وشكل جمعية تحت اسم "حمست" ونظرًا لأننا سنرى نقى خان هذا في الأعداء في جيش عين الدولة فيضح من هنا أن هذه الجمعيات كانت حجة أكثر من أي شيء آخر في يد الباحثين عن منفعتهم الشخصية. وكذلك في طهران، فإن على خان أرشد الدولة - الذي سوف نشاهده من بعد أداء في يد محمد على ميرزا - كان رئيسًا للجمعية المركزية وكانت له كذلك الرئاسة العامة على جميع الجمعيات.

عندما يتفق شخص مع جماعة أو يقيد اسمه فيها يكون من زمرة المطلوبين بالحكم النقابي، وكان يجد الرعاية والتجارة في كل مكان، ويستطيع تحقيق أي مصلحة يريدها، فلم لا ينبغي أن يطلب رشيد الملك وأرشد الدولة ورمح خان والحاج ميرزا حسن وغيرهم الحكم النقابي ولا يتنامون في أعمالهم؟! 

وحينما يتهيأ الأحرار لكي ينخدعوا، فلم ينبغي أن يمتنعوا عن خداع غيرهم؟! فهم من ناحية مرتبطة بالبلاط، ومن ناحية أخرى قد احتلطوا مع الأحرار واتحدوا معهم. بل أن بعض نواب المجلس كانوا يسكنون نفس السلك في الأوتشة الأخيرة وناما أدركوا في أعمال محمد على ميرزا أنه سوف يغير على المجلس أبدى كل منهم تعاطفه مع البلاط عن طريق آخر، وكما سنرى أن نفس هؤلاء النواب ظلوا ينتقدون الاستبداد في طهران ولم يلقهم أي أذى.

ونواب أذرباجان الذين ساروا من تبريز في ذلك العهد ومع ذلك القسم ووصلوا إلى طهران في استقبال عظيم، كان بعضهم يبدوا عدم شهامة: حيث مضى واحد إلى تبريز قبل أيام من قصف المجلس على أنه مطلق السراح (والحق إنه هرب من طهران) ولم يبلغه، ورغم ما كانت تبديه المدينة من مقاومة، إلا أن
النائب هنا لم يشارك في المقاومة وتوجه إلى جلفا مع بعض البنادقة، ومن هناك اتجه إلى القوافز ثم إسطنبول ثم إلى أوروبا. والثاني جعل من نفسه أداة للأجانب، ولم يكن يفعل أي شيء إلا بأمر السفارة الفدرالية. والثالث كان يتأمر خفية مع البلاط. ويتحدثون عن شخص اندفع إلى البلاط في زي النساء وتقابل مع محمد على ميرزا وخطط معه. وهذا كله لأجل دليل على عدم شهامة النواب.

وشخص آخر من نواب تبريز يدعى ميرزا آقا أصفهاني اخدد به ألمي تبريز، وكانوا يجلونه، ووجهوا به إلى المجلس لتمثيلهم، لكن لم يمض قصير زمان حتى علم أن حصول على الأموال من أقاليم السلطنة في ماكو، وإذا عندما وصل إلى طهران انضم إلى البلاط خفية وشاع إنه كان يشجب محمد علي ميرزا على الإطاحة بالمجلس، وأدى العمل المخدر لهذا الرجل إلى أنهم ذكروا حصوله على الأموال في الجراند، وطبعوا أشعاره المتعلقة في مدح أرفع الدولة وتشروها، وفي النهاية أبرزت الجمعية الإقليمية إلى دار الشورى وأعربت عن استنهاها لتوبيه النبابة عن آدرياجان.

الصحف:

كما أسلفنا الذكر، ظهرت الصحف في طهران وغيرها من المدن في الشهر الأول لحركته الحكم النبائي، وكان مؤسسوها يريدون فقط تملك جريدة يصدرون فيها معلوماتهم، هذا وكان معظمهم يكتب في مجال الحديث والفلسفة والشعر والأصول وما شابه في المقالات التي كانوا يدونونها، ومزج كل منهم النبائية بعلوماته وجعل يفهمها بالمعنى الذي يريد. وظلت هذه الصحف التي أحصينا كثيرًا من اسماها حتى الدورة الثانية ووزعت كل منها لعدة شهور. وفي هذه الدورة لم يظهر شخص أو أشخاص يفهمون الآهالي المعنى الصحيح للحكم النبائي أو يكتبون شيئًا مفيدًا في هذا الشأن.
وكانت جرائد "المجلس"، و"الحبل المتنين"، و"صور إسرائيل"، و"روح القدس"، و"تريدن"، و"نداء الوطن" في طهران، و"الجمعية" في تيريز - التي بدأت منذ البداية - بعد ذلك بقليل. تتقدم وتتصدر حتى وقت قريب من القصف، ففضلًا عن ذلك ظهرت في طهران جريدة "مساوات"، وفي تيريز صحيف "مهاجر" و"اتحاد" و"حشرات الأرض". وكان محرر جريدة "مساوات" هو السيد محمد رضا الشيرازي، وكان - كما نعلم - رجلًا جريئًا، وظهرت جرأته في إصدار هذه الجريدة، وكان يفعل مثلاً يفعل مدير جريدة "روح القدس" حيث كان يهاجم محمد على ميرزا بعنف يثير الحرج ويحدث في كتاباته.

على سبيل المثال ما نراه في أحد أعداد الجريدة، حيث ذكر قصة لويس السادس عشر ملك فرنسا وهربه من باريس وسرته، وفي النهاية وجه حديثه إلى محمد على ميرزا بأقوال تدعو إلى الخشية، بل إنه لم يكف عن إبراد الجمل الساخرة، فبقول: "قد يظن أن الإيراني سيتاسل عن حقوقه الشرعية بعد ذلك، ويستريح للوصف من عدم أخذهم بالوعاب. لا والله، لا والله، فإن كل من يلقى هذا الظن الواهي والخيال الباطل في الخاطر المقدس لملكنا فإنه - قسماً بجميع الأبياء والأولياء والأرواح المقدسة روح العدالة وحقيقة المساواة - خائن لمقام السلطة خيانة صريحة. ولو لم يصدقوا هذا الأقسام، فلنقم بحب شايشال إيران. بعلم الأمير بهادر، وبينف سعد الدولة، وبيدين أبالدة الدولة، وبحضرة آصف عفته، وبشروة ظفر السلطة ورحمة، وبإدارة قوام الدولة وعمته، وبأخلاق حجاب الدولة الحميدة، والرسالة العملية لحجة الإسلام السيد ميرزا مصطفى، وبشرف المجندين التبريزي وتفاف، والأرواح المقدسة لأعضاء الجمعية المقدسة".

هذا نموذج لكتاباته، وقد كتب مقالًا مطولًا تحت عنوان "أي حال الشه
عليها" في العدد الحادي والعشرين من جرينته لم يكشف خلاله عن الحديث بحدة وبلهجة شديدة، ولما طالب محمد ميرزا بالإحاطة من المحكمة، استدعى السيد محمد رضا إلى المحكمة ورفض الذهاب، وكتب عددًا من جرينته ينسجم فيه من المحكمة (العدد 22 الذي تم مصادرة من قبل المجلس و الحكومة). ولم يكتف بهذا
وقام بعمل سبيء للغاية حيث أعد سراً كبيرًا باسم "استشهاد نامه" وطالب بأن يشهد الناس على سوء صنيع أم الخاقان وفاة محمد على ميرزا وأعطاه لشخص ذهب به إلى السوق حتى يكتب الأهالي معلوماتهم ويختتم عليه. وبهذا فقد قام بأمر فاضح من بدايةه إلى نهايته.

كان هذا في الأيام التي كان محمد على ميرزا يبحث فيها خفية مع لياخوف الروسي، ولا شك أن هذا ما جعله أكثر تقربًا إلى الروس، وكان محمد على ميرزا يذكر هذه الفضائح مرارًا وبدئًا استيائه، وبذلك كان يثير العدو للمحاربة دون أن يفكروا في المقاومة وإعداد العدة. وكان المجلس يبدئ ضعفه تجاه محمد على ميرزا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت الجرائد تنشر بهذه اللحظة الشديدة التي لاحل لها.

وكانت صحيفة "صور إسرائيل" وكذلك صحيفة "روح القدس" تكتبان هذا النوع من المقالات، وكان كل من السيد جمال وملك المتكملين يستناداً إلى المذبحة من فوق المنابر، وكان بهاء الوعظيين يطلق على محمد على ميرزا من أعلى المنبر اسم "ابن أم الخاقان"، أما صحيفة تبريز، فكما ذكرنا، كان محرر صحيفة "مجاهد" هو أبو الضاياء، واضطر إلى الدخول إلى هذه السيرة وقضى على جريدته. كما أسست جمعية "اتحاد" صحيفة "اتحاد"، وقد ظهرت في منتصف أسفند من عام 1907 (1286 ش)، ولم تدار القتال في تبريز مع الدوتشي واضطرب الأمن في المدينة لم تصدر جريدة من قبل الجمعية الإسلامية واستمرت في عدم النشر حتى وقت القتال والقتلة. كما أسس الحاج ميرزا آقا بلوري صحيفة "حشرات الأرض" وكانت ساخرة مصورة، وبدأت في النصف الثاني من أردي بيشت عام 1908 (1287 ش) ولم يصدر منها حتى وقت القتال والقتلة أكثر من عشرة أعداد أو أكثر بقليل.

وفي تبريز صدرت في هذه الفترة بعض الصحف باللغة التركية في بضعة أعداد، وكان البعض يقول: لما كان أهالي تبريز يعرفون اللغة التركية سيكون فهم
هذه الصحف الصادرة بالتركية بشكل أفضل، وحين يقرؤها أحدهم سينصت الآخرون له، ورغم ذلك لم تُكتب لهذه الصحف الاستمرارية. ومن أشهرها صحيفة "أندايلي" لحسن خان مدير المحكمة وكانت تصدر في صفحات قصيرة، وكانت صحيفة "ملاعم" تكتب كذلك باللغة التركية.

و فيما بخصص بالمدارس كان في أذربيجان نفس الجهد والاهتمام الذي أوضحته وخاصة في تبريز التي كانت تهتم بالمدارس قدر استطاعتها، ولم تكن تكف عن تقديم الأموال لتقدم أمرها. وقد أوردنا صورة فوتوغرافية في هذا الجزء ظهر فيها نواب المدارس في الجمعية الإقليمية في حضور إجلال الملك (رئيس الشرطة وحاكم المدينة). لقد كان رؤساء الحرية في تبريز يهتمون بأمرين أكثر من أي شيء آخر، الأول: المدارس وتلاميذها. والآخر: المجاهدون واتحادهم. وكلاهما كان مفيداً وفي موضعه.
المؤلف في سطور:

أحمد كسرى تيريزى

ولد عام 1890 في محطة هكماوار بمدينة تيريز بإيران، اشتغل بالمحاماة وتقلد بعض المناصب في السلوك القضائي ونظراً لأرائه الجريئة بشأن فساد المجتمع والانساب وراء بعض المعتقدات المذهبية الخاطئة تم اعتقاله عام 1946م على يد أحد قادة منظمة فدائى خلق.

المؤلفات:

1- ساينجة الدرية، وهو كتاب في الصرف والنحو العربي.
2- تاریخ آذربایجان (باللغة العربية)
3- تاریخ طبرستان (باللغة الفرنسية)
4- تاریخ بانصد سال هذي خوزستان (باللغة الفارسية)
5- آذری پایین باستان آذربایگان (باللغة الفرنسية)
6- نامه های شهرها وده های ایران (باللغة الفارسية)
7- الطريقة (باللغاتين العربية والفارسية)
8- التشیع و الشیعه (باللغة العربية)
المترجم في سطور:

هويده عزت محمد أحمد
أستاذ ورئيس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب - جامعة المنوفية

المؤلفات:
1- العلاقات الإيرانية الألمانية في العصر الحديث وأثرها على الأدب الفارسي،
المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، القاهرة 1998م.
2- المسرح الإيراني في الربع الأول من القرن العشرين، مجلة كلية الآداب،
جامعة المنوفية (135)، 1998م.
3- اتجاهات في إصلاح اللغة الفارسية في القرن العشرين، القاهرة 1999م.
4- صورة المرأة في الأدب الفارسي الحديث والمعاصر، القاهرة 2000م.
5- رواية "لا تنسي" لمريم جعفري، دراسة نقدية تحليلية مع الترجمة، المجلس
الأعلى للثقافة، (456)، 2002م.
6- نطق الطير لفريد الدين العطار وتواري الظل في الشمس لباربرا
فرشيموت، دراسة مقارنة، ندوة كلية الآداب، جامعة عين شمس، أبريل
2002م.
7- يعود إيران منذ أقدم العصور حتى الآن، ترجمة عن الفارسية، مؤتمر كلية
الأدب، جامعة المنصورة، مارس 2004م.
8- الثورة الإسلامية في إيران، الأسباب والآليات، دراسة تحليلية مع الترجمة،
المجلس الأعلى للثقافة (729)، 2004م.
9- صورة مصر في الأدب الفارسي الحديث والمعاصر، ندوة الترجمة بالمجلس
الأعلى للثقافة، 2005م.
10- البنية القصصية في المجموعة القصصية "أميرة في مهب الريح"، القاهرة
2005م.
11- فاطمة الزهراء، ترجمة إلى العربية للدكتور على شريعتي، القاهرة 2006.
12- رواية "سأطفي المصابيح" لزرويا بيرزاد، دراسة في الفضاء الروائي، القاهرة 2006.
14- العلاقات الإيرانية الإنجليزية في القرن العشرين، القاهرة 2008.
15- على شريعتي، مناضلاً سياسياً، مفكراً اجتماعياً، شاعراً، القاهرة 2008.
المراجع في سطور:

بديع محمد جمعة

أستاذ اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب جامعة عين شمس
عضو المجالس القومية والمستشار بالمركز القومي للترجمة

المؤلفات:

1- ترجمة منطق الطير لفرید الدين العطار.
2- بروین اعتصامی، صوت المرأة الشرقية في إیران.
3- دراسات في الأدب المقارن.
4- من روائع الأدب الفارسي.
5- من قضايا الشعر الفارسي الحديث.
6- اشیاء عیاس الكبير.
7- قواعد اللغة الفارسية.
8- فیئوس وأدونیس.
9- من وهي الشرق (مجموعة مقالات).
التصحيح اللغوي: حسن خضر
الإشراف الفني: حسن كامل